كتاب
المنازل والديار

تأليف

مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

٤٨٨ — ٥٨٤ هـ

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
لصاحبه
محمد زهير الشاويش
دمشق: الحلبوني ص. ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقيا: اسلامي
بيروت: ص. ب ٣٧٧١ هاتف ٢٥٠٠٦٨

الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

فصــل
في ذكر الأوطان

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: ما قاسيتُ فيما تركتُ من الدُّنيا أشدَّ عليَّ من مُفارقة الأوطان.

قال الرِّياشي: أنشدني أعرابي:

سَلِّمْ عَلَى قَطَنٍ إنْ كُنْتَ تأْلَفُهُ ... سَلامَ مَنْ كانَ يَهْوى مَرَّةً قَطَنَا [1]

أُحِبُّهُ وَالَّذي أرْسَى قَواعِدَهُ ... حُبّاً إذا ظَهَرَتْ آيَاتُهُ بَطَنَا [2]

يَالَيْتَهُ لاَ يَرِيمُ الدَّهرَ سَاحَتَهُ ... وَلَيْتَهُ حَيْثُ سِرْنَا غُرْبَةً مَعَنَا [3]

مَامِنْ غَرِيبٍ وَإنْ أَبْدَى تَجَلُّدَهُ ... إلَّا سَيَذْكُرُ بَعْدَ الغُرْبَةِ الوَطَنَا [4]

---

(١) الأبيات غير منسوبة في « معجم البلدان » لياقوت : قطن ، وفيه : إن كنت نازله ، ونقل عن أبي عبيد الله السكوني أن « قطن » : جبل مستدير مُلَملَم يجري من رأسه عيون لبني عبس بين الحاجر والمعدن ، وبه ماء يقال له : السليع .

(٢) في « معجم البلدان » : إذا علنَت .

(٣) في « معجم البلدان » : يا ليتنا .

(٤) في « معجم البلدان » : إلا تذكر ... وفيه بعد هذا البيت :

انظر وأنت بصيرٌ هل ترَى قَطَناً ... من رأس حَوران من آتٍ لنا قطنا

يا وَيْحَها نظرة ليست براجعةٍ ... خيراً ولكنها من غيره قَمِنا

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر :

أَهِيمُ بِذِكْرِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ دَائِمًا … وَمَا بِي لَا شَرْقُ البِلَادِ وَلَا الغَرْبُ
وَلَكِنَّ أَوْطَانًا نَأَتْ وَأَحِبَّةً … فَقَدْتُ مَتَى أَذْكُرْ عُهُودَهُمُ أَصْبُو
وَمَا أَنْسَ مَنْ وَدَّعْتُ بِالشَّطِّ سُحْرَةً … وَقَدْ غَرَّدَ الحَادُونَ وَاسْتَعْجَلَ الرَّكْبُ
أَلِيفَانِ هَذَا سَائِرٌ نَحْوَ غُرْبَةٍ … وَهَذَا مُقِيمٌ سَارَ عَنْ جِسْمِهِ القَلْبُ

وقال آخر :

لَا تَنْهَرَنَّ غَرِيبًا طَالَ غُرْبَتُهُ … فَالدَّهْرُ يَضْرِبُهُ بِالذُّلِّ وَالمِحَنِ
حَسْبُ الغَرِيبِ مِنَ الدُّنْيَا نَدَامَتُهُ … عَضُّ الأَنَامِلِ مِنْ شَوْقٍ إِلَى الوَطَنِ

وقال التهامي :

أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِي أَرْضِ الحِجَازِ رَشًا … فِي رَوْضَةِ القَلْبِ مَأْوَاهُ وَمَرْتَعُهُ [1]
بِاللهِ يَا شَوْقُ رِفْقًا بِالفُؤَادِ فَمَا … أُطِيقُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ تَصْنَعُهُ
وَأَنْتَ يَا وَصْلُ عُجْ فِي رَبْعِ فُرْقَتِنَا … عَسَاكَ تَجْمَعُ شَمْلًا عَزَّ مَجْمَعُهُ
وَسَقِّهِ مِنْ حَيَا التَّقْرِيبِ سَارِيَةً … فَإِنَّهُ دَاثِرٌ قَدْ مَحَّ مَوْضِعُهُ
عَسَى اللَّيَالِي بِأَوْطَانِي الَّتِي سَلَفَتْ … يَرْجِعْنَ فِيهِ رُجُوعًا لَا نُوَدِّعُهُ

عن ابن الكلبي ، قال : كان رجل من طيىء ، يقال له : زامل بن

---

(١) لم ترد في الديوان المطبوع .

عُفَير نازلاً في أخواله مِنْ كلب في الدَّهر الأول ، وذلك قبل حرب الفِجار[١] فأغار عليهم مَنْسُر من بني القين ، فاسْتَخَفُّوا إبله ، فاسْتَنْصَر أَخْوالَه ، فأبطؤوا عليه ، فعَمَدَ إلى جَمَلٍ سائب ، فاكْتَفَلَهُ[٢] ، وتوجّه نحو الشام ، فقيل له : أتَرْكَبُ الحرامَ ؟ قال : « يَرْكَبُ الحَرامَ مَنْ لا حَلالَ له » فلمّا قَرُبَ مِنَ الشام مرَّ بِرَوْضَةٍ غنّاء ، وغُدْرَان ، فقيَّدَ بعيرَه ، وأكل مِنْ نَباتِ تِلكَ الرَّوضة ، واضطجع . فبينا هو كذلك ، إذ أقبل فارسٌ إلى الرَّوضة ، فنزل عَنْ فَرَسِهِ ، وحط سَرجه ، وقيَّد فرَسه ، وَقَعَدَ قريباً من مضطجع الطائي ، فاستيقظ الطائي بجرسه فاسْتوى قاعداً ، فقال له الفارسُ : مَنِ الرَّجُل ؟ فانتَسَبَ له ، وسأله عن شأْنِهِ ، فقصَّ عليهِ قِصَّتَهُ . فقال له الفارسُ : ياهذا هل عِنْدَكَ طعام ، فإني طاوٍ منذ أمْس ، فقال له : أَتَطْلُبُ الطَّعامَ وهذا اللَّحْمُ مُعرَّض ؟! ثم وَثَبَ إلى سَيفِه ، فعقر بعيره ، ثم اجْتَبَّ سَنامَه ، وبَقَرَ عن كَبِدِهِ ، وذلك بِعَيْنِ الفارس ، ثم أوْقَدَ ناراً عظِيمة ، ثم اشتوى ، وأقبل يلقي إلى الفارس حتى انتهى ، فما لَبِثَ أنْ

---

(١) هي حرب جاهلية كانت بين كنانة وقيس ، سميت الفجار ، لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها .

(٢) في « اللسان » : واكتفل البعير : جعل عليه كفلاً ، والكفل : ما اكتفل به الراكب ، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب .

ثارَ العَجاجَ ، فإذا الخيلُ مُقْبِلَةٌ تتوقص [1] بفُرسانِها ، حتى انتهوا إلى الفارس ، فحيَّوه بتحيَّةِ المُلْك ، فركبَ وقال : دُونَكُم الرَّجُل ، فأردَفَهُ بَعْضُهم حتى أتى دارَ مُلكه ، فإذا هو الحارث الأكبر الغسَّاني [2] فأمر بعضَ غِلمانِه بإنزال الطائي ، وخاف زاملٌ أن يكونَ قد نسيَهُ الملك ، فقال للغلام : هلْ لكَ أن تُوليني عارفة ، وتُبلِّغ الملك ما أقولُ ؟ قال : أفعل ، فأنشده :

أَبلِغِ الحارثَ المُرَدَّدَ في المجـ ... ـدِ وفي المكْرُماتِ جَدّاً فجَدّا
وابنَ أرْبابِ واطىءِ السَّبْسَبِ الأَرْ ... حَبِ والمالكينَ غَوْراً ونَجْدا
إنَّني ناظِرٌ إليكَ ودُوني ... عائقاتٌ غادَرْنَ قُرْبي بُعْدا
إنْ أكُنْ نازِلاً بمثْوى كريمٍ ... ناعِمَ البالِ في مَراحٍ ومَغْدى
غيرَ أنَّ الأَوْطانَ تَجْتَذِبُ المرْ ... ءَ إليها الهوى وإنْ عاشَ كَدّا

(١) في « اللسان » : قال الأصمعي : إذا نزا الفرس في عدوه نزواً ، ووثب وهو يقارب الخطو ، فذلك التوقص .

(٢) هو الحارث بن جبلة بن الحارث الرابع بن حجر الغساني ، أشهر أمراء بني جفنة في بادية الشام ، وأعظمهم شأناً ، وهو الذي حارب المنذر أمير الحيرة ، وانتصر عليه في شهر نيسان ٥٢٨م ، واشترك في قمع ثورة السامريين بفلسطين سنة ٥٢٩ م ، وكان عاملاً للرومان ، ورقاه امبراطور الروم إلى رتبة ملك ، وبسط سلطته على قبائل عربية كثيرة للوقوف بها أمام غارات اللخميين عمال الفرس في الحيرة وبادية العراق .

وَتأَنّيَ بالشَّآمِ مُفيدي حَسَراتٍ يَقْـذُذْنَ قلبي قَـدَّا
لَيْسَ يَسْتَعْذِبُ الغَريبُ مُقاماً في سِوى أَرْضِهِ وإِنْ نالَ جَدَّا

فتَسَبَّبَ الغلامُ إلى أنْ أنشَدَ الملك الأَبياتَ . فقال الملك : واسَوْءتاه كَرُمَ وَلَؤُمْنا ، ائذن لهُ ياغلام ، فلما دخل قال : والله لايرحضُ[(١)] عارَها عني إلا عطاؤُكَ حتى ترضى ، ثم أَمرَ له بجائزةٍ سنيَّة ، وقال له : يا زامِل إنَّ الأَوطانَ جواذِبُ كما ذكرت ، فهل لكَ في المُقام في جُمْلَتِنا ، يفيءُ عليكَ ظِلُّنا ، وتَسيلُ عليكَ صِلَتُنا ؟ فقال : أيُّها الملِكُ ما كُنْتُ لِأوثِرَ وطني عليك ، ثم أَقام بالشّام في جواره .

وقال ابن الرومي :

وَلي وَطَنٌ آلَيْتُ أَنْ لا أَبيعَهُ وأَنْ لاأرى غيري لهُ الدَّهْرَ مالِكا[(٢)]
فقَدْ أَلِفَتْهُ النَّفْسُ حتى كأنَّهُ لها جَسَدٌ إن بانَ غُودِرْتُ هالِكا[(٣)]
وحَبَّبَ أوْطانَ الرِّجال إِليهِمُ مَآرِبُ قَضَّاها الشبابُ هُنالِكا
إذا ذَكَروا أوْطانَهم ذكَّرَتْهُمُ عُهودَ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلِكا

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

---

(١) رحضه ، كمنعه : غسله .
(٢) الأبيات في « زهر الآداب » ٢/٦٨٢ ، و « ديوان المعاني » ٢/١٨٩ ، والثالث والرابع في الديوان ١/١٣ .
(٣) في « زهر الآداب » : غودر هالكا ، وفي ديوان المعاني : « لها جسد لولاه . . . »

لا يُذكَرُ الرَّمْلُ إلاّ حَنَّ مُغْتَرِبٌ ... لهُ بذي الرَّمْلِ أوْطارٌ وأوْطانُ[1]
تهفو إلى البانِ مِنْ قلبي نوازِعُهُ ... وما بيَ البانُ بل منْ دارُهُ البانُ
أسُدُّ سَمْعي إذا غنَّى الحمامُ بها ... كيْ لا يُبيِّنَ سِرَّ الوَجْدِ إعلانُ
ورُبَّ دارٍ أُوَلِّيها مُجانَبَةً ... وَلي إلى الدَّارِ أطرابٌ وأشجانُ
إذا تَلَفَّتُّ في أطلالِها ابتدَرَتْ ... لِلقَلْبِ والعَينِ أمواهٌ ونِيرانُ

قِيلَ لبَعْضِ الحكماء : ما اللّذةُ ؟ قال : الكِفايَةُ مَعَ لُزُوم الأَوطان ومُحادَثَة الإخوان . قيل : فما الذِّلة ؟ قال : النُّزوحُ عن الأَوطان ، والتنقُّلُ في البلدان .

وقال أبو العرب مُصعَبُ بن محمد بن [أبي] الفُرات[2] :

أَهُمُّ وَلي عزمانِ عَزْمٌ مُشرِّقٌ ... وآخَرُ يُغْري هِمَّتي بالمَغارِبِ
ولا بُدَّ لي أنْ أَسْأَلَ العيشَ حاجَةً ... تَشُقُّ على أخْفافِها والغَوارِبِ
عليَّ لِآمالي اضطِرابُ مُؤمِّلٍ ... ولكنْ على الأَقدارِ نُجْحُ المَطالِبِ
فيا نَفسُ لا تَستَصحِبي الهُونَ إنّه ... وإنْ خدَعتْ أسْبابُهُ شرُّ صاحِبِ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ط بيروت ٢/٤٤٩ .

(٢) هو مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العبدري الصقلي ، شاعر عالم بالأدب ، من أهل صقلية ، سكن اشبيلية . وكان المعتمد بن عباد يعرف قدره ، ويبالغ في إكرامه ، قال ابن الأبار : قدم على المعتمد سنة ٤٦٥ ، فحظي عنده وعند ملوك الأندلس في تردده عليهم ، وديوان شعره بأيدي الناس ، وصار أخيراً إلى ناصر الدولة صاحب ميورقة ، فتوفي بها . انظر « التكملة لكتاب الصلة » : ٧٠٣ .

ويا وطني إنْ بِنْتَ عني فإنني سَأُوطنُ أكْوارَ العِتاقِ النجائِبِ
إذا كان أَصْلي مِنْ تُرابٍ فكلُّها بِلادي وكُلُّ العالمِينَ أقاربي

وقال آخر : « هو العبَّاسُ بن الأَحنف ، ولهؤلاء الأَبيات حكاية لطيفة نقلها الأَصمعي عنه »[1] :

يا بَعيدَ الدَّارِ مِنْ وَطنِهْ مُفرداً يبكي على سَكَنِهْ[2]
كُلَّما جَدَّ النَّجاءُ بِـه جدَّتِ الأَسْقامُ في بَدَنِهْ[3]
ولقدْ زادَ الفُؤادَ شَجىً صوْتُ قُمْريٍّ على فَنَنِهْ[4]
شَفَّـهُ ما شَـفَّني فبَكَى كُلُّنا يَبْكي على شَجَنِهْ[5]

---

(١) هذه الجملة مما أضيف على الأصل ممن قرأه ، وليست من المصنف ، والعباس ابن الأحنف: هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، شاعر غزل ظريف مطبوع ، خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهج ، بل كان كل شعره غزلاً وتشبيباً ، توفي سنة ١٩٢ هـ . وانظر خبر الأبيات في « وفيات الأعيان » ٢/٢٣٢ .

(٢) ديوانه : ٢٧٨ باختلاف في الترتيب ؛ و«تاريخ بغداد» ١٢/١٣٣ ، و «النجوم الزاهرة» ٢/١٢٩ ، و«وفيات الأعيان» ٢/٢٣٢ ، و«معاهد التنصيص» ١/٥٤ .
وفي الديوان « يا غريب الدار عن وطنه » .

(٣) في «تاريخ بغداد» كلما شد النجاء به ،وفي«معاهد التنصيص»: « كلما جد الرحيل به » وفي «العقد الفريد» و«معاهد التنصيص» : « زادت الأسقام » .

(٤) في الديوان « طائر يبكي على فننه » وفي « تاريخ بغداد» : « هاتف يبكي » .

(٥) في تاريخ بغداد « شاقه ما شاقني ».

وقال آخر :

لا بُدَّ للمُشْتاقِ مِنْ ذِكْرِ الوَطَنْ   واليَأْسِ والسَّلْوَةِ مِنْ بَعْدِ الحَزَنْ

وقال عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن [١] :

أما آنَ للطَّيْفِ أنْ يأتيا   وأنْ يَطْرُقَ الوَطن الدَّانيا

وإنّي لأَحْسِبُ رَيْبَ الزَّما   نِ يترُكُني جَسَداً بالِيا

سَأَنْشُرُ ذِكْرَكِ لا ناسِياً   جَمِيلَ الصَّفاءِ ولا قالِيا [٢]

وقدْ كُنْتُ أَنشُرُهُ ضاحِكاً   فقدْ صِرْتُ أَنْشُرُهُ باكِيا

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

هَلْ لَياليَّ بالمُنَقَّى رُجُوعُ   مِثْلَما كُنَّ لي ونحنُ جَميعُ [٣]

زَمَنٌ راعَني تذكُّرُهُ الشّا   وي وإنْ كان ماضِيا لا يَريعُ

وَطَنٌ طابَ جَوُّهُ وثَراهُ   فكأَنَّ المَصِيفَ فيهِ رَبيعُ

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي المعروف بـ : ديك الجن ، شاعر مجيد ، فيه مجون ، من شعراء العصر العباسي ، سمي بـ : ديك الجن ، لأن عينيه كانتا خضراوين ، أصله من سلمية قرب حماة ، ومولده ووفاته بحمص ، والأبيات في «الأغاني» ١٤/٦٠ .

(٢) في «الأغاني» : سأشكر ذلك لاناسياً ، ورواية أسامة أجود . والقالي : المبغض الكاره .

(٣) ديوانه : ٢/٢٠٠ من قصيدة يفتخر بها .

حَيثُ لا تهتَدي الخُطوبُ ولا يخْـ ـفِقُ مِنْ خَشْيَةِ الحوادِثِ رُوْعُ (١)

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

وماءُ بِلادِيْ كانَ أَنجَعَ مَشْرَباً ولو أَنَّ ماءَ الكَرْخِ صَهْباءُ جِرْيالُ (٢)

فيا وطني إنْ فاتَني بكَ سابِقٌ مِنَ الدَّهرِ فلْيَنْعَمْ لساكِنِكَ البالُ (٣)

وإنْ أَسْتَطِعْ في الحَشْرِ آتِكَ زائِراً وهَيْهاتَ لي يَوْمَ القِيامَةِ أَشغالُ

وقال المتنبي :

بِمَ التَّعَلُّلُ لا أَهلٌ ولا وَطَنُ ولا نَديمٌ ولا كَأسٌ ولا سَكَنُ (٤)

أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أنْ يُبَلِّغَني ما ليسَ يَبْلُغُهُ في نَفْسِهِ الزَّمَنُ (٥)

لا تَلْقَ دَهرَكَ إلَّا غيرَ مُكْتَرِثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدَنُ

---

(١) الروع : القلب ، وفي الديوان : « من ريبة الحوادث . . . »

(٢) « شروح سقط الزند » ٣/١٢٥٤ من قصيدة مطلعها :

مغاني اللِّوى مِن شخصِكَ اليومَ أطلالُ وفي النَّومِ مَغْنًى من خيالِكَ مِحْلالُ

وأنجع : أغذى للجسم وأصلح ، والصهباء من الخمر : التي فيها حمرة ، وكذلك الجريال.

(٣) البال : الفكر ، والبال أيضاً : الحال .

(٤) ديوانه : ٤/٢٣٣ .

(٥) قال الواحدي في تفسير البيت : : أطلب من الزمان استقامة الأحوال ، والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه أربعة فصول ، كل فصل ضد الآخر . قال : ويجوز أن يكون أراد أن همته أعلى من أن يكون في وسع الزمان البلوغ اليها ، وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه همته .

فما يَدُومُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ   وَلا يَرُدُّ عليكَ الفائِتَ الحَزَنُ

عن رَجُلٍ مِنْ أهلِ خُراسان قال : رأيت عليَّ بن الجهم بعد أن أُطْلِقَ من مَحْبِسِهِ جالساً في المقابر ، فقلت : ما يجلسك ها هنا ؟ فقال :

يَشْتاقُ كلٌّ غريبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ   وَيذْكُرُ الأَهلَ والجيرانَ والسَّكَنا [1]

وَلَيسَ لي وَطنٌ أَمسَيْتُ أَذْكُرُهُ   إلّا المقابِرَ إذْ كانتْ لهم وَطنا

قلت : لي أبيات تنظر إلى هذا المعنى ، وهي :

أَشْتاقُ أهلي وَأَوْطاني وقدْ مُلِكَتْ   دوني وأفنى الرَّدى أهلي وأحبابي

فأَسْتَرِيحُ إلى رُؤْيا القُبُورِ ففي   أمثالِها حَلَّ إخواني وَأَتْرابي

وَلَسْتُ أَحيا حَياةً أَسْتَلِذُّ بها   مِنْ بَعْدِهِمْ ولِحاقُ القومِ أَوْلى بي

وقال أبو بكرٍ المعروف بـ : ابن اللَّبَّانة [2] في نَكْبَةِ آلِ عَبَّاد أرْبابِ الأَندلس ، وكان تغلَّب عليهم يوسف بن تاشفين ، ومَلَكَ بلادهم ، وكانوا محسنين إلى أهل العلم ، وإلى هذا الشاعر ، وله فيهم أشعار كثيرة ، يبكيهم ، ويتأسف على أيامهم :

بَكى آلَ عَبَّادٍ وَلا كَمُحَمَّدٍ   بأبياتِهِ صَوْبُ السَّحاب إذا هَمى [3]

---

(١) ديوانه : ١٨٤ .

(٢) هو محمد بن عيسى بن محمد اللخمي أديب أندلسي شاعر ، من أهل دانية ، كان من كبراء دولة ابن صمادح (محمد بن معن) ، وتوفي بميورقة سنة ٥٠٧ هـ .

(٣) الأبيات من قصيدة أوردها ابن خلكان في « الوفيات » ٤/١٢٣ وقال في مناسبتها:-

حَبيبٌ إلى قلبي حَبيبٌ لقَوْلِهِ   عَسَى وَطنٌ يَدنو بهم وَلعَلَّما [1]

يقول في هذا الشعر :

قُصُورٌ خلَتْ مِنْ ساكِنيها فما بِها   سِوى الأُدْمِ تَمشي حَوْلَ وَاقِفَةِ الدُّمى

يُجيبُ بها البُومُ الصَّدى ولطالما   أجابَ القِيانُ الطَّائِرَ المُتَرَنِّما

كأَنْ لَمْ يَكُنْ فيها أَنيسٌ ولا ٱلْتَقى   بها الوَفْدُ جَمْعاً وَالخَميسُ عَرَمْرَما

مُصابٌ هَوَى بالنَّيِّرات مِنَ العُلى   وَلَمْ يُبْقِ في أرْضِ المكارِمِ مَعْلَما

حَكَيْتَ وقدْ فارقْتَ مُلْكَكَ مالِكاً   ومِنْ وَلهي أحْكي عَلَيْكَ مُتَمِّما

بَكَيْتُكَ حتى لَمْ يَخَلِّ لِيَ الأَسى   دُموعاً بِها أَبْكي عَلَيكَ وَلا دَما

وإنّي على رَسمي مُقيمٌ فإن أَمُتْ   سأَتْرُكُ للباكِينَ رَسمِيَ مَوْسِما

وقال رجلٌ من تميم :

حَنَّتْ قَلُوصِي مِنْ عِدانَ إلى نَجْدِ   وَلَمْ يُنْسِها أَوْطانَها قِدَمُ العَهْدِ [2]

ـ وله أيضاً في حبسه ـ أي : المعتمد ـ قصيدة عملها بأغمات سنة ست وثمانين وأربعمئة .

وقد أثبتها أيضاً الدكتور صلاح خالص في كتابه « المعتمد بن عباد الاشبيلي » ص٢٤٦ نقلاً عن «القلائد » مخطوط الاسكوريال (رقم ٤٨٨) وذكر أن أبا بكر قالها بعد خلع المعتمد ونفيه ، ومطلع القصيدة في كلا المصدرين :

تنشق رياحين السلام فانما   أفضّ بها مسكاً عليك مختما

ورواية الشطر الثاني للبيت : وأبناءه صوب السحابة إذ همى .

(١) في الأصل تحت كلمة « حبيب » ما نصه : يعني أبا تمام .

(٢) في « معجم ياقوت » قال نصر : عدان : موضع في ديار بني تميم بـ:سيف كاظمة.

إذا شئتُ لاقيتُ القَلوصَ ولا أرى ... لِقَوْمي أَشْباهاً فيأْلفُهُمْ وُدِّي

وقال آخر :

حَنَّ إلى أَوْطانِهِم مَعْشَرٌ ... لَهُمْ غرامٌ وَلِيَ اثْنـانِ

إذا تَشَكَّوا شَجَناً واحِداً ... تكاثَرَتْ عِـدَّةُ أشجاني

وقال آخر - البستي - :

لَئِنْ سَلَّمَني اللهُ ... وَبالحِفْـظِ تَولاّني

وَأَعطاني أعطاني ... وَأَوْطـاني أَوْطـاني

وَأَخْلى ذَرْعيَ الآن ... وَحَـلاّني وَخَـلاّني

فلا عُدْتُ إلى الغرْبـ ... ـةِ ما كَرَّ الجَـديدانِ

فإن عُدتُ لها يَوْماً ... فَسَجّاني سَجّـاني

قال الجهم بن المنيرة[1] : كنا عند حيُّوس[2] بن ثمال القرمطي[3] بضرِّية ، فمرت بنا جـارية صفراء مولَّدة ، فقال لي حيُّوس : استفتح كلامها ، فإنها ظريفة ، فقلت : يا جارية أين نَشَأتِ ؟ فقالت : بِقَرْقَرى . قلت : فأين شَعْبَعَب ؟ فضَحِكَتْ ، ثم قالت : بَينَ الحَوْضِ والعطَن . قالت : فمن الذي يقول :

---

(١) الخبر في « الأغاني » ٢٣/٢٩١ .

(٢) في « الأغاني » : حترش .

(٣) في « الأغاني » : القريظي .

يا صاحِبيَّ فدَتْ نَفْسي نُفوسَكُما ... عُوجا عليَّ صُدُورَ الأَبْغُلِ السُّنُنِ

ثُمَّ ارفعا الصوْتَ نَنْظُرْ صُبْحَ خامِسَةٍ ... بقَرْقَرى ما عَناءُ النَّفْسِ بالوَطنِ (١)

يا ليتَ شِعْريَ والانسانُ ذو أَمَلٍ ... وَالعَينُ تَذرِفُ أَحياناً مِنَ الحَزَنِ

هـلْ أجعلَنَّ يدي لِلْخَدِّ مِرْفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ ؟

فالتفتت إلى حيُّوس ، فقالت : خبِّره بقائلهـا ، فقال : ما أعرِفُه . فقالت : بلى هذا يقُولُه شاعِرُنا وظَريفُ بلادِنا وغَزِلُها . قال : وَيْحَكِ وَمَنْ ذاكِ ؟ فقالت : أشهدُ إن كُنْتَ لاتعرفُه وأنتَ مِنْ أهلِ هذا الواديإنَّها لَسَوْءَة . ذاكَ يحيى بن طالب الحنفي ، وأُقسم بالله ما منعك مِن معرفته إلا غِلَظُ الطَّبْعِ ، وَجفاءُ الخُلُق . فجعل حيُّوس يضحك مِنْ قولِها .

ويحيى بن طالب الحنفي مِنْ أهل اليمامة ، وكان أديباً كريماً ، فابتاع مِنْ عامل السُّلْطان غَلَّةَ ضَيْعةٍ مِمّا تحت يده ، يُريدُ بهـا الرِّبحَ ، فأصابَ النَّاسَ باليمامة قحطٌ وَمَسْغَبَةٌ ، ففرّق يحيى تلك الغَلّة وأطعمهم إيَّاهـا . وآنَ مَحلُّ الوَفاء ، وَلَمْ يَكُنْ لهُ شيء ، فهَرب إلى الرِّيِّ ، وبها تُوفي .

وقد رُوي عن إسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : غنيت بين يـدي الرَّشـيد :

---

(١) في « الأغاني » : « ثم ارفعا الطرف ... يا عناء .. »

أَلاَ هل إلى شَمِّ الْخُزامى وَنظْرَةٍ　　إلى قَرْقَرى قَبلَ المَماتِ سَبيلُ؟ (١)

فأشْرَبَ مِنْ ماء الْحُجْيلاء شَرْبَةً　　يُداوَى بِهـا قبلَ المماتِ غَليلُ (٢)

فيا أَثَلاتِ القَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ　　حَنيني إلى أَطْلالِكُنَّ طَويلُ (٣)

وَيا أَثَلاتِ القاعِ قلبي مُوَكَّلٌ　　بِكُنَّ وجَدْوَى نيلِكُنَّ قليلُ

وَيا أَثَلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحْبَتي　　مَقامِي فهلْ في ظِلِّكُنَّ مَقيلُ ؟ (٤)

أحدِّثُ عَنْكَ النَّفسَ أَنْ لَسْتُ راجِعاً　　إليكَ فَهَمِّي في الفؤادِ دَخيلُ (٥)

أُريدُ رُجُوعاً نحوَكمْ فيَصُدُّني　　إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثَقيـلُ (٦)

---

(١) الأبيات للمجنون في ديوانه : ٢٢١ ، وفي « الأمالي » ١/١٢٢ ، و«مصارع العشاق » ١/٢٩٤ ، و « معجم البلدان » : ٥٨/٧ ليحيى بن طالب ، وفي «الزهرة » ٢٦٦ لبعض الأعراب. وقرقرى : أرض باليمامة إذا خرج الخارج من وشم اليمامة إلى جهة الجنوب ، ويجعل العارض شمالاً ، فانه يعلو قرقرى ،أرض فيهـا قرى وزروع ونخيل كثيرة ، وعليها يمر قاصد اليمامة من البصرة .

(٢) الحجيلاء : ماء لخثعم . قاله البكري . وفي ديوان المجنون : عليل .

(٣) في ديوان المجنون : إلى أفيائكن . والأثلات : الواحـدة أثلة : شجر صلب الخشب تصنع منه القصاع .

(٤) في ديوان المجنون : مسيري فهل . . .

(٥) في ديوان المجنون : إذ لست راجعاً . . . فحزني في . . .

(٦) رواية البيت في ديوان المجنون :

أروم انحداراً نحوها فيردّني　　ويمنعني دين عليّ ثقيـــل

فطَرِب الرَّشيد ، وسأل عن قائل هـذا الشِعر مَنْ هُوَ ؟ فقلت : هو يحيى بن طالب الحنفي ، شاعرٌ مِنْ أهل اليمامة ، وإنَّه لحيٌّ ، وَهرَبَ إلى الرّي من دَيْنٍ عليه ، فقد ذَكرَ ذلك في شِعرِهِ هذا فقال :

أُريدُ رُجُوعاً نَحوَكمْ فيَصُدُّني إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثقيـلُ

فأَمرَ الرَّشيدُ أَن يَكْتُبَ إلى عامِل الرّيِّ بقضـاء دَيْنِهِ ، وإعطائِهِ نَفَقَةً ، وإنفاذِهِ على البريد . فوصل الكتاب إلى الرّيِّ يومَ مات يحيى بن طالب . وقيل : مات قبلَ وُصولِهِ بشَهْر .

وقلت :

أَيْنَ السُّلُوُّ مِنَ المُرَوَّع بالنَّوى أبداً ، فلا وَطَنٌ ولا خُلَّانُ [1]

عِيدُ البَرِيَّةِ مَوْسِمٌ لِعَوِيلِهِ وسُرورُهـم فيهِ لهُ أَحزانُ

وإذا رأى الشَّمْلَ الجميع تَزاحَمَتْ في قَلْبِهِ الأَمواهُ والنِّـيرانُ

وقال أبو الفرج الوأْواء :

ها قدْ تَبدَّلتُ أَوْطاناً بأَوْطانِ عَمْداً وفارَقْتُ إخواناً لإخوانِ [2]

فلَيَبْلُغِ الشَّوْقُ بي أَقصى مَراتِبِهِ إلى بُدُورٍ على قُضْبانِ كُثْبانِ [3]

---

(١) ديوانه : ١٠٤ ، وفيه : أين السرور من ...

(٢) ديوانه : ٢٣١ ، وفيه : وفارقتُ خلاّناً بخلان .

(٣) في الديوان : فكم بدور على قضبان كثبان .

كتب إليَّ القاضي المهذَّبُ أبو محمد حسنُ بن علي بن الزبير [١] قصيدة نفَذها من أسوان وأنا بمصر . منها :

أَأَحبابَنا ما ليْ إذا ما ذكرْتُكُمْ ... وما أنا ناسٍ غالَ صبريَ غُولُ ؟
وإنْ شامَ بَرْقُ الشَّامِ طَرْفي وشَمَّرتْ ... على البُعْدِ عَنْهُ للظَّلام ذُيولُ
تَداركَ قلبي أنْ يَطيرَ صَبابَةً ... بَنانٌ كأُنبوبِ اليَراعِ نَحيلُ
وَخُيِّلَ لي أَنَّ السُّيُوفَ لِجَوِّهِ ... سُلِلْنَ وأَنّي بَيْنَهُنَّ قَتيلُ
لَئِنْ أَقْفَرتْ مِنَّا الدِيارُ وَمِنْكُمُ ... وأمْستْ مَغانيهِنَّ وَهْي طُلولُ
فإنّ لنا في آلِ مُنقِذَ أُسْوةً ... يَهُونَ لَدَيْها الخَطْبُ وَهوَ جَليلُ
نَبَتْ بِهِمُ أوطانُهُمْ فتَرَحَّلُوا ... وَلِلْمَجْدِ في ذاكَ الرَّحيلِ رَحيلُ
بِلادٌ بها مِنْ عِزِّهم وَعَطائِهِمْ ... وُعُورٌ لِمَنْ يَنْتابُها وَسُهُولُ
وَلِلدَّهرِ مِنْ أَيْمانِهِم وَوُجوهِهِم ... بها غُرَرٌ ما تَنْقَضي وَحُجُولُ
خَلَتْ فالرَّبيعُ الغَضُّ مُحْلٌ لِفَقْدِهِمْ ... بها وَالصَّباحُ المُسْتَنيرُ أَصيلُ
وَساروُا على رَغمِ العِدى وَدَليلُهُم ... ثَناءٌ لَهم في الخافِقَينِ جَميلُ
وَما كُنْتُ أدري قَبلَ أنْ يَتَرَحَّلُوا ... بأَنَّ الجِبالَ الرَّاسياتِ تَزُولُ
أذَلُّوا خُطُوبَ الدَّهرِ قَهراً فَبَيْنَهُم ... قَديماً وَبَينَ الحادِثاتِ ذُحولُ

القصيدة طويلة ، والمقصود : ذكر الأوطان منها .

(١) سبقت ترجمته ١/١٣٠ .

وقال أبو بكر بن اللبّانة :

قدْ طالَ بي أقْطَعُ البَيْداءَ مُنْفَرِداً وَليسَ يُسْفِرُ عنْ وَجْهِ المُنى سَفَرُ
كأنَّما الأرْضُ عني غَيرُ راضِيَةٍ فليسَ لي وَطَنٌ فيها ولا وَطَرُ

قلت : لي أبيات تشابه هذا المعنى ، وهي :

وقد أفْرَدَتْني الحادِثاتُ فلَيسَ لي أنيسٌ ولا في طَارِقِ الخَطْبِ أعْوَانُ (١)
كأنّيَ مِنْ غيرِ التُّرابِ نَبَتُّ بي الـ ـبِلادُ فما لي في البَسِيطَةِ أوطانُ
أجولُ كما جالتْ قَذَاةٌ بمُقْلَةٍ وأسري وساري النَّجْمِ في الأُفْقِ حَيْرانُ
إذا قُلْتُ هذا حِينَ أُلقِي عَصَا السُّرى دَعانيْ إلى التَّرْحالِ ظُلْمٌ وَعُدْوانُ

وقال أبو الفتيان بن حيُّوس :

وَلِلحَمِيَّةِ لا عَنْ زَلَّةٍ حَكَمَتْ بالبُعْدِ فارَقْتُ إخْوَاناً وأوطانا (٢)
تُخِيفُني بَلْدَةٌ حَتَّى أَميلَ إلى أُخرى كأنِّيَ عِمْرانُ بنُ حِطَّانا (٣)

قلت : ربّما وقف على هذين البيتين من يتطلّعُ إلى مَعنى قول أبي

(١) ديوانه : ١٠٥ عدا البيت الأخير .

(٢) ديوانه : ٦٥٧/٢ من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود بن صالح الكلابي أمير حلب مطلعها :

ظنّ الأراكَ لدى واديه أظعانا فلم يُطِقْ لرسيس الشوق كتمانا

ورواية الشطر الثاني فيه : « بالبعد فارقت أخداناً وخلاّنا » ،

(٣) في الديوان : « تخيفني بلد حتى أعود إلى » .

الفتيان : « كأنِّي عِمرانُ بنُ حِطَّانا » ، فرأيتُ أنْ أذْكُرَ شيئاً مِنْ أخباره وإنْ لم يَقْتَضِ التأليف ذلك .

عنِ الهيْثَمِ بن عَديّ [١] قال : طَلَب الحجَّاجُ عِمرانَ بن حِطَّان السَّدوسي [٢] وكان من [قعدة] الخوارج ، وكتب فيه إلى عمَّالـه ، وإلى عبد الملك بن مروان ، فهرب ، فلم يزل يتنقل في أحياء العرب .

وقال في ذلك :

حَلَلْنا في بَني كَعْبِ بْنِ عَمْروٍ وَفي عَـكٍّ وَعامِرِ عُوثْبانِ [٣]

(١) الخبر بطوله في « الأغاني » ١٨/٥١ ، و« الكامل » : ٨٩٦ .

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم وفقيههم ، وكان قبل ذلك من رجال العلم والحديث من أهل البصرة ، وأدرك جماعـــة من الصحابة فروى عنهم ، وروى أصحاب الحديث عنه ، ثم صار في آخر أمره أن رأى رأي الخوارج .

(٣) رواية البيت في « الكامل » :

نزلنا في بني سعد بن زيد وفي عكٍّ وعامرِ عوْبثانِ

وعلى هامش « الكامل » زيادة من إحـــدى النسخ المخطوطة نصها : « عامر عوثبان » : قبيلة من الأزد ، والعدان من بني مداج ، من ولد زاهر بن مراد . وقـــد قيل : هو عوثبان بن زاهر بن مراد بن نحاير ، وهو مراد ، ويقال : عوبثان بتقديم الباء ، فوعلان من عبث .

وَفي جَرْمٍ وَفي عَمْروِ بن مُرٍّ   وَفي زَيْدٍ وحيّ بني العَـدانِ (١)

ثم لحق بالشَّـام فنزل برَوْحِ بن زِنباع الجُذامي ، فقال له روح : من أنت؟ فقال : من الأَزْد أزدِ الشُّراة ، وكان رَوْح يسْمُرُ عند عبد الملك بن مروان ، فقال لعبد الملك : إن في أضيافنا رَجُلاً ما سَمِعْتُ مِنْكَ حديثاً [قط] إلاّ حدَّثني به ، وزادني مالمْ يَكُنْ عندي ، فقال : مِمّن هو ؟ قال : مِنَ الأَزْد ، قال : إني لأَسْمَعُكَ تَصِفُ عِمْران بن حِطَّان ، أسمَعُكَ تَصِفُ وتذكر لغـةً نِزارِيّة . قال روح : وما أنا وعِمْران بن حطان ، ثم أنشد عبد الملك :

ياضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ ما أرادَ بها   إلاّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضْوانا
إنّي لأَذْكُرُه حيناً فأَحسبُهُ   أَوْفى البَرِيّـةِ عند الله ميزانا

ثم قال عبد الملك : مَنْ يَعْلَمُ مِنْكُم قائلهـا ؟ فسَـكَتَ القَوْمُ جميعاً ، وراح رَوحُ بن زنباع إلى أضيافه ، فقال لهم : قد سألـنا عبدالملك عن قول الشاعر ، ومن هو ؟ :

ياضَرْبَةً مِنْ تقِيٍ ما أرادَ بهـا   إلّا ليَبْلُغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضوانا

فلم يَكُنْ عند أحدٍ منا علم ، فقال له [عمران] : هـذا قول عمران

(١) رواية البيت في « الكامل » :

وفي لَخْمٍ وفي أُدَدِ بنِ عَمْروٍ   وفي بكر وحيّ بني العَدانِ

ابن حطان في عبد الرحمن بن مُلْجَم قاتل علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه، فراح رَوْحُ فأخبر عبد الملك فقال: من أخبرك؟ قال: ضيفي، قال: أظنُّه والله عِمران بنَ حطان، فأعلِمه أني قد أمرتُكَ أن تأتيني به، فقال: أفعل. فراح رَوْحُ إلى أضيافه، فأقبل على عِمْرانَ، فقال لهُ: إنّي ذَكَرْتُكَ لعَبْدِ الملك فأمرَني أن آتِيَه بكَ، فقال: قد كُنْتُ أُحِبُّ ذاكَ، وما منعني مِنْ ذِكْرِهِ إلاَّ الحياءُ، وأنا متَّبِعُكَ، فدَخَل رَوْح على عبد الملك، فقال لهُ: أينَ صاحِبُك؟ قال: قال لي: أنا متَّبِعُك فانطلِق. فقال عبد الملك: أظنُّك والله سترجعُ فلا تجدُه. فلما رجع رَوْح إلى منزلِهِ، فإذا عِمْرانُ قد مَضى، وإذا هو قد خلَّفَ رُقعةً في كُوَّةٍ عند رأسه[1] وإذا فيها:

يارَوْحُ كم مِنْ أخي مَثْوىً نَزلتُ بهِ ... قد ظَنَّ ظَنَّكَ مِنْ لَخْمٍ وَغَسَّانِ[2]

حتى إذا خِفْتُهُ زَايَلْتُ مَنْزِلَهُ ... مِنْ بَعْدِ ما قيلَ عِمْرانُ بن حِطّانِ[3]

قد كُنْتُ ضَيفَكَ حوْلاً لا تُرَوِّعُني ... فيهِ طَوارِقُ مِنْ إنسٍ وَمِنْ جانِ[4]

---

(١) في «الأغاني»: عند فراشه.

(٢) يقال: هذا أبو مثواي، وللأنثى: هذه أم مثواي، ومنزل الضيافة وما أشبهها: المثوى.

(٣) في «الأغاني» و«الكامل»: فارقت منزله.

(٤) رواية البيت في «الكامل»:

قد كنت جارك حولاً ما تروِّعني ... فيهِ روائعُ من إنسٍ ومن جانِ —

حتى أرَدْتَ بِيَ العُظْمى فأوْحَشَني ... ماأوْحَشَ النَّاسَ من خَوْفِ ابن مرْوانِ[١]

فاعْذُرْ أخاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنَّ له ... في الحادِثاتِ هَنَاتٍ ذاتَ ألوانِ[٢]

يوماً يَمانٍ إذا لاقَيْتُ ذا يَمَنٍ ... وَإنْ لَقِيتُ مَعَدِّيّاً فَعَدْناني

لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِراً يوماً لطاغِيَةٍ ... كُنْتَ المُقَدَّمَ في سِرِّي وإعلاني[٣]

لكنْ أبَتْ لِيَ آياتٌ مُطَهَّرَةٌ ... عِنْدَ التّلاوَةِ مِنْ طَـه وَعِمْرانِ

قال: ثم أتى عمرانُ بنُ حطان الجزيرة، فنزل بزُفَرَ بنِ الحارِثِ الكلابي بِقَرْقِيسِيا[٤] فجعل شبابُ بني عامر يتعجَّبونَ من طُولِ صَلاتِهِ، وانتسبَ لِزُفر أوْزَاعِياً، فقدم على زُفر رَجُلٌ من أهل الشَّام، وكان قد رأى عمران ابن حطان عند رَوْح بن زنباع، فصافحه وسـلَّمَ عليه، فقال زفر للرجل الشَّامي: أتعرفه؟ قال: نعم، هذا الشيخ من الأزد، فقال زُفر: أزدي

ـ قال المبرد: وقوله: فيه روائع. الواحدة: رائعة، يقال: راعني يروعني روعاً، أي: أفزعني. وفي «الأغاني»: «من إنس ولا جان».

(١) في «الـكامل»: فأدركني ما أدرك الناس...

(٢) في «الـكامل»: في النائبات خطوباً ذات...

(٣) قوله: لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية. قال المبرد: يكون على وجهين: لنفس طاغية، والآخر للمذكر، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة، كما يقال: رجل راوية، وعلاّمة، ونسّابة، وكلاهما وجه.

(٤) قرقيسيا: بلد على الخابور عند مصبّه، وهي على الفرات، جانب منها على الخابور، وجانب على الفرات، فوق رحبة مالك بن طوق.

مرة، وأوزاعيّ مرة ؟ إن كُنْتَ خائفاً أمَّنَّاكَ ، وإن كُنْتَ عائِلاً أغْنَيْنَاكَ ، فقال : إنَّ الله هو المُغني ، وخرج من عنده وهو يقول :

إنَّ التي أَصْبَحَتْ يَعْيا بِهـا زُفَرٌ أَعْيا عَياها على رَوْحِ بن زِنباعِ [(١)]
أمسى يُسـائلني حَوْلاً لأُخْبِرَهُ والنَّاسُ من بَين مَخدوعٍ وخَدَّاعِ [(٢)]
حتى إذا انْجَذَمَتْ مِنّي حَبائِلُهُ كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهْلاعي [(٣)]
فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحٌ إنَّني رَجُلٌ إمَّا صَريحٌ وإمَّا فَقْعَـةُ القاعِ [(٤)]
أمَّا الصَّـلاةُ فإني غيرُ تارِكِها كلُّ امرىءٍ بالذي يُعْنى له سَاعِ [(٥)]
فاكْفُفْ شَبابَكَ عن هَزْلي وَمسْأَلَتي ماذا تُريـدُ إلى شيخٍ لأَوْزاعِ [(٦)]

---

(١) في « الكامل » و « الأغاني » : « أعيت عياءً » .

(٢) في « الكامل » : مازال يسألني .

(٣) في « الكامل » : حتى إذا انقطعت عني وسائله . قال المبرد : الوسائل، واحدها : وسيلة ، وهي الذريعة والسبب ، وقوله « ولم يولع باهلاعي » ، أي : بافزاعي وترويعي ، والهلع من الجبن عند ملاقاة الأقران .

(٤) في « الكامل » : « كما كف عني ... إما صميم » والصميم : الخالص من كل شيء . وقوله : « وإما فقعة القاع » . قال المبرد : يقال لمن لا أصل له : هو فقعة بقاع ، وذلك لأن الفقعة لا عروق لها ولا أغصان ، والفقعة : الكمأة البيضاء .

(٥) في « الكامل » و « الأغاني » : الذي يعنى به .

(٦) في « الكامل » : واكفف لسانك عن لومي .

أَكْرِمْ بِرَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وَأُسْرَتِهِ   قوماً دعا أَوَّلِيهِمْ لِلْعُلى دَاعِ
جاوَزْتُهُمْ سَنَةً فيما دَعَوْتُ بِهِ   عِرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غيرُ تَهْجاعِ (١)
فاعمَلْ فإِنَّكَ مَنْعِيٌّ بجادِثَةٍ   حَسْبُ اللَّبيبِ بهذا الشَّيْبِ من ناعِ (٢)

ثم خرج ، فنزل بعُمانَ بقَوْمٍ يُكثرون (٣) ذكر أبي بلال ، ويبكون عليه ، ويذكرون مقتله ، فأظهر أمرَهُ عندَهُمْ ، فبلغ الحجّاج مكانه ، فطلبه فهرب ، فنزل فيروذستان (٤) ، طَسُّوجاً مِنْ طَساسيج السَّواد إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات . وفي ذلك يقول :

نَزَلتُ بِحَمْدِ اللهِ في خيرِ أُسْرَةٍ   أُسَرُّ بما فيهم مِنَ الخيرِ والخَفَرْ (٥)
نَزَلتُ بقومٍ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُم   وَليسَ لَهم عُودٌ سوى المَجْدِ يُعْتَصَرْ
مِنَ الأَزْدِ إنَّ الأَزْدَ أكرمُ أُسرَةٍ   يمانيَةٍ قَرِبوا إذا انتَسَبَ البَشَرْ (٦)

---

(١) في « الكامل » : فيما أُسِرُّ به .

(٢) في « الكامل » : بواحدة .

(٣) في « الكامل » : يعظمون .

(٤) في « الأغاني » : روذميسان . والطسوج : الناحية .

(٥) في « الأغاني » : من الانس والخفر . قال اليزيدي : الانس بالكسر : الاستئناس . وأصل الخفر : شدة الحياء ، يقال : امرأه خفرة : إذا كانت مستترة لاستحيائها .

(٦) في « الكامل » : يمانية طابوا . قال المبرد : وقوله : إن الأزد أكرم أسرة ، يقول : عصابة وقبيلة ، وقربوا : أراد : قَرُبوا . وفي « الأصل » : تربوا .

فأَصْبَحْتُ فيهم آمِناً لا كَمعْشَرٍ　　أَتَوني فقالوا مِنْ رَبيعَةَ أو مُضَرْ ؟
أو الحيِّ قَحْطانٍ ؟ وَتِلْكُمْ سَفاهَةٌ　　كما قال لي رَوْحٌ وَصاحِبُه زُفَرْ
وَما فيهِمُ إلاّ يُسَرُّ بِنِسْبَةٍ　　تُقَرِّبُني منه وإنْ كانَ ذا نَفَرْ [1]
فنَحْنُ بَنُو الإِسلامِ واللهُ واحِدٌ　　وَأَوْلى عِبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ

هذا الذي أشار إليه أبو الفتيان بن حيوس .

قلت : وقد نزلت بصُور في دار ابن أبي عقيل ، وكتبتها على بعض الرخام :

دارٌ سَكَنْتُ بها كُرْهاً وما سَكَنَتْ　　نفسي إلى سَكَنٍ فيهـا وَلا شَجَنِ
والقَبْرُ أَرْفَقُ لي منها وأَجْمَلُ بي　　إنْ صَدَّني الدَّهرُ عن عَوْدٍ الى وَطني

★ ★ ★

(١) في « الكامل » : وما منهم إلا يسر بنسبة . قال المبرد : معناه : وما منهم واحد ، فحذف لعلم المخاطب . قال الله جل اسمه : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي : وإن أحد .

فصل آخر
في ذكر الأوطان

قال البحتري :

إذا نِلْتَ في أرْضٍ مَعَاشاً وانْ نأَتْ فلا تُكْثِرَنْ فيها نِزاعاً الى الوَطنْ [1]
فما هِيَ إلاَّ بَلْدَةٌ مِثْلُ بَلْدَةٍ وَخيرُهُما ما كانَ عَوْناً على الزَّمنْ

وقال أيضاً :

كمْ مَشْرِقٍ لي قد نَقَلْتُ نَوَالَهُ فجَعَلْتُهُ لي عُـدَّةً لِلْمَغْرِبِ [2]
وأَحَبُّ أوْطانِ البِلادِ إلى الفتى أرْضٌ ينالُ بها كريمَ المَكْسَبِ [3]

وقال آخر :

---

(١) لم نجدهما في الديوان . وفي « اللسان » : يقـال للانسان إذا هوي شيئاً ونازعته نفسه اليه : هو ينزع إليه نزاعاً .

(٢) ديوانه : ١/٢٨٣ من قصيدة يمدح بها أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد المروزي ، مطلعها :

إما ألمَّ فبعدَ فرطِ تجنُّب أو آبَه همٌّ فمينْ متأوِّب

وفيه : « كم مشرقي . . . »

(٣) في الديوان : « وأحب آفاق . . . كريم المطلب » .

لا يَصْرِفَنَّكَ عَن عَزْمٍ تَهُمُّ بِهِ   نُزُوعُ نَفْسٍ الى أهلٍ وَأَوْطانِ (١)
تلْقى بكُلِّ بلادٍ أنْتَ ساكِنُها   أَرْضاً بأَرْضٍ وَإِخواناً بإِخوانِ

وقال آخر : « هـذا الشاعر اسمه صَرَّدُرْ ، وهو مشهور ، وله ديوان عندي » (٢)

قَلْقِلْ رِكابَكَ في الفَلا   وَدَعِ الغواني في القُصُورِ (٣)
فَمُخَالِفي أوطـانِهِم   كشَبيـهِ سُكَّانِ القُبُورِ
لَوْلا التَّغَرُّبُ ما ارْتَقى   دُرُّ البُحُورِ الى النُّحُورِ

وقال آخر :

---

(١) البيتان في « ديوان المعاني » ١٨٦/٢ وفيه قال أبو دلف : هذا ألأم بيت قالته العرب . قال أبو هلال : النزوع هاهنا رديء ، والجيد النزاع . وإنما جعل أبو دلف هذا البيت ألأم بيت ، لأنه يدل على قلة رعاية ، وشـدة قساوة . وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد ، لما فيه من الدلالة على كرم الطينة ، وتمام العقل .

(٢) هذه الجملة كتبت بخط مغاير للأصل ، ولعلها ممـا أضيف إلى الأصل ممن قرأ الكتاب وليست منه . وصردر : هو أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي الشاعر الـكاتب ، أحـد نجباء عصره ، جمع بين جودة السبك ، وحسن المعنى . كان يقال لأبيه : صربعر ، لبخله ، وانتقل إليه اللقب حتى قال له نظام الملك : أنت صردر ، لا صربعر ، فلزمته . توفي سنة ٤٦٥ هـ .

(٣) ديوانه : ٢١٠ .

لَأَرْحَلَنَّ المطايا رِحْلَةً عَجَباً ... يكونُ أدنى مَداها الصِّينُ أو عَدَنُ
فكُلُّ خِلٍّ اذا صافَيْتَهُ سَكَنٌ ... وكُلُّ أرضٍ اذا أحمدْتَها وَطَنُ

وقال الشريف المرتضى رحمه الله :

ومُلَوَّحِ الخَدَّيْنِ تَحمِلُهُ ... أبداً على أعناقِها السُّبُلُ (١)
نابٍ عن الأوطانِ فهو متى ... ظَفِرَتْ به الأوطانُ يرتحِلُ
تَرَكَ البِلادَ لِمَنْ أقامَ بها ... وتَقَطَّعَتْ عَنْ عِيسِهِ العُقُلُ
يَسْعى الى العَلْياءِ يُحْرِزُها ... سَعْياً تحامى وَقْعَهُ الزَّلَلُ
واذا الفتى كُتِبَ النَّجاءُ لهُ ... فالكَلْمُ يَعْفُو والأذى جَلَلُ

وقال الشيخ أبو العلاء بن سليمان المعري :

يا لَهفَ نَفْسي على أنّي رَجَعْتُ الى ... أرْضِ الشَّآمِ وَلَمْ أهلِكْ بِبَغْداذا (٢)
اذا رَأَيتُ أُموراً لا تُوافِقُني ... قُلتُ الإيابُ إلى الأوطانِ أدّى ذا

وقال جدّي الأمير سديد الملك ، ذو المناقب ، أبو الحسن ، علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ رحمه الله :

ولَسْتُ بِحَيَّارِ العَزيمةِ إنْ جرتْ ... عَلَيْهِ رِياحُ الخَطْبِ وَهيَ زَعازِعُ

---

(١) ديوانه : ٥/٣ من قصيدة يهنىء بها أباه بعيد النحر، مطلعها :

علٌّ الهوى يهفو به العَذَلُ ... ويغضٌّ من جمحاتِه المَلَلُ

(٢) اللزوميات : ١/٣٠٣ .

يَكُرُّ إلى الأَوْطانِ طَرْفاً مُوزَّعاً ... يَلِينُ لهـا طَوْراً وطَوْراً يُمانِعُ
إذا سَافَ مِنْ تِلْقائِها الرِّيحَ لم يَزَلْ ... لهُ نَفَسٌ في إثْرِها مُتَتابِعُ (١)
أبى ذاكَ نفسٌ لا يُداني عقالَهـا ... ثَوَاءٌ ولا تَقْضي عليهـا المطامِعُ

وقال أيضاً :

لله ما طَيْفٌ أَلَمَّ بِفِتْيَـةٍ ... تَحْنُو رُؤُوسُهُمُ على الأكوارِ
يَطْوي بهم عَرْضَ الفَلاةِ مُسَرْبَلٌ ... حُلَلَ الثَّناء مُمَزَّقُ الأطمارِ
لا تَلْفِتُ الأَوْطانُ عَزْمَتَهُ ولا ... يَهْدي الحَنينَ إلى رُسُومِ الدّارِ

وقال آخر :

وَقارَعَتْني صُرُوفُ الدَّهرِفانْكَشَفَتْ ... طَخْياؤُها عن كَرِيمِ الأَصْلِ والغُصُنِ (٢)
عَنِ ابْنِ لَيْلٍ كَنَجْمِ اللَّيْلِ هِمَّتُهُ ... مُشَيَّعِ القَلْبِ لا يَلْوي على وَطَنِ
وَأَيُّ حُرٍّ إلى الأَوْطانِ مُلْتَفِتٌ ... إذا أَلَحَّ عليهِ الدَّهرُ بالمِحَنِ
أَيَنْفَعُ الظّامِئَ المَلْهُوفَ مَوْقِفُهُ ... وَقَدْ فَنِيَ الماءُ بَيْنَ الحَوْضِ والعَطَنِ
مُسَدَّدُ العَزْمِ إنْ نابَتْهُ نائِبَةٌ ... فَما يُقِيمُ على رَبْعٍ ولا سَكَنِ

وقال آخر :

---

(١) يقال : ساف يسوف سوفاً : إذا شم .

(٢) الطخياء : ظلمة الليل ، وليلة طخياء : شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرها .

قَوِّضْ خِيامَكَ عن أرضٍ تُهانُ بها   وَجانِبِ الذُلَّ إنَّ الذُلَّ يُجْتَنَبُ
وَارْحلْ إذا كانتِ الأَوْطانُ نابيةً   فالمَنْدَلُ الرَّطبُ في أوْطانِهِ حَطَبُ

وقلت وأنا بمصر :

يا مِصْرُ ما دُرْتِ في وَهمي وَلا خَلَدي   ولا أَجالَتْكِ خَلَواتي بأفكاري [1]
ما أنتِ أوَّلَ أَرْضٍ مسَّ تُرْبَتَها   جِلْدي ولا فيكِ أَوْطاني وأَوْطاري [2]
لكنْ إذا حُمَّتِ الأَقدارُ كانَ لها   قُوىً تُؤَلِّفُ بينَ الماءِ والنَّارِ

وقال آخر :

تَرَى الذي اتَّخَذَ الدُّنيا لهُ وَطَناً   لم يَدْرِ أَنَّ المنايا عَنْهُ تُزْعِجُهُ
مَنْ كانَ يَعلَمُ أَنَّ الموْتَ مَدْرَجُهُ   وَالقَبْرَ مَنْزِلُهُ والبَعْثَ مَخرَجُهُ
وأَنَّهُ بَينَ جنَّاتٍ سَتُبْهِجُهُ   يَوْمَ القِيامَةِ أوْ نارٍ سَتُنْضِجُهُ
فكُلُّ شيءٍ سِوى التَّقْوى بهِ سَمِجٌ   وما أَقامَ عليهِ فهوَ أَسْمَجُهُ

وقال آخر :

مِنَ الخَرابِ مِنَ الأَوْطانِ أَوْطاني   وَقَد مَضى لي في العُمْرانِ عُمْرانِ
قد لُمتُ أوَّلَ مَنْ يَثْني عِناني عَنْ   سُبْلِ الهوَى وَزَجَرْتُ الثَّانيَ الثَّاني
في مَجلِسٍ تُبْهِجُ الرَّائِينَ رُؤْيَتُهُ   وَلي قَرينانِ مِنْ حُلْوانِ حُلْوانِ

---

(١) ديوانه : ٧٥ .

(٢) في الديوان : « ... مس تربتها جسمي ... » .

لا يُخْجِران امرءاً عِنْدي بمَنْقَصَةٍ ... ولا إذا جادَتِ الكَفَّانِ كَفَّاني
لكنْ يُكَدِّرُ عَيْشي بُعْدُ ذي هَيَفٍ ... إدْمانُــه الخَطْرَ بالأَرْدَانِ أرْداني
تَقولُ ألحاظُهُ أنظُرْ فقَـدْ ضَمِنَتْ ... أشْباهَ ما ضَمَّتِ الأَجفانُ أجْفاني
جَفَا وَما كانَ يَجْفُوني وَغادَرَني ... مَيْتاً وَلوْ شاءَ في الأَحْيانِ أحياني
والحَينُ أبعَدَ عَن مأوايَ مَسْكَنَهُ ... وَلو تَقارَبَتِ الدّارانِ داراني
وَحاسِدٍ غَرَّهُ بُعْـدي فأسْخَطَني ... ولو تَجاوَرَتِ الأَرْضانِ أرْضاني
كَمْ قد وَرَى مِنْ حَسُودٍ ما يُعاينُ مِنْ ... فَضْلي وكَمْ قدْ شَجَى مِنْ شانِىءٍ شاني



فصـــل
في ذكر المدن

عن سَهْلِ بنِ عَبْد الله [1] رَحِمَه الله أَنَّهُ كان يُنْفِقُ مالَهُ في طاعة الله تعـالى ، فجاءَتْ أُمُّـه وإخوتُه إلى عبد الله بن المبارَك [2] رضي الله عنه يشكُونَه ، فقالوا : هـذا لا يُمسِكُ شيئاً ، ونخشى عليهِ الفَقْرَ ، فأرادَ عبد الله أن يُعينهم عليه ، فقال له سَهْل : يا عبد الله ! أرأيتَ لو أنَّ رَجُلاً من أهل المدينة اشترى ضيعةً برُستاقٍ [3] وهو يُريدُ أن يتحوّل من المدينة إليها ، أكان يُخَلِّفُ بالمدينة شيئاً ، وهو يسكُنُ الرّستاق ؟ فقال عبدُ الله

---

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، من العلماء الزهاد ، له كلام حسن في الاخلاص ، ورياضة النفس ، وعيوب الأفعال ، توفي سنة ٢٨٣ هـ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله المبارك بن واضح الحنظـلي بالولاء التميمي المروزي الحافظ شيخ الاسلام ، المجاهـد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً ، وجمع الحـــديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء . كان من سكان خراسان ، ومات بـ « هيت » على الفرات منصرفاً من غزو الروم سنة ١٨١ هـ .

(٣) الرستاق ، بضم الراء وسكون السين : أرض السواد والقرى ، ويقال فيها أيضاً : « رزتاق » و « رزداق » .

رحمه الله : خَصَمَكُم . يعني : أنه إذا أرادَ أن يتحوَّل إلى الرّستاق لا يترك بالمدينة شيئاً ، فالذي يُريدُ أن يتحوّل إلى الآخرة كَيْفَ يَـتْرُكُ في الدُّنيا شَـيئاً ؟!.

قال أبو نواس :

أيْنَ مَنْ كانَ قَبْلَنَا مِنْ ذَوي البَأْسِ والخَطَرْ (١)
سَائِلُوا عَنْهُمُ المَـدَا ئِن واسْتَخْبِروا الخَمَرْ (٢)
سَبَقُونا إلى الرَّحِيـ لِ وَإِنَّا لَبالأَثَرْ (٣)
مَنْ مَضى عِبْرَةٌ لَنَـا وَغَـداً نَحْنُ مُعْتَبَرْ

وقال أبو تمام :

قد قُلْتُ للزَّبَّاء لمـا أَصْبَحَتْ في حَـدِّ نابٍ للزَّمانِ ومِخْلَبِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٣٤٧ .
(٢) في الديوان « ... واستبحثوا الخبر » . والخمر في « اللسان » : الخـبر ، كما شرحه ابن سيدة في بيت استشهد به لطرفة .
(٣) في الديوان : « .... على الأثر » .
(٤) ديوانه : ١٠٢/١ من قصيدة يمدح بها عمر بن طوْق بن مالك بن طوق التغلبي مطلعها :

أحْسِنْ بأيامِ العقيق وأطْيِبِ والعيْشِ في أظْلالِهِنَّ المُعْجِبِ

قال التبريزي : والزباء هاهنا : مدينة خربة على شط الفرات ، والناس يحدِّثون أنها كانت للزَّبَّاء صاحبة جذيمة .

لِمدينَةٍ عَجْماءَ قد أمْسى البِلى فيها خَطيباً باللّسانِ المُعْرِبِ (١)
فكأنّما سَكَنَ الفَناءُ فِناءَها أوْ صالَ فيها الدّهرُ صَوْلَةَ مُغْضَبِ (٢)

وقلت :

سَلِ المَدائنَ عمَّنْ كانَ يَملِكُها هل آنسَتْ مِنْهُمُ مِن بَعْدِهِمْ خَبَرا
فلوْ أجابَتْكَ قالتْ وهيَ عالِمَةٌ بسِيرَةِ الذّاهِبِ الماضي ومَنْ غَبَرا
أرَتْهُمُ العِبَرَ الدُّنيا فما اعْتَبَروا فصَيّرَتْهُم لِقَومٍ بَعْدَهُم عِبَرا

عن سُلَيْمانَ بن عيَّاش (٣) قال : قالت أنيسَةُ زوجة جَبْهاء الأشْجَعي لجبهاء : لو هاجَرْتَ إلى المدينة ، وبعتَ إبلَكَ ، وافْتَرَضْتَ في العَطاء ، كان خَيراً لك ، قال : أفْعَلُ . فأقبل غادياً بإبِلِهِ ، حتى إذا كان بحرَّةِ وَاقِمٍ مِن شَرْقي المدينة ، شرّعها بحوْض وَاقِم يسْقيها ، فحنَّت ناقةٌ منها ، ثم نَزَعت ، وتبعتها الإبل ففاتته ، فقال جبهاء لزوجته : هذه الإبل لا تعقل ،

(١) قال التبريزي : عجماء : لا ينطق فيها ناطق ، لكن البلى والتغير بيِّنٌ فيها ، معرب عن ذهابها .

(٢) في الديوان : « سكن الفناء عراصها » .

(٣) الخبر مع الشعر في « الأغـاني » ١٨/٤٠ و « معجم البلدان » : ٧/٩٢ ، وجبهـاء لقب غلب عليه ، ويقال : جبيهاء ، واسمـه يزيد بن حُمَيْمة بن عبيد بن عقيلة الأشجعي ، شاعر بدوي ، من مخاليف الحجاز ، نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ، وهو من المقلّين المشهورين .

تَحِنُّ إلى أوْطانِها ، ونحنُ أولى بالحنين منها - أنتِ طالِقٌ إنْ لم تَرْجعي ، فعل الله بك وفعل . فردَّها وقال :

قالت أُنَيْسَةُ دَعْ بلادَكَ وَالتَمِسْ ... داراً بطَيْبَةَ رَبَّـةِ الآطامِ [١]

تَكْتُبْ عِيالَكَ في العطاء وَتَفْتَرِضْ ... وَكذاكَ يَفعلُ حازِمُ الأَقوامِ

فَهَمَمْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَيْلَ لِقاحِنا ... بِلوى عُنَيْزَةَ أوْ بِقُفِّ بَشامِ [٢]

إذْ هُنَّ عَنْ حَسَبِي مَذاوِدُ كُلَّما ... نَزَلَ الظَّلامُ بِعُصْبَةِ أَغْتامِ [٣]

إنَّ المدينَـةَ لا مَدينَةَ فالْزَمي ... حِقْفَ السِّنادِ وَقُنَّةَ الآجامِ [٤]

وَتَجـاوِري النَّفَرَ الذين بِنَبْلِهِم ... أَرْمي العَدُوَّ إذا تَهَضَّمَ رامِ [٥]

الباذِلِينَ إذا طَلَبْتُ تِلادَهُمْ ... وَالمانِعي ظَهْري مِنَ الغُرّامِ [٦]

---

(١) في « معجم البلدان » : بع تلادك . . . بيثرب .

(٢) عنيزة : قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم . وبشام : موضع ، سمي بذلك لكثرة شجر المساويك فيه . والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ .

(٣) الأغتام : جمع أغتم ، وهو من لا يفصح شيئاً .

(٤) في « الأغـاني » : « حقف الستار وقبـة الأرجام » وفي ياقوت : « حقف الستار وقنة الأرجام » وفيـه : الأرجام : جبل ، وأنشد البيت . وفي « الأغاني » بعد هذا البيت :

يحلبْ لك اللبن الغريض وينتزع ... بالعيس من يَمَن اليـك وشام

(٥) في « الأغاني » و « معجم البلدان » : إذا نهضت أرامي ، وهي أجود .

(٦) في « معجم البلدان » : من الجرّام .

قَدِمَ ابن المولى [1] في بعض سنِيّه العِراقَ ، فأخفق وطال مقامه ، فاشتاق المدينة وقال :

ذَهبَ الرِّجالُ فلا أُحِسُّ رِجالا ... وَأرى الإقامَةَ بالعِراقِ ضَلالا
وَأرَى المُرَجّي للعِراقِ وأهْلِهِ ... ظَمْآنَ هاجِرَةٍ يُؤمِّلُ آلا
وَطرِبْتُ أنْ ذَكرَ المدينَةَ ذاكِرٌ ... يَوْمَ الخميس فهاجَ لي بَلْبَالا [2]
وَجَعلْتُ أنظُرُ في السَّماء كأنَّني ... أبْغي بِناحِيَةِ السَّماءِ هِلالا
طَرَباً إلى أَهْلِ الحِجازِ وتارَةً ... أبكي بدَمْعٍ مُسْبَلٍ إسْبالا

* * *

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار ، شاعر متقدم مجيد ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ومداحي أهلها . ولد ونشأ بالمدينة ، والخبر مع الأبيات في « الأغاني » ٣/٢٩١ ، وتجريد « الأغاني » : ١/٤١٩ .

(٢) البلبال : شدة الهم .

فصل
في ذكر البلاد

عن عبد الله بن مَسْعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما مِنْ بَلْدَةٍ تاب فيها تائِبٌ إلاّ رَحِمَ اللهُ تعالى أهلَ تِلْكَ البَلْدَةِ، وَرَفع عَنْهُم العَذابَ» .

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : «أَيُّما رَجُلٍ جَلَبَ طعاماً إلى بَلَدٍ مِنْ بلادِ المسلمين، فباعه بسِعْرِ يومِهِ محتسباً، كان عند الله بمنزلة الشهيد» ، ثم تلا (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) [المزمل : ٢٠] [1] .

قال أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رضوان الله عليه : مِنْ سَعادَةِ الرَّجل خَمْسٌ : أَنْ تكونَ زوجتُه موافِقة، وأولادُه أبراراً، وإخوانُه أتقياءَ، وجيرانُه صالحين، ورِزْقُه في بلده .

---

(١) ذكره الزمخشري في « الكشاف » ١٥٥/٤ . قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث «الكشاف» : رواه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن ابراهيم عن ابن مسعود موقوفاً ، وفرقد ضعيف . ووصله ابن مردويه بذكر علقمة بن ابراهيم وعبد الله ، ورفعه أيضاً . وخرجه السيوطي في « الدر المنثور » ٢٨٠/٦ ، ونسبه إلى ابن مردويه .

عن الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول : شرُّ المال ما لا يُنْفَقُ ، وَشرُّ الإخوان الخَاذِلُ في الشَّدائد ، وشرُّ السلاطين مَن يخافُه البريء ، وشرُّ البلاد ما ليس فيه خِصب ولا أَمْن .

وقال أبو زياد الطائي :

أَحقَّاً عِبادَ اللهِ أَنْ لستُ ناسِياً بلادي وَلا قَوْمي وَلا ساكِناً نَجْدا
وَلا ناظِراً نَحوَ الحِمى اليومَ نَظْرَةً أُسَلِّي بها قَلْبي وَلا مُحدِثاً عَهْدا
بلادٌ بهـا نِيطَتْ عَليَّ تَمائِمي وَكان بها عَصْرُ الصِّبا نَضِراً رَغْدا
بلادٌ بها قومي وأرْضٌ أُحِبُّهـا وإنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ طُولِ هِجْرَتِها بُدّا

وقال صدقة بن نافع الغنوي :

أَلاَ لَيْتَ شِعْري هل أَسيرُ ناقتي بِبَيْضاء نَجْدٍ حَيْثُ كانَ مَسيرُها (١)
بلادٌ بهـا أَنْضَيْتُ رَاحِلَةَ الصِّبا وَلاَنَتْ لنا أَيَّامُها وَشُهُورُها
فَقَدْنا بها الهمَّ المُضِلَّ وشُرْبَه وَدارَ عَلَيْنـا بالنَّعيم سُرُورُها (٢)

حُكِيَ عن كاتبٍ لأَميرِ الحاجِّ أنه قال : نَزلنا مَرَّةً بظاهِر الكوفة ، ونحن متوجهونَ إلى الحاج ، فكنت كلَّ يَوْمٍ أغدو إلى الكوفة لِحوائجي ، ويقابلني رجلٌ زَمِنٌ يَزْحفُ ، فكنت أظنُّه يَقْصِدُ الحاج للسؤال ، فاتفق

(١) الأبيات مع آخر بعد الأول في « أمالي المرتضى » ٢/١٥١ ، وهي من إنشاد الأصمعي ، وفيه : هل تحِنَّنَّ ناقتي . . . ، وبيضاء نجد : موضع .

(٢) في « الأمالي » : الهمّ المكدَّر شُرْبُه ، وهي أجود .

أن تَبِعْتُه يوماً حتى كان بموضع يشرف منه على أخبية الحاج ، فسمعته يقول :

أَعلِمْتَ كَيفَ تَصبُّري ... عَنْ رُؤْيَةِ البَلَدِ الحرامْ
وَالمشْعَرَيْنِ وَمَسْجِدٍ ... بالخَيْفِ يُشْهَدُ كلَّ عامْ
وَعنِ التِزامِ المشْعَرَيْـ ... ـنِ وَعنْ صَلاةٍ بالمقامْ
وَعنِ الزِّيارَةِ للنَبِيْـ ... ـيِ المصطفى خَيرِ الأَنامْ
كَتَصَبُّرِ المَدْفوعِ بالْـ ... أَسْقامِ عَنْ طِيْبِ المَنامْ

قال : ثم ظَعنَّا عن الكوفة ليالِيَ [1] وأياماً ، ثم إني سمرت عند الأمير ليلةً فحدَّثتُه الحديث ، فأحضر نجاباً وثلاثة نُجب ، وقال لي : اذهب مع هذا النجاب فأْتِني به . فقلت : إنْ ذاك يشُقُّ عليَّ ، وأنا أَدُلُّ الرَّسولَ عليه . قال : قد عَلِمْتُ أنَّكَ تدلُّ الرَّسول ، ولكنِّي أَرَدْتُ عقوبتَك لتأخيرِك إخباري عنه ، فمضيتُ فأتيتُ به .

وقال أشجع السُّلَمي :

وَمُغْتَرِبٍ يَنْقَضي لَيْلُهُ ... فُنُوناً وَمُقْلَتُه تَدْمَعُ [2]
يُؤَرِّقُهُ نأْيُهُ في البِلادْ ... فما يَسْتَقِرُّ به مَضْجَعُ
إذا اللَّيْلُ أَلْبَسَه ثَوْبَهُ ... تَقَلَّبَ فيه فتىً مُوجَعُ

---

(١) في الأصل : لياليّاً .

(٢) الأبيات فى « تهذيب ابن عساكر » : ٣/٦٢ في ترجمة أشجع من قصيدة مطلعها :

أتصبر يا قلب أم تجزع ... فان الديار غداً بلقع

وقال آخر :

أَلا هَلْ إِلى نَصِّ النَّواعِجِ بِالضُّحى ... وَشَمِّ الخُزامى بِالغُوَيْرِ سَبِيلُ [١]

بِلادٌ بِها أَهْـلُ الهوى غيرَ أنني ... أَميلُ مع الأَقدارِ حيثُ تَميلُ

وقال أبو عبد الله محمد بن عثمان المعروف بابن الحدّاد الأَنْدَلسي [٢] يرثي صديقاً له :

تَيقَّنَ أَنَّ اللهَ أَكْرَمُ جِيرَةً ... فأَزْمَعَ عَنْ دَارِ الفَناءِ رَحيلا [٣]

فإِنْ أَقْفَرَتْ منهُ العُيُونُ فإِنَّه ... تَعوَّضَ منهـا بالقُلوبِ بَديلا

وَلَم أَرَ أُنساً بَعْدَهُ صارَ وَحْشَةً ... وَبَرْداً على الأَكبادِ صارَ غَليلا

وَمَنْ كُنَّ أَيامُ السُّرُورِ قَصيرَةً ... بهِ كانَ لَيْلُ الحُزنِ فيهِ طَويلا

وقال عُيينة بن الحُباب بن المنذر بن الجموح الأَنصاري :

أَراكُم بِقَلْبي مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ ... تُرَاكُم تَرَوْني بالقُلوبِ على بُعْدي

فُؤادي وَطَرْفي يَأْسَفانِ عَلَيكُمُ ... وَعِنْدَكُمُ رُوحِي وذِكْرُكُمُ عِندي

وَلَسْتُ أَلَـذُّ العَيْشَ حتى أَراكُمُ ... وَلو كُنْتُ في الفِرْدَوسِ أَوْجَنَّةِ الخُلْد

---

(١) يقال : نص الدابة ينصها نصاً : رفعها في السير . والنواعج من الابل : السراع البيض الكريمة . والخزامى : عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نَوْر كنور البنفسج .

(٢) تقدمت ترجمته ١/٣٤٨ .

(٣) كتب في الأصل إلى جانب هذه الأبيات : سهو كتب في غير موضعه .

وقالت امرأة من العرب زوَّجها عمُّها رَجُلاً شامِياً ، فنقلها إلى الشَّام ، فاشتاقت بلادها :

ألا يا خليليَّ اللَّذيْن أراهُما ... ذَويْ ثِقَتي مِنْ دُونِ مَنْ كانَ جافِيا
سَقى اللهُ - والسُّقيا إليه - بِلادَنا ... تخوم قناوين الذِّهابَ الغَوادِيا
بلادَ جَميعٍ والعَظيمِ أُحِبُّهم ... وإنْ كُنْتُ قدأَيقَنْتُ أنْ لا تَلاقِيا
ألا لَيْتَ لي عَمّاً بعَمّي وَليتَ لي ... مَكانَ بَنيهِ مِنْ مَعَدٍّ مَوالِيا
أُناساً إذا خافوا عليَّ ظُلامَةً ... وَضَيْماً أَحاطوا بالقَنا مِنْ وَرائيا
فلا بارَكَ الرَّحْمَنُ في وَجهِ حُرَّةٍ ... يَمانيةٍ بَعْدي تُحِبُّ شآمِيا

وقال مُوسى بن جابر الحنفي [١] :

وَجدْنا أبانا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ ... سِوىً بينَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزرِ

الفِزر : لقبٌ لسعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان أنهب معزاه بعكاظ

---

(١) هو موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد الحنفي اليمامي ، شاعر مكثر مخضرم نصراني . والأبيات في « شرح الحماسة » ١/٣٢٦ ، نسبها أبو تمام ليحيى بن منصور ، قال التبريزي : قال أبو رياش : هذا غلط من أبي تمام ، يحيى ابن منصور ، هو ذُهلي ، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي . قلت : والبيت الأول والثاني ، في « معجم الشعراء » للمرزباني : ٢٨٥ في ترجمة موسى ابن جابر .

ويقال لجماعة المعزى : الفِزر ، فسمي بذلك [١] .

فلمَّا نأَتْ عنَّا العَشيرَةُ كُلُّها ... أَنَخْنا فحالَفْنا السُّيوفَ على الدَّهرِ
فما أَسْلَمَتْنا عِندَ يَومِ كَريهَةٍ ... وَلا نَحْنُ أَغْضَيْنا الجُفُونَ على وِتْرِ

وقال هلال بن الأشعر المازني [٢] :

أقولُ وقدْ جاوَزْتُ نُقْمَى وَناقتي ... تَحِنُّ إلى جَنْبَي فُلَيْجٍ مع الفَجْرِ [٣]
سَقَى اللهُ يانَاقَ البِلادَ التي بها ... هَواكِ وإنْ عنَّا نأَتْ سَبَلَ القَطْرِ [٤]
فما عَنْ قِلًى مِنَّا لها خَفَّتِ النَّوى ... بنا عَنْ مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ
ولكنَّ صَرْفَ الدَّهرِ فرَّقَ بَيْنَنَا ... وبينَ الأَداني والفَتى غَرَضُ الدَّهرِ
فسُقْياً لِصَحْراءِ الإهالَةِ مَرْبَعاً ... وَللْوَقبا مِنْ مَنزِلٍ دَمِثٍ مُثْرِي [٥]

---

(١) في « مجمع الأمثال » : ٢١٢ للميداني : « لا آتيك معزى الفِزر » قالوا : الفزر، لقب سعد بن زيد مناة بن تميم ، وإنما لقب بذلك ، لأنه وافى الموسم بمعزى ، فأنهبها هناك ، وقال : من أخذ منها واحـــدة فهي له ، ولا يؤخذ منها فزر ، وهو الاثنان فأكثر ، والمعنى : لا آتيك حتى تجتمع تلك ، وهي لا تجتمع أبداً .

(٢) هو هلال بن الأسعر (كذا جاء بالسين في « الأغاني ») بن خالد المازني، شاعر إسلامي من شعراء العصر الأموي ، كان فارساً شجاعـاً ، عظيم الخلق ، شديد البأس والبطش، أكولاً ، وعمر طويلاً ، أقام في اليمن مدة، ومات في العراق.

(٣) البيت والذي يليه في « معجم البلدان » ٣٩٨/٦ . ونقمى : قال ياقوت : بالضم ثم السكون والقصر أيضاً : واد ، وفليج : واد أيضاً .

(٤) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .

(٥) صحراء الاهالة : موضع ذكره ياقوت ، ولم يبينه، واستشهد بهذا البيت. —

وَسَقْياً وَرَعْياً حيثُ حَلّتْ لِمازِنٍ   وأيّامِها الغُرِّ المُحَجَّلَةِ الزُّهْرِ

وقال آخر :[١]

وارْحَمتا لِلغَريبِ في البَلَدِ النَّا   زِحِ مــاذا بِنَفْسِهِ صَنَعا[٢]

فارَقَ أَحْبابَهُ فما انْتَفَعُوا   بالعَيْشِ مِنْ بَعْـدِهِ وَلا انْتَفَعا

وقال آخر : قيل : قائلهـا : بشر بن مروان . وقيل : عبد العزيز ابن مروان :

كَأَنّي وَعَمْراً لم نَسِرْ في مَجاهِلٍ   وَلَمْ نَزْجُرِ الوَجْناءَ في البَلَدِ القَفْرِ

لَحى اللهُ دُنياً تُدْخِلُ النّارَ أَهْلَها   وَتَهْتِكُ ما بَيْنَ الأَقارِبِ مِنْ سِتْرِ

هذان البيتان في عمرو بن سعيد بن العاص[٣] المعروف بالأَشْدَقِ حين قتله عبد الملك بن مروان .

_ ودمث : سهل لين ، ومثر : كثير الثرى خصب .

(١) في هامش الأصل ما نصه : هذان البيتان لعلي بن الجهم .

(٢) ديوان علي بن الجهم : ١٥٤ ، وانظر تخريجها هناك .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد بن العـاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي ، من خطباء العرب وبلغائهم ، وولي المدينة لمعاوية ، وابنه يزيد ، قتله عبدالملك سنة سبع أو تسع وستين ، وكان قد غلبه على دمشق بعد أن خرج منها لقتـال مصعب بن الزبير ، ثم عاد عبد الملك إلى دمشق ، فامتنع عمرو فيها ، فحاصره ، وتلطف إلى أن فتح أبوابها ، ودخلها عبد الملك ، فاعتزل عمرو بخمسمئة مقاتل ، ولم يزل عبد الملك يتربص به الفرصة حتى تمكن منه فقتله .

عن يحيى بن سعيد الأموي قال : كسا عبد الله بن الزبير رحمه الله قومه بني أسد جباباً . فقال أبو العباس الأعمى :

كَسَتْ أَسَدٌ إخوانَها ولَوْ انَّني ... بِبَلْدَةِ إخوَاني إذاً لَكُسيْتُ (١)

فلَمْ أرَ مِثْلَ الحيِّ حَيَّاً تَحَمَّلوا ... إلى الشَّامِ مَظْلُومينَ مُنْذُ بُرِيتُ (٢)

أَعَفَّ وَأَحْمى عِنْدَ مُخْتَلَفِ القَنَا ... وَأَعْلَمَ بالمِسْكينِ أَيْنَ يَبِيتُ

فلما قَدِمَ عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خَمْسٍ وسبعين ، دخل عليه أبو العباس الأعمى الشاعر . فلما رآه عبد الملك قال له : يا أبا العباس :

كَسَتْ أَسَدٌ إخوانَها ولَوْ انَّني ... بِبَلْدَةِ إخوَاني إذاً لَكُسيتُ

فقال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، أنا الذي أقولُ ذلك ، فالتفَتَ عبدُ الملك إلى مَنْ عندَه مِنْ بني أمية فقال : عَزَمْتُ على كلِّ رجلٍ إلّا كسا أبا العباس ، فكَسَوْهُ ثلاثين جُبَّةً سوى غيرها من الثِّياب .

وقال وجيه الدَّولة بنُ حمدان وهو بالأهواز :

نَأَيْتُ بشَخْصٍ في البلادِ مُشَرِّقٍ ... وقلْبٍ إليكُم بالحنين مُغَرِّبِ

لحى الله رأياً زَيَّنَ البُعْدَ عنكُمُ ... وَهِمَّةَ قلْبٍ رَخَّصَتْ في التَّقَلُّبِ

يطيبُ خبيثَ الأرض بالقُرْبِ منكُمُ ... وَيَخْبُثُ عندي بعدَكم كلُّ طيّبِ

---

(١) الأول والثاني في « الأغاني » ١٦/٢٣٢ .

(٢) في « الأغاني » : فلم تر عيني مثل حي تحملوا .

وقال آخر :

خَليلَيَّ لا تَستَسْلِما وَادْعُوا الذي ... لهُ كلُّ أمرٍ أنْ يَصُوبَ رَبيعُ

حَياً لبلادٍ شتَّتَ المَحْلُ أهلَهَا ... وَجَراً لعظْمٍ في شَظَاهُ صُدُوعُ

عَسى أنْ يَحُلَّ الحيُّ جَرْعاءَ وَاصلٍ ... وَعَلَّ النَّوى بالظَّاعنينَ تَريعُ

أفي كلِّ يَوْمٍ زَفْرَةٌ مُستَجدَّةٌ ... تَضَمَّنَهَا مني حَشىً وَضُلُوعُ

وقال آخر :

ألامُ على لَيْلى وَأحسِبُ أنَّني ... كريمٌ على ليلى وَغيري كريمُها [1]

لئنْ آثرَتْ بالوُدِّ أهلَ بلادِها ... عَلى نازِحٍ عَنْ أرْضِها لا أُلُومُها

وَما يستَوي مَنْ لا يُرى غيرَ لَمَّةٍ ... وآخرُ ثاوٍ عِنْدَها لا يَريمُها [2]

وقال آخر :

الحَيْنُ ساقَ إلى دِمَشْقَ وَما ... كانتْ دِمَشْقُ لأهلِنا بَلَدَا

قادَتْكَ نَفْسُكَ فاستَقَدْتَ لها ... وَأرَتْكَ أمرَ غِوايَةٍ رَشَدَا

وقلتُ وأنا بمصر سنةَ إحْدى وأربعين وخمس مائة :

---

(١) الأبيات في ديوان المجنون : ٢٥٣ ، وانظر تخريجها هنالك ، وفيه : « أحن إلى ليلى » .

(٢) في الديوان : « ومن هو ثاوٍ عندها ... » ولمة : اسم مرة من : ألمّ بفلان : أتاه فنزل به . ثاو : مقيم ، لا يريمها : لا يفارقها .

هَبْ أنَّ مِصْرَ جِنانُ الخُلْدِ ما اشْتَهَتِ النُّـفُوسُ فيها مِنَ اللَّذَّاتِ مَوْجُودُ [١]
ما فيكِ لي سَلْوَةٌ يا مِصْرُ عَنْ بَلَدٍ في أهلِهِ الفَضْلُ والإقْـدامُ والجُودُ
ماذا انتِفَاعي إذا كانتْ زَخارِفُها مَوْجودَةً وَحَبيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَما الحَياةُ لِمَنْ بانَتْ أحِبَّتُهُ رِضىً وَلا هُوَ في الأَحْياءِ مَعْدودُ

★ ★ ★

(١) ديوانه : ٦٥ عدا البيت الثاني .

فصل آخر

في ذكر البلاد

عن الزُّبيرِ بنِ العَوَّام رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليهِ وسلم يقول: «العِبادُ عِبادُ الله، والبلادُ بلادُ الله، فحيث وَجدْتَ خيراً فأَقِمْ واتّقِ الله تعالى»[1].

وقال بزرجُمهر: إنَّما يَستطيعُ الرَّحيلَ عن بلَدٍ مَنْ استطاعَ المُقامَ به.

وقال عيسى بنُ عليٍّ الموصلي:

ماذَمَمْتُ المُقامَ في بَلَدٍ قطُّ ... فعاتَبْتُهُ بغيرِ الرَّحيلِ

إنْ تَلَقَّاني الزَّمانُ بمكروهٍ ... تَلَقَّيْتُهُ بصَبْرٍ جميلِ

وقال المتلمس: واسمُهُ جَرير بنُ عَبْدِ المسيح[2]

(١) المسند ٣/١٤، ١٥ بلفظ «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيراً فأقم» وإسناده ضعيف، فيه مجاهيل، والحديث في «الجامع الصغير» ٣٢٢١، وقال شارحه المناوي: قال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف، وقال تلميذه الهيثمي: وفيه جماعة لم أعرفهم، وتبعه السخاوي وغيره.

(٢) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة من ربيعة، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، كان ينادم عمرو بن هند ملك -

إنَّ الهوانَ حِمارُ البيتِ يَعرِفُهُ وَالحُرُّ يُنْكِرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُدُ (١)
وَفي البِلادِ إذا ما خِفْتَ نائِرَةً مَشْهُورَةً عَنْ وُلاةِ السُّوءِ مُنْتَفَدُ (٢)
إنَّ الدَّنيَّةَ لا يَرْضى بِها أَحَدٌ إلاَّ الأَذلاَّنِ عَيْرُ السُّوءِ وَالوَتِدُ (٣)
هذا على الخَسْفِ مَحْبُوساً برُمَّتِهِ وَذا يُشَجُّ وما يبكي لهُ أَحَدُ (٤)

وقال أيضاً :

إنَّ العِراقَ وَأَهْلَهُ كانوا الهوى فإذا نَبا بكَ وُدُّهُمْ فلْيَبْعدِ (٥)

العراق ، ثم هجاه ، فأراد عمرو قتله ، ففر إلى الشـــام ، ولحق بآل جفنة ، ومات ببصرى .

(١) الأبيات في «شعراء النصرانية» : ٣٤٣ ، وفي الأصل تحت كلمة«الرسلة» : الناقـــة السهلة ، والأجد : الناقة الموثقة الخلق .

(٢) في الأصل تحت كلمة«نائرة» ما نصه : «ماتنفر منه ، والنَّوار : النَّفور».اه والمنتفد : المتنحّي ، وفي شعراء النصرانية « عن ولاة السوء مبتعد » .

(٣) رواية البيت في « شعراء النصرانية » :

ولن يقيم على خَسْفٍ يُسامُ به إلا الأذلان عيْرُ الحي والوتد

والعير : الحمار ، وغلب على الوحشي ، والمناسب هنا : الأهلي .

(٤) في « شعراء النصرانيـة » : « ... على الخسف مربوط ... فما يرثي له أحد » . والخسف : النقيصة ، والرمة ، بضم الراء وتكسر : قطعة من حبل ، والشج : الكسر والدق .

(٥) الأبيـات في « الأغاني » ٢٣/٥٥٥ ، و « شعراء النصرانية » : ٣٤٠ من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند .

فلَتَتْرُكَنّهمُ بلَيْلٍ ناقَتي   تَذَرُ السّماكَ وَتَهْتَدي بالفَرْقَدِ (١)

لِبلادِ قومٍ لا يُرامُ هَديُّهمْ   وَهَديُّ قومٍ آخرينَ هُوَ الرَّدي (٢)

الهدي : الجار . يعرّض بعمرو بن هند ، وطرفة بن العبد .

وقال الحارث : (٣)

قالتْ سُلَيْمى قد غَنيْتَ فتىً   فاليَوْمَ لا تُصْمي وَلا تُنْمي (٤)

المَوْتَ تَخْشى أنْ تُوافِقَهُ   وَالموْتُ يُدْرِكُ آبِدَ العُصْمِ (٥)

قوِّضْ خِيامَكَ والتَمِسْ بَلَداً   يَنْأى عَنِ الغاشيْكَ بالظُّلْمِ (٦)

وقال آخر :

وكلُّ البلادِ بلادُ الفتى   وَما بَيْنَهُ وبلادٍ نَسَبْ

---

(١) في « الأغاني » : السماك يمان ، والفرقد شامي .

(٢) في « الأغاني » : الهدي : الجار هنا ، والهدي أيضاً : الأسير ، يقول : إن جار غسان لا يضام ، ولا يرام بسوء .

(٣) هو الحارث بن وعلة بن عبد الله من بني جرم بن ربّان ، شاعر جاهلي ترجمته في « السمط » ٥٨٥ و « الأغاني » ٢٢/٢٢١ ، والأبيات وردت في « الاختيارين » ١١٧ ضمن قصيدة مطلعها :

لِمن الديارُ بشطّ ذي الرَّخم   فمدافعِ التِّرباعِ فالرَّخم

(٤) في « اللسان » : الاصماء : أن تقتل الصيد مكانه ، ومعناه : سرعة إزهاق الروح ، من قولهم للمسرع : صَمَيان ، والانماء : أن تصيب إصابة غير قاتلة في الحال.

(٥) العصم جمع : أعصم ، وهو من الظباء والوعول ، مافي ذراعيه أو في أحدهما بياض ، وسائره أسود أو أحمر .

(٦) في « الاختيارين » : قوض خباءك فالتمس .. تنأى ..

إذا بَلَدٌ بكَ يوْماً نَبا فلا تَخْلُدَنَّ به واغْترِبْ

وقال زياد بن منقذ بن عمرو بن عبد الله [١] :

لاحبَّذا أنتِ ياصَنْعاءُ مِنْ بلَدٍ ولا شَعُوبُ هوىً مِنَّا ولا نُقُمُ [٢]

ولا أُحِبُّ بلاداً قد رَأَيْتُ بها عَنْساً وَلا بلَداً حَلَّتْ بهِ قُدُمُ

شَعُوب ونُقُم ، وعَنْسٌ وقُدُم : قبائل من اليمن ، ومن عنس عَمَّارُ بن ياسر رضي الله عنه ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَشْهَدْ أحدٌ من المسلمين بدراً أبواه مؤمنان غيرُه . ومنهم [٣] ، الأسود العنسي الكذّاب الذي ادَّعى النُّبُوَّة .

إذا سَقى اللهُ أرْضاً صَوْبَ غادِيَةٍ فلا سَقَاهُنَّ إلاَّ النَّارَ تَضْطَرِمُ [٤]

---

(١) في « المؤتلف والمختلف » : المرّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثربيّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قال البغدادي في « خزانة الأدب » ٢/٣٩٥ : واسم المرارهذا : زياد بن منقذ ، قاله الحصري في « زهر الآداب » . وقد اضطرب الرواة فيمن تنسب اليه هـذه الأبيات ، انظر « السمط » : ٧٠ .

(٢) الأبيات في «الحماسة» بشرح المرزوقي : ١٣٨٩ ، وشرح الشواهد «للعيني»: ٢٥٧/١ ، وشرح شواهد « المغني » للسيوطي : ٤٩ ، وفي « معجم البلدان » : صنعاء . وكان زياد بن منقذ العدوي نزل صنعاء فاستوبأها ، وكان منزله بنجد فيوادي أشي ، فقال يتشوق ، ثم ذكر بعض الأبيات . قال المرزوقي : شعوب ونقُم : موضعان باليمن.

(٣) أي : من قبيلة عنس .

(٤) الغادية : السحابة التي تغدو نهاراً . و « تضطرم » في موضع الحال للنار .

وَحَبَّذا حِينَ تُمْسِي الرِّيحُ بارِدَةً ... وَادي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ بهِ هُضُمُ (١)

وادي أُشَيٍّ : بالمدينة .

المُوسِعُونَ إذا ما جَرَّ غَيْرُهُمُ ... على العَشيرةِ والكافُونَ ماجَرَمُوا (٢)

والمُطْعِمُونَ إذا هَبَّتْ شَآمِيَةً ... وَباكَرَ الحَيَّ مِنْ صُرّادِها صِرَمُ (٣)

هُمُ البُحُورُ عَطاءً حِينَ تَسْأَلُهُم ... وَفي اللِّقاءِ إذا تَلْقى بِهِمْ بُهَمُ (٤)

وَهُمْ إذا الخَيْلُ حالُوا في كَواثِبِها ... فَوارِسُ الخَيْلِ لا مِيلٌ ولا قَزَمُ (٥)

---

(١) أشي ، بضم الهمزة ، وفتح الشين المعجمة ، وتشديد الياء : موضع بناحية اليمامة . والهضم : جمع هضوم ، وهو المنفق لماله .

(٢) في « الحماسة » و« معجم البلدان » : الواسعون . قال المرزوقي : الواسعون: مأخوذ من الوسع ، وهو الطاقة ، ويقال : لا يسعك كذا ، أي : لست منه في سعة .

(٣) قال المرزوقي : وقوله : « والمطعمون » حذف مفعوله ، وانما يصفهم بأنهم يقيمون القرى للأضياف إذا هبّت الريح شمالاً وغادى الحيّ السحائب الباردة طوائف وفرقاً .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي لايدرى كيف يؤتى له ، لاستبهام شأنه وتناهي شجاعته .

(٥) الكاثبة : قدام المنسج من الدابة ، وهي أعلى الظهر منها ، والميل : جمع أميل ، وهو الذي يذود عن وجه الكتيبة عند الطعان ، ويقال : حال في ظهر دابته : إذا ركبها .

لم أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فأَخْبِرَهُمْ ... إلّا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إليَّ هُمُ

وقال المتنبي :

شَرُّ البلادِ بلادٌ لا صَديقَ بهـا ... وَشَرُّ ما يَكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ (١)

وَشَـرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحتي قَنَصٌ ... شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيه والرَّخَمُ (٢)

وقال أيضاً :

بلادٌ إذا زارَ الحِسانَ بغَيْرِها ... حَصا أرْضِهـا نَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ (٣)

وَما بَلَدُ الإنسانِ غَيْرُ المُوافِقِ ... وَلا أَهْلُهُ الأَدْنَوْنَ غيرُ الأَصادِقِ (٤)

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

تَذَكَّرْتُ مِنْ ماءِ العَواصِمِ شَرْبَةً ... وَزُرْقُ العَوالي دُونَ زُرْقِ جِمامِهِ (٥)

---

(١) ديوانه : ٣/٣٧٣ من قصيدته التي يعاتب بها سيف الدولة . ويصم : يعيب .

(٢) الرخم : جمع رخمة ، وهو طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة .

(٣) ديوانه : ٢/٣١٨ ، وفيه : « ثقبنه بالمخانق » والمخانق : العقود ، واحدها: مخنق ، يقول : إذا حمل حصى هذه الأرض إلى النساء الحسان بأرض غيرهـا ، ثقبنه لمخانقهن ، لحسنه ونفاسته .

(٤) الأصادق : جمع صديق ، وهم الذين يصدقون الود ، والأدنون : الأقربون.

(٥) «شروح سقط الزند» ٢/٤٩٥ ، وفيه : « تذكرن » وهو من قصيدة مطلعها :

يرومك والجوزاء دون مرامه ... عدو يعيب البدر عند تمامه

قال البطليوسي : العواصم : موضع بناحية حلب ، والعوالي : صدور الرماح —

وَكَمْ بينَ رِيفِ الشَّامِ والكَرْخِ مَنْهَلٌ ... مَوَارِدُهُ مَمْزوجَـةٌ بِسِمامِهِ [١]

يَمُرُّ به رَأْدُ الضُّحى مُتَنَكِّراً ... مَخافَةَ أنْ يَغْتالَـهُ بقَتامِـهِ [٢]

بِلادٌ يَضِلُّ النَّجْمُ فيها سَبيلَهُ ... وَيَثْني دُجاها طَيْفَها عن لِمامِهِ [٣]

وقال المتنبي :

إذا صَديقٌ نَكِرْتُ جانِبَهُ ... لَمْ تُعيِني في فِراقِـهِ الحِيَلُ [٤]

ـــ وأعاليها ، والزرق من الأسنة : الصقيلة ، والزرق من المياه : الصافية ، يقال : نطفة زرقاء ، والجمام : مااجتمع من الماء ، واحدتها : جمّة .

(١) الريف : ساحل البحر ، والمنهل : مورد الماء . قال البطليوسي : وجعله ممزوجاً بالسم ، لأنه في فلاة مخوفة ، فمن حاول وروده فقد تعرض للهلاك ، والناس يتحامونه لذلك . وبعد البيت :

كأنَّ الصَّبا فيه تراقِبُ كامناً ... يسودُ إليها من خلال إكامه

(٢) رأد الضحى : أوله ، والقتام : الغبار ، ويغتاله : يذهب به ويهلكه . قال البطليوسي : أراد أنه مكان مخوف يهابه كل من يمر به ، وأن الغبار يكثر فيه حتى تظلم أقطاره ، فاذا اجتازت عليه الشمس خافت أن يطمس سناها ، وإذا مرَّت به الصَّبا خشيت أن يصدها عن مجراها .

(٣) يقول : لشدة ظلمتها لايهتدي فيها النجم ، والطيف لا يقدر على الزيارة فيها . واللمام : الزيارة الخفيفة .

(٤) ديوانه : ٣/٢١١ من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، ونكرت وأنكرت : لغتان . وعييت بأمري : إذا لم أهتد إليه ، وأعياني هو .

فِي سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ   وَفِي بِلادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ (١)

وقال مهيار :

فما ليَ أقْمَحُ مِلْحَ المِيَاهِ   إذا كُنْتُ أَشْرَبُ مِنْ أدْمُعي (٢)

وَيَرْتَاحُ وَجْهِي لِبَرْدِ النَّسِيمِ   وَنَارُ الْخَصَاصَةِ فِي أَضْلُعِي

وَهَلْ قَابِلِي بَلَدٌ أَنْ أُقِيمَ   وَقَدْ خُطَّ فِي غَيْرِهِ مَضْجَعِي (٣)

وقال أيضاً :

لِلّهِ مُرٌّ الإِبَاءِ أَعْوَزَهُ   مِنْ جَانِبِ الذُّلِّ عِزَّةٌ فَنَبَا (٤)

وَمَا مُقَامُ الْكَرِيمِ فِي بَلَدٍ   يُنْفِقُ فِيهِ الْحَيَاءَ وَالأَدَبَا ؟!

وقلت :

سِرْ عَنْ بِلادِهِمُ فَقَدْ سَئِمَتْ بِهَا   عِيْسِي مَحُولَ مُعَرَّسِي وَمُنَاخِي (٥)

---

(١) الخافقين : الشرق والغرب ، لأن الريح تخفق فيهما . والمضطرب : موضع الاضطراب ، والذهاب والمجيء .

(٢) ديوانه : ٢/٢٤٤ من قصيدة مطلعها :

نشدتُكِ يابانةَ الأجــــرع   متى رفــــع الحيُّ من لعلع

وأقمح : أرفع رأسي استكراها للشرب .

(٣) في الديوان : « . . . . إذا خُطَّ في غيره مصرعي » .

(٤) لم يردا في الديوان .

(٥) ديوانه : ٢٣٣ . المحول : المكان الجدب ، ومعرسي : من عرّس القوم : إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .

وَدَعِ الأَمانيَ ، إنّها غَرّارَةٌ ... وَوُعودُها لِلرّاغِبينَ أَواخِ [1]
ما عِنْدَها لِلواثِقينَ بِنَيْلِها ... إلّا المِطالَ بِمَوْعِدٍ مُتَراخِ [2]

وقال البُسْتي :

ذَرْني أَسِرْ في البِلادِ مُبْتَغِياً ... فَضْلَ ثَراءٍ إنْ لم يَفِرْ زانا
فَبَيْذَقُ النَّطْعِ وهْوَ أَحْقَرُ ما ... فيه إذا سارَ صارَ فِرْزانا [3]

وقال أعرابي :

رَمى الفَقْرُ بالفِتْيانِ حتى كأَنَّهُم ... بأَطْرافِ آفاقِ البِلادِ نُجُومُ [4]
وإنَّ امْرَءاً لَمْ يُفْقِرِ العامَ بَيْتَهُ ... وَلَم يَتَخَدَّدْ لَحْمُهُ لَلَئيمُ [5]

وقلت من قصيدة :

أَظَنَّ العِدى أنَّ ارْتِحالِيَ ضائري؟! ... ضَلالاً لِما ظَنُّوا ، وَهلْ يَكْسُدُ التِّبْرُ؟

---

(١) في الديوان : « . . . ووعودها للطامعين أواخي » .

(٢) رواية البيت في الديوان :

« ما عِنْدَها الوارِدِين سَرابُها ... غَيْرُ المِطالِ بِمَوْعِدٍ متراخي »

(٣) البيذق ، بفتح الباء وسكون الياء وفتح الذال ، ويجمع أيضاً بياذقة ، وهم الرجالة في الحرب ، ومنه بيذق الشطرنج ، والفرزان : هو الملك في اصطلاح الشطرنج .

(٤) البيتان في « الوحشيات » ٤٠ وفيه « بأقطار آفاق » .

(٥) في « الوحشيات » : « وإن امرءاً لم يفقرِ العامَ نبتَه » . قال الأستاذ محمود شاكر : وأفقر نبته : أعاره لمن ينتفع به أو أمكنه منه .

وما زادَني بُعْدي سِوى بُعْدِ هِمَّةٍ　　كما زادَ نُوراً في تَباعُـدِهِ البَدْرُ
وَهلْ في ارْتحالي عن بلادٍ تَنكَّرتْ　　لِمثْلِيَ أوْ للسَّاكِنينَ بهـا فَخْرُ
وإنَّ بلاداً ضـاقَ عَني فَضاؤُها　　لَأَرْحبُ مِنْ أَكْنافِها للعُلى فِـتْرُ
وأرضاً نَبَتْ لي وَهي آهِلَةُ الرُّبى　　هي القَفْرُ لا بل دُونَ وَحْشَتِها القَفْرُ
وهل يُنْـكِرُ الأعداءُ فَضْلي وإنَّهُ　　لَأَسْيَرُ ذِكْراً أن يُوارِيَه الـكُفْرُ
أَلستُ الذي ما زالَ كَهْلاً ويافِعاً　　لهُ المَكرُماتُ الغُرُّ والنَّائِلُ الغَمْرُ
وخائضَ وَقْعاتٍ بَوارِقُهـا الظُّبى　　ووابِلُ هاتيكَ البُرُوقِ دمٌ هَمْرُ
يَهُولُ الرَّدى مِني تَقَحُّمِيَ الرَّدى　　ويَعْتادُه من جاشِيَ الرابطِ الذُّعرُ

وقال آخر :

بلادٌ جفـاني النَّاصِحونَ وَملَّني　　صَـديقي ولَمْ يَحْفِلْ بذلك عُوَّدي
ولـكنْ بلادٌ لو مَرِضْتُ لعـادَني　　أَوانِسُ يَـكْحُلْنَ العُيُونَ بإِثْمِـدِ
أوانِسُ يَشْفينَ السَّقيمَ مَلاحَةً　　وحُسْنَ حديثٍ كالجُمانِ المُنَضَّدِ
ولله قومٌ لم أُفارِقْهُمُ قِلىً　　كِرامٌ أُولو عِزٍّ وفخرٍ وسُؤْدَدِ

قال أبو عبد الله إبراهيم نِفْطَويه : أنشدَنا أحمـد بن يحيى النَّحوي لرَجُلٍ من العرب كانَ أبوه يمنعُهُ الاضطِرابَ في المعيشة شفقةً عليه :

أَلا خَلِّني أَذْهَبْ لشأْني ولا أَكنْ　　على النَّاس كَلاًّ إنَّ ذاكَ شديدُ (١)

(١) الأبيات مع الخبر في « الأمالي » ٢/١٣٦ ، بزيادة بيت في آخرها .

أرى الضَّرْبَ في البُلْدان يُغْني مَعاشِراً ولم أرَ مَنْ أجدى عليه قُعُودُ
أَتَمْنَعُني خَوْفَ المنايا ولم أَكُنْ لِأَهْرُبَ مِمَّا ليس منه مَحيدُ
فدعني أُجوِلْ في البلادِ لعلَّني أُسَرُّ صَديقاً أو يُساءُ حَسُودُ
فلو كُنْتُ ذا مالٍ لَقُرِّبَ مَجلِسي وقيلَ إذا أخطأْتُ أنتَ سديدُ

وقال آخر :

سُقِيَتْ أيافِثُ مِنْ بلادِ صَوْبَ الرَّوائِحِ والغوادي
كم قد تَرَوَّتْ هامتي فيها وعُوِّلَ من وِسادي
دَعني لِسُبْلِ غِوايتي وَالْزَمْ سَبيلَكَ للرَّشادِ

مرَّت بي هذه الأَبيات في خبر أنا مُورِدُه ، لاستغرابي إياه ، وإن لم يَكُنْ مما يقْتَضيه التأليف ، والعُهْدَةُ فيه على من رواه .

وَهو عن ابنِ الكلبي ، عن أبيه ، عن أشياخٍ مِنْ أهلِ ذِمار ، مِنْ أهل اليمن : أنَّه سَمِعَهم يُخبرون عن رجل من حِمْير ، مِن ذي الكُلاع ، وكان رَجُلا جَلْداً شُجاعاً ، يركَبُ الأَهوالَ ، ويتَفَرَّدُ في الأَسْفار ، يقال له : تحياوة بن عميـر . قال : خرجتُ أريد حضرَمَوت ، فبت في بعض المفاوز بقُراب روضةٍ غنَّاء ، في ليلةٍ مقمرة ، نِمتُ أوَّل اللَّيل ، ثم أيقظني حِسٌّ ، فانتبهتُ فاذا فِتيانٌ قريب مني ، قد جَلسوا على شراب لهم ، فأنكرتُ ذلك في نفسي ، وقلتُ : والله ما يَقرُبُ من هذا الموضع ، قرية ،

ولا ماءٌ ، ولا حِلَّة[1] ، فما هؤلاء ؟! ثم نمت ، فأقبل واحدٌ منهم ، فحرَّكني برجلِهِ فأَنبَهَني ، فقلتُ : ما تشاء ؟ فقال : إنَّكَ قد نزلتَ بنا ، ووجب علينا ذِمامُك ، فقُمْ بنا تُصِبْ مِنْ طعامِنا وشرابنا . فقلت : أمَّا الطعام ، فلا حاجة لي به . قال : فقُمْ إلى الشَّرابِ إذاً ، فقمتُ ، فاستوثقْتُ من عِقال جملي ، وأخذتُ سيفي ، ومضَيْتُ معهُ ، فإذا فتيانٌ تِسْعَةٌ كأنَّهم الأَقمار ، فحيُّوا فرحَّبوا ، فإذا بينَ أيديهم جَفْنَةٌ فيها شرابٌ كدم الخِشْفِ ، تسْطَعُ منه رائحة المِسْك ، فتناول فتىً منهم قَعْباً ، فاغترَفَ من الجفنة ، فعَبَّ فيه حتى أتى على آخره ، ثم قام فأدارَ على القوم حتى صار إليَّ ، فناولني القَعْبَ فعببتُ فيه ، ثم ردَدْتُ إليه بَعْضَه ، فقال : اشرَبْ ، فشَربتُ حتى أتيتُ على آخره ، ثم قالوا للَّذي سَقاهم : تغنَّ يا تحيّ ، فرفع عقيرَته وهو يقول :

أَلا يا واديَ العَلَجانِ أَبْشِرْ ببارِقَةٍ على وادي الغُمَيْمِ
لعلَّ مَصابَها يُدْني نَوانا على عُدَوائِهِ لِنَوى رُمَيْمِ

فشدا والله شَدْواً ما سمعتُ مثلَهُ حسناً ، ولا صواباً ، فقلت له : يا أخي مَنْ يقولُ هذا الشِّعر ؟ فقال : أنا والله قلتُه على لسان جذيمة المصطَلِق الذي منهم جُوَيْرِية بنتُ الحارث زَوْجُ النبي صلى الله عليه وسلَّم ، فاستوحَشْتُ من قولِهِ ، ثم قالوا لآخر : قم يا مِسْعَر . فقامَ ، ففعل كَفِعْلِ

---

(١) الحِلَّة : القوم النزول ، اسم جمع ، أو جماعة بيوت الناس لأنها تحل .

الأَوَّل حتى سَقى القومَ ، ثم قالوا له : تغنَّ ، فقال :

تأَلَّقَ والدُّجى مُلقي الجِرانِ ... بُرَيْقٌ بينَ صاحَـةَ فالعرانِ

كأَنَّ وَميضَهُ لمعَانُ كَفٍّ ... مخاطبةٍ على هَوْلِ الجَنـانِ

فكان غِناؤه كغِناء صاحِبِه وأحسَن . فقلتُ : من يقول هذا يا أخي؟

فقال : أنا واللهِ قلته على لسان عَلَس ذي جَـدَن ، ثم قالوا لآخر : قم

يا مَقْروم ، فقام ففعل كفعل أصحابه ، ثم قالوا له : غَنِّنا ، فقال :

أَبْرَزَتْ مِنْ خلل البُرْ ... دِ بَناناً كاللُّجَيْنِ

وَرَنتْ والعَـينُ تذْري ... كالئاً ترْنُو بعَـينِ

ثمَّ قالتْ لِفُتَيَّـا ... تٍ كآرامِ الرُّهَينِ

إنّمـا يُسْتَمْطَرُ الجو ... دُ بكَفَّيْ ذي رُعَـينِ

فقلتُ لهُ : مَنْ يقولُ هذا يا أخي ؟ قال : أنا والله قلْتُـه على لسانِ

رَوْضة قَيْنَةِ ذي رُعين ، فقالوا له : زِدْنا ، وما استزادوا غيره فقال :

سَفَرَتْ عن مِثْلِ قَرْنِ الشْ ... شَمْس في الليل البَهيمِ

في جَوارٍ قد سَلَبْنَ الـ ... لحْظَ أَطـلاءَ الصَّريمِ

ثم قالوا لآخر : قُمْ يا دلهم ، ففعل كفعل أصحابه ، ثم تغنى :

طَيْفٌ تأَوَّبَ مِنْ سُعادِ ... حـتى اجتَنى ثَمَرَ الفُؤادِ

ولبئسما متبـدَّلٌ ... طَيْفُ السُّهادِ منَ الرُّقادِ

فقلتُ : مَنْ يقولُ هـذا ياأخي ؟ قال : أنا واللهِ قلتُـه على لسانِ نظام قينة ياسرِ المُنْعِم . ثم قالوا : قُم يا مَلْدَم ، فقامَ ففعلَ كَفِعل أصحابه ثم تغنّى :

نَذَرَتْ حُماتُكَ يا إمـا ... مُ دَمي وَدُونَ مرامِـهِ

دُهْمٌ تُفضُّ جَماجِمُ الـ ... أقوامِ تحتَ قتامِـهِ

إنْ يحْجُبُوكِ تَزُرْهُ طَيْفُـكِ طارِقاتُ مَنامِـهِ

فاستخفَّهم الطَّرَب ، فقاموا يُصارِعُ بعضهم بعضاً ، ثم عـادوا إلى مجلسِهم ، ثم قالوا : قم ياعرقال . قال : فقام ففعل كفعل أصحابـهِ ، ثم تغنّى :

ضَنَّتْ بِرَجْع سَلامِها هِنْـدُ ... أَهوَ الدَّلالُ بهـا أم الصَّدُّ

إنْ لم يَكُنْ نَيْلٌ أعيشُ به ... فالوَعْدُ ليسَ يؤودكِ الوَعدُ

قال : فقام القومُ ، فجعل الرَّجُل منهم يَثِبُ ، فيجعل قدَميه على مَنكبَي صاحبه ، ويثبُ الثـاني على الآخر هكذا حتى يصيروا كالنَّخْلَةِ السَّحوق ، ثم يسْقُطُ بعضهُم على بعض ، وهُمْ يتضاحكون ، ثم قالوا : قم يا عُفير ، فقام ففعل كفعل أصحابهِ ، ثم تغنّى :

سُقيتْ أيافِثُ مِنْ بلادِ ... صَوْبَ الرَّوائح والغَوادي

كَمْ قـد تَروَّتْ هامَتي ... فيهـا وعُوِّل مِنْ وِسادي

دَعني لسُبْلِ غِوايتي والزَمْ سَبيلَكَ للرَّشادِ

ثم قالوا : قم يامعترّ ، فقام ففعل كفعل أصحابه ، ثم تغنّى :

إنَّ المُدامَـةَ غادَرَتْ ثوبيَّ قـد ثَقُلا علَيَّا

فأصِبْ بمائِكَ قلْبَها وابعَثْ بمُهْجَتِهـا إليَّا

واْحيِ اللَّذاذَةَ بالمُـدا مِ وشُرْبِها ما دُمتُ حَيَّا

ثم قالوا : عِمْ ظلاماً ، فما رأينا إنسيّاً أصلَبَ قلباً مِنْكَ ، وغابُوا فنِمْتُ ، فما أيْقَظَني إلا حرُّ الشمس ، فقلتُ : والله لقد تلاعَبَتْ بي الجِنَّان في ليلتي هذه ، وآليتُ على نفسي : لا سِرْتُ بعدها مَسيراً إلا في رِفْقةٍ .

★ ★ ★

فصل آخر
في ذكر البلاد

عن الأَصمعي[1] قال : مَرَرْتُ بحِمى الرَّبَذَة[2] وإذا صبيان يتَقامَسونَ[3] في الماء ، وشابٌّ مَليحُ الوَجهِ ، مُلَوَّحُ الجسم[4] ، قاعِد ، فسلَّمْتُ عليه ، فردَّ السّلامَ ، وقال : مِنْ أينَ وَضَحَ[5] الراكبُ ؟ قلتُ : مِنَ الحِمى . قال : متى عَهْدُكَ بها ؟ قلتُ : رائحاً . قال : فأين كان مَبيتُكَ منها ، فقلت[6] : بأدنى هذه المشاقر[7] ، فألقى نفسه على

---

(١) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » : ٢/٢٣٢ ، و « الأمالي » : ١/٣٧ مع اختلاف يسير .

(٢) الربذة : قرية على ثلاثة أميال من المدينة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٣) يتقامسون : يتغاطون ، يقال : قمسته في الماء ، ومقلته ، وغمسته ، وغططته .

(٤) يقال : لاحه الحزن والسقم ، ولوحه : إذا غيره ، من هذا قوله سبحانه : (لواحة للبشر) ، أي : مغيرة محرقة .

(٥) أي : من أين بدا وطلع .

(٦) في « الأغاني » فقلت : ببني فلان .

(٧) قال ابن دريد : المشاقر : منابت العرفج وكذلك كتب في الأصل تحت الكلمة بخط دقيق ، وقال غيره : المشاقر : الرمال واحدها مَشْقَر .

ظهره، وتنفَّس الصُّعداء. فقلت: تَفَسَّأَ[1] حِجابُ قلبِهِ، ثم أنشأ يقول:

سَقى بَلَداً أمْسَتْ سُلَيْمى تَحُلُّهُ مِنَ المُزْنِ ما يَرْوى بـه ويَسِيمُ[2]
وإنْ لم أكُنْ مِنْ ساكِنيه فإنَّه يَحُلُّ بـه شخصٌ عَليَّ كريمُ[3]
ألا حَبَّذا مَنْ ليس يَعْدِلُ قُرْبَهُ لدَيَّ وإنْ شَطَّ المزارُ نعيمُ
ومَنْ لامني فيه حَميمٌ وصاحِبٌ فرُدَّ بيأسٍ صاحِبٌ وحَميمُ[4]

ثم سكتَ سَكْتَةً كالمُغمى عليه، فصحت بالأصبية، فأتوا بماء، فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصَبُّ الغَريبُ رأى خُضوعي وأنْفاسي تَزَيَّن بالخُشوعِ[5]

---

(١) في «الأغاني»: إنه قد خرق حجاب..، وتفسأ الثوب: تقطع وبلي.

(٢) في «الأمالي»: ما تُروي به وتسيم. قال البكري: يقال: سامت الماشيه: إذا دخل بعضها في بعض عند الرعي، وإنما يكون ذلك في الخصب وكثرة الشب، والسائمة: هي الراعية، وسام الرجل ماشيته: إذا رعاها، فهو مسيم، ولم يقولوا: سائم، خرج هذا من القياس، ويقال: أسأم: إذا كثرت سائمته، وهو الذي أراد في البيت، قلت: والأبيات الأربعة في «الحماسة البصرية»: ٢١٤.

(٣) في «الأمالي» و «الاغاني»: من قاطنيه.

(٤) في «الأغاني» و «الأمالي»: فرد بغيظ.

(٥) في «الامالي» و «الاغاني»: خشوعي.

وَلي عينٌ أَضَرَّ بها التفاتي ... إلى الأَجْراع مُطْلَقَةُ الدُّموعِ (١)

إلى الخَلَواتِ تأْنسُ فيك نفسي ... كما أَنِسَ الوَحيدُ إلى الجميعِ (٢)

فقلتُ له: ألا أنزلُ فأُساعِدَك، أو أكُرَّ عَوْدي على بدئي [إلى الحمى] في حاجَةٍ إن كانت لكَ [حاجَةٌ] أو رسالة؟ قال: جُزيتَ خَيْراً، وصَحِبَتْكَ السَّلامَة، إمضِ لِطِيَّتِك فلو عَلِمْتُ أنَّك تُغْني عنِّي شيئاً، لكنتَ مَوْضِعَ الرَّغْبة، وحقيقاً بإِسعافِ المسألةِ، ولكنَّكَ أَدْرَكْتني في صُبابَةٍ مِن الحياة. قال: فانصرفتُ ولا أراهُ أمسى إلا ميِّتاً.

وقال نبهان بن عَكِّيّ العَبْشَمي:

يُقِرُّ بعَيْني أنْ أرى مِنْ بلادِها ... ذُرى عَقِدَاتِ الأَبْرَقِ المُتقاوِدِ (٣)

(١) في «الأغاني» و«الأمالي»: إلى الأجزاع مطلقة الدموع.

(٢) في «الاغاني»: يأنس فيك قلبي.

(٣) الأبيات في «الكامل»: ١/٤٨، و«الأمالي»: ١/٦٣، و«زهر الآداب»: ٢/٩٤٠، وفيه: وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الخفرية، وقد أنشدها المبرد لنبهان العبشمي، وهو أشبه. وقوله: يقر بعيني، قال المبرد: يريد يُقر عيني، ثم أتى بالباء توكيداً. ويقال: أقر الله عينه يقرها، وقرت عينه تقرُّ. والذرى: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه، والعقدات: ما انعقد وصلب من الرمل، الواحدة: عَقِدَة، والجمع عَقِدٌ وأعقاد وعقدات. والأبرق: حجارة يخلطها رمل وطين، والمتقاود: يريد المنقاد المستقيم.

وأنْ أرِدَ الماءَ الذي وَرَدَتْ بهِ سُلَيْمى وَقدمَلَّ السُّرى كلُّ واحِدِ (١)
وأُلْصِقُ أحشائي ببَرْدِ تُرابهِ وَلو كانَ مَخْلُوطاً بِسُمِّ الأَساوِدِ (٢)

وقال آخر :

يُقِرُّ بعَيْني أنْ أرى مِنْ بلادِها دِماجاً وَأنْ تَبدُو لعَيْني الأَجارِعُ
بلاداً حَماها الخوْفُ عنّيَ والعِدى وَحَرْبُ ذوي القُرْبى فما أنا صانِعُ

وقال عبد الله بن الدُّمَيْنَة الخثعمي :

أفي كلِّ يَوْمٍ أنتَ رامٍ بلادَها بعَيْنَيْنِ إنْسانَاهُما غَرِقانِ (٣)
إذا اغْرَوْرَقَتْ عَيناي قالَ صَحابَتي لقَد أُولِعَتْ عَيناكَ بالهَمَلانِ

عن حفص بن الأروع ، قال : رأيتُ صَبِيَّةً في بلادِ طَيىء ، فقلتُ لها : أيُّ البلادِ أحبُّ إلَيْكِ ؟ فقالت :

---

(١) قال المبرد : الذي رويت : وقد مل السُّرى كل واحد ، وهو المنفرد في السير المتوحّد به ، وروى غيره : كل واجد ، أي: عاشق ، ورُوي أيضاً : كل واخد ، وهو من الوخد والوخدان : وهو السير الشديد .

(٢) قال البكري : قوله : وألصق أحشائي ببرد ترابه . هذا مذهب لكثير من الشعراء الاستشفاء بالملامسة وإلصاق الأحشاء بمواطن الأحبة .

(٣) ديوانه : ٣١ من قصيدة مطلعها :

خليلي إني قد أرِقتُ ونِمتما فهل أنتما بالعيس مدّلجان

أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بَينَ مَنْعِجٍ   إليَّ وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحابُها [1]
بلادٌ بهـا نِيطَتْ عليَّ تَمائِمي   وَأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدي تُرابُها [2]

وقال التهامي :

إذا اشْتَدَّ شَوقي قُلْتُ قَولَ مُتَيَّمٍ   لِيَومِ النَّوى في القَلْبِ منه كُلُومُ [3]
فإنْ تَكُنِ الأيامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنـا   فمَن ذا الذي مِنْ رَيْبِهِنَّ سَليمُ
وَأنشَدْتُ شِعْراً قالَهُ ذُو صَبابَةٍ   كَئِيبٍ شَجَتْهُ أرْبُعٌ وَرُسُومُ
(سَقى بَلَداً أَمْسَتْ سُلَيْمى تَحُلُّهُ   مِنَ المُزْنِ ما يُرْوى به ويُسِيمُ [4]

---

(١) البيتان في « الأمالي » : ١/٨٣ ، و « الكامل » : ٢/٦٦١ ، و « زهر الآداب » : ٢/٦٨٢ . وفي الكامل : « ما بين مشرف » . قال البكري : وتقدير الكلام في هذين البيتين : أحبُّ صوب سحاب بلاد الله إليَّ سحاب بلاد بها عقّ الشباب تمائمي ما بين سلمى ومنعج ، يريد : وسط سلمى ومنعج ، «فأحب» : ابتداء و « أن يصوب » بدل منه ، و « ما بين » ظرف ، و « بلاد » خبر الابتداء . ومنعج في الأصل بفتح العين ، وفي « معجم ما استعجم » بكسرها ، وهو واد .

(٢) في « الأمالي » : « بلاد بها حل الشباب » ، وفي « الكامل »: « بلاد بها عقّ الشباب » ونيطت ، أي : علقت ، والتمائم : واحدتها تميمة ، وهي خرزات كان الأعراب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم ، فأبطله الاسلام .

(٣) الأبيات ليست في ديوانه المطبوع .

(٤) البيتان مضمنان ، وقد تقدما ص ٢٤٤ في جملة أبيات .

وَإِنْ لم أَكُنْ مِنْ سَاكِنيهِ فإِنَّهُ   يَحُلُّ بهِ شَخْصٌ عَليَّ كَرِيمُ)

وقال قيس بن ذريح :

وما مِنْ حَبيبٍ آمِنٍ لِحبيبهِ   وَلا ذي هَوىً إلّا لهُ الدَّهرُ فاجِعُ (١)

كأَنَّ بلادَ اللهِ ما لم تَكُنْ بهـا   - وإِنْ كانَ فيها الخَلْقُ - قَفْرٌ بلاقِعُ (٢)

وما كلُّ ما مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خالياً   تُلاقي، ولا كلُّ الهوى لستَ تابِعُ (٣)

وَلولا رجاءُ القَلْبِ أَن تُسْعِفَ النَّوى   لما حَمَلَتْهُ بَيْنَهُنَّ الأَضالِعُ (٤)

أُقضّي نَهـاري بالحديثِ وَبالمُنى   وَيَجْمَعُني وَالهَمَّ واللَّيلَ جامِعُ (٥)

وقال القاضي أبو الفرج سلامة بن بحر ، وتُروى للقـاضي النعمان المصري :

---

(١) الأبيات في ديوانه : ١٠٣ ، وانظر تخريجها هناك . وفيه : « وما من حبيب وامق » وفي « الأغاني » : فليس محب دائماً لحبيبه ولا ثقة إلا . . . وروايته عند ثعلب :

فمـا من حبيب دائم لحبيبه   ولا صاحب إلا به الدهر فاجع

(٢) في التجريد : « الناس وحش بلاقع » وفي « الحماسة البصرية » : « وإن حل فيها الخلق وحشاً بلاقع » . وبلاقع : جمع بلقع ، وهي الأرض القفر .

(٣) في الديوان : « . . . ولا كل الهوى أنت تابع » .

(٤) في الديوان : « ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى » وفي « التجريد » : « لما حبسته بينهن » .

(٥) في الديوان : « ويجمعني بالليل والهمّ جامع » .

نَوْحُ حَمَامٍ بِيَثْرِبٍ غَرِدٍ   هَيَّجَ شَوْقِي وَزَادَ فِي كَمَدِي
واكَبدي مِنْ فِراقِهم وكذا   مَنْ ذاقَ ما ذُقْتُ صاحَ واكَبدي
فارَقْتُ إلْفِي فصارَ في بلَدٍ   بالرَّغمِ مِني وصِرْتُ في بَلَدِ

وقال آخر :

وأنتِ التي حَبَّبْتِ شَغْبى إلى بَداً   إليَّ وأوطاني بلادٌ سِواهُما [1]
حَلَلْتُ بهذا مَرَّةً ثُمَّ مَرَّةً   بهذا فطابَ الوادِيانِ كِلاهُما [2]

★ ★ ★

(١) البيتان في « معجم البلدان » : (بدا ، وشغبى) لكثير عزة . وبدا : واد قرب أيلة من ساحل البحر ، وقيل : بوادي القرى ، وقيل : بوادي عذرة قرب الشام ، قاله ياقوت . وقال البكري : بدا : موضع بين طريق مصر والشام ، ثم أنشد البيت . وشغبى : موضع في بلاد بني عذرة .

(٢) رواية البيت في « معجم البلدان » (شغبى) :

حللت بهذا حَلّةً ثم حلّةً   بهذا فطاب الواديان كلاهما

فصـــل
في ذكر الـــدار

رُوي عن يزيد بن الأَصَمّ أنّ الأنصار رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله اِقْسِم بيننا وبينَ إخوانِنا مِن المُهاجِرين رضي الله عنهم الأرض نصفين . قال صلى الله عليه وسلم : « لا ، ولـكنـكم تَـكْفُونَهم المؤونة ، وتقاسِمونهم الثَّمَرَة ، والأرض أرضكم » قالوا : رضينـا ، فأنزل الله عز وجل (والذين تَبوَّءُوا الدَّارَ والإيمـانَ مِنْ قَبْلِهِم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتوا وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ) [1] . [الحشر : ٩]

وقوله تبارك وتعالى : (لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِم) [الأنعام : ١٢٧] .

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١٩٥/٦ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر . ويزيد بن الأصم : هو عمرو بن عبيد بن معاوية البكائي ، كوفي تابعي ثقة ، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين ، مات سنة ثلاث ومائة .

وروى البخاري في « صحيحه » ٦/٥ ، ٨٧/٧ بشرح « الفتح » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل ، قال : « لا » فقالوا : تكفونا المؤنة ، ونشركم في الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا .

هي الجنة . وفي تسميتها دار السلام ، وجهان ، أحدُها : لأنَّها دَارُ السَّلامَة الدَّائمة مِنْ كلِّ آفة .

والثاني : السلام : هو الله سبحانه ، والجنة دَارُه . وفي قوله تعالى : (عند ربهم) ، وجهـان ، أَحَدُهما : يعني أَنَّ دارَ السَّلام عند رَبِّهم في الآخِرَةِ ، لأَنَّها أخصُّ به .

والثاني : معناه : أن لهم عِنْدَ رِبِّهِم أَنْ يُنْزِلَهُم دارَ السَّلامِ . وكذلك جاء في قوله تعالى : (والله يدعوا إلى دَارِ السَّلام) . [يونس : ٢٥]

وقوله عز وجـل : (وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ المُتَّقِين) . [النحل : ٣٠] . قيل فيه : إنَّ الآخرة خيرٌ مِنَ الدُّنيا ، لِفَنَاء الدُّنيا وبَقاء الآخرة . (ولنعم دار المتقين) قال الحسن رضي الله عنه : نِعْمَ دَارُ المُتَّقين الدُّنيا ، لأَنَّهم نالوا بالعمل فيها ثوابَ الآخرة ودُخولَ الجَنَّة [1] .

وقوله تبارك وتعالى إخْباراً عَنْ قارُون : (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) [القصص : ٨١] . قال ابنُ عباس رضي الله عنه : شَكَا مُوسىٰ عليه السلام إلى الله عزَّ وَجلَّ قارُونَ ، فأَمَرَ اللهُ تعالى الأَرْضَ أَنْ تُطيعَ مُوسى ، فلمَّا

---

(١) في القرطبي ١٠١/١٠ (ولنعم دار المتقين) فيه وجهان ، قال الحسن : المعنى : ولنعم دار المتقين الدنيا ، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ، ودخول الجنة ، وقيل : المعنى : ولنعم دار المتقين الآخرة ، وهذا قول الجمهور .

أَقْبَلَ قارُونُ وَشِيعَتُهُ ، قال موسى : يا أَرضُ خُذِيهم ، فأَخَذَتْهم إلى أعقابهم ، ثم قال : خذيهم ، فأخذتهم إلى أَوْساطِهِم ، ثم قال : خُذِيهم ، فأَخَذَتْهم إلى أعناقِهِم ، ثم قال : خذيهم ، فَخُسِفَ بهم وَبِدارِ قارُون وَكُنُوزِهِ .[1]

وروى يزيدُ الرَّقاشي رحمه الله : إنَّ قارُونَ لَمَّا أَخَذَتْهُ الأَرْضُ إلى عُنُقِهِ أخذَ موسى عليه السَّلام نَعْلَيْه فَخَفَقَ بهما وَجْهَهُ ، فقال قارُونُ : يا مُوسى ارحمني . فقال الله تعالى : «يا مُوسى ما أشدَّ قَلْبَكَ ! دَعاكَ عَبْدي واسْتَرْحَمَكَ فلم تَرْحَمْهُ ! وَعِزَّتي لَوْ دَعاني لأَجَبْتُه» .

وروى سَمُرَةَ بن جندب أَنَّهُ يُخْسَفُ بقارُونَ وقومه في كلِّ يَوْمٍ قَدْرَ قامَةٍ ، لا يَبْلُغ الأَرض السُّفْلى إلى يوم القيامة .

وقـال مقاتل : لما أمر موسى عليه السلام الأَرض فابتلعت قارون ، قـال بنو إسرائيل : إنَّما أَهلَكَه لِيَرِثَ مالهُ ، لأَنَّهُ كان ابنَ عمِّ موسى أخي أبيه ، فَخَسَفَ الله تعالى بداره وجميع أمواله بعدَ ثلاثة أيام .

وقوله عز وجل : (الَّذي أحلَّنا دَارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ) [فاطر : ٣٥]

أي : دار الإقامة ، وهي الجنة .

وفي الفَرْقِ بينَ المُقامَة بالضم والفتح وجهان .

---

(١) الطبري : ١١٧/٢٠ بألفاظ مقاربة ، قال : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

أحدهما : أنها بالضم : دارُ الإقامة ، وبالفتح : موضع الإقامـة .

الثاني : أنَّها بالضم : المجْلِس الذي يُجتمَع فيـه للطعام ، وبالفتح : المجلس الذي يجتمع فيه للحديث .

وقوله تعالى : ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم ﴾.[الحشر : ٩] هم الأَنصار ، رضي الله عنهم ، الذين اسْتوْطنوا المدينةَ قَبْلَ المهاجرين إليها . قيل : إنَّهم تبوَّؤوا الدَّار مِنْ قَبْلِهم ، والإيمان مِنْ بعدِهم . وقيل : تبوؤوا الدَّار والإيمان من قبل الهجرة إليهم . ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إليهم ﴾ بمواساتهم بأموالهم ومساكنهم ﴿ ولا يجِدُونَ في صُدُورِهم حاجة ممّا أُوتوا ﴾ أي : حَسَداً مما خُصُّوا به من مـال الفيء . ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ . [الحشر : ٩] يعني : أنَّهم يُفضِّلونَهُم ويُقَدِّمونَهم على أنفُسِهِم ولو كانت بهم فاقة وحاجة .

وفي إيثارِهم قولان . أحدُهما : أنَّهم آثرُوهم على أنْفُسِهم بما حَصَل مِنْ فيءٍ وَغَنيمةٍ حتى قُسِمَت في المُهاجرين دُونهم . وروي : أن النبي صلى الله عليه وسلم : قسم للمهاجرين ما أفاء الله تعـالى من النَّضير ، وقيل : من قُرَيْظة مِنْ أموالِهم ، فقالت الأَنصار رضي الله عنهم : بل نقسم لهم مِنْ أموالنا وَنُؤثِرُهم بالفيء ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

القول الثاني : أنَّهم آثروا المهـاجرين رضي الله عنهم بأَمْوالهم

وَواسَوْهم بها . روى ابن زيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : « إنَّ إخوانَكُم قد تَرَكوا الأموالَ والأولادَ ، وَخرجوا إلَيْكُم » فقالوا : أموالُنا بَيْنَهم قطائعُ . فقال صلى الله عليه وسلم : « أَوَ غيرَ ذلك؟ » فقالوا : وما ذاكَ يا رَسولَ الله ؟ قال : « هُم قَومٌ لا يَعرِفُونَ العَمَل فتَكْفُونَهُم وَتُقَاسِمُونَهُم الثَّمرَ » - يعني : مِمّا صَارَ لهم مِنْ نَخْلِ بني النَّضير - فقالوا : نعم يا رسولَ الله . (١)

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون) . [الحشر : ٩]

قيل : الشُّح بما في أيدي النَّاس يُحِبُّ أن يكونَ له . وقيل : مَنْعُ الزَّكاة . وقيل : هَوى النَّفس . وقيل : اكْتِسابُ الحَرام .

روى الأَسود عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنَّ رَجُلاً أتاه ، فقال : إنِّي أخافُ أنْ أكون قد هَلَكْتُ . قال : وَما ذَاكَ ؟ قال : سَمِعْتُ الله عزَّ وجل يقول : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون) . وأنا رَجُلٌ شَحيحٌ لا أكادُ أُخرِجُ مِنْ يدي شيئاً . فقال ابنُ مسعود رحمه الله : ليسَ ذلك بالشُّح الذي ذكر الله تعالى في القرآن ، إنَّما الشُّحُّ الذي ذَكَرَهُ الله تعالى في القرآن ، أنْ تأكُلَ مال أخيكَ ظُلْماً ، ولكنَّ ذلكَ البُخْلُ ،

(١) الطبري : ٤٢/٢٨ .

وبئسَ الشَّيءِ البُخْلُ.[١] وعنِ النَّبي ﷺ: «يا عَجباً كلُّ العَجَب مِن المُصدِّق بدارِ الخُلودِ وَهوَ يَعْمَلُ لدارِ الغُرور».

عن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه قال: «خَطَبَنا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ جُمعَةٍ، فقال: أيُّها النَّاسُ تُوبُوا قبلَ أنْ تَموتوا، وَبادِروا الأَعمالَ[٢] الصَّالِحةَ قبلَ أنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الذي بَيْنَكُم وبينَ رَبِّكُم تَسْعَدوا، وَأكْثِروا الصَّدَقَةَ تُرْزَقوا، وأْمُروا بالمعروفِ تُخْصِبوا، وانْهَوا عن المُنكرِ تُنْصَروا.

أيُّها النَّاسُ إنَّ أكْيَسَكُم أكثَرُكم لِلْمَوْتِ ذِكرا، وَأحْزَمَكُم أكثَرُكم[٣] لهُ استعداداً. ألَا وَإنَّ مِنْ عَلاماتِ العقلِ، التَّجافيَ عَنْ

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» ٧/١٢٣: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله ابن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٦/١٩٦، دون قوله: «ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل» وزاد نسبته إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الايمان».

(٢) في «الأربعين الودعانية»: بالأعمال.

(٣) في «الأربعين»: أحسنكم.

دارِ الغُرور ، والإنابَةَ إلى دارِ الخُلود ، والتَّزَوُّدَ لِسُكْنى القُبور ، والتَّأَهُّبَ لِيَوْمِ النُّشُور .(١)

أنشدَ عليٌّ بن محمد بن ثابت الكاتب :

الدَّارُ دَارُ مَرازِيءِ وَمَصائِبِ ... وَفجيعَةٍ بأَحِبَّـةٍ وَحَبائِبِ

ما يَنْقَضي نَهَلٌ بفُرْقَةِ صاحِبٍ ... حتى أُعَلَّ بفُرْقَةٍ مِنْ صاحِبِ(٢)

---

(١) هذه الخطبة في « الأربعين الودعانية » ورقة : ٩ من المخطوط الموجود في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٣٢ ، تأليف أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان الموصلي قاضي الموصل ، قال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » ٣٠٥/٥ : ذمه أبو طاهر السِّلفي ، وأدركه وسمع منه ، وقال : هالك متهم بالكذب ، قلت (القائل ابن حجر) : مات سنة ٤٩٤ هـ في المحرم بالموصل عقيب رجوعه من بغداد عن اثنتين وتسعين سنة . قال السلفي : تبين لي – حين تصفحت «الأربعين» له – تخليط عظيم ، يدل على كذبه وتركيبه الأسانيد ، وقال ابن ناصر : رأيته ولم أسمع منه ، لأنه كان متهماً بالكذب وكتابة في « الأربعين » سرقه من عمه أبي الفتح ، وقيل : سرقه من زيد بن رفاعة ، وحذف منه الخطبة ، وركب على كل حديث منه رجلا أو رجلين إلى شيخ ابن رفاعة ، وابن رفاعة وضعها أيضاً ، ولفق كلمات من دقائق الحكماء ، ومن قول لقمان ، وطول الأحاديث ، ثم قال الحافظ : والحاصل أنها فضيحة مفتعلة ، وكذبة مؤتفكة ، وان كان الكلام يقع فيها حسناً ، ومواعظ بليغة ، وليس لأحد أن ينسب كل مستحسن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأن كل ماقاله الرسول حسن ، وليس كل حسن قاله الرسول .

(٢) النهل : أول الشرب ، والعلل : ثانيه .

وَإذا مَضى الأُلافُ عنكَ لِطَيَّةٍ ۞ وَالمُؤْنِسونَ فأَنتَ أوَّلُ ذاهِبِ

خَطَبَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رِضوانُ الله عليه بالكوفةِ ، فقال في كلام له :

سُبحانَكَ خالِقاً معبوداً بحُسْنِ بلائِكَ في خَلْقِكَ ، خَلَقْتَ داراً ، وَجعَلْتَ ما دُبةً ومَطْعَماً وَمَشْرَباً ، وأزواجاً وقُصوراً ، وَخَدَماً وَعُيوناً وأنهاراً ، ثم أَرْسَلْتَ داعياً إلينا ، فلا الدَّاعيَ أجبنا ، ولا فيما رَغَّبْتَنا رَغِبنا ، أَقبلْنا على جيفَةٍ نأْكلُ منها ، قد زادَ بعضُنا على بعضٍ حِرْصاً عليها ، وافْتُضِحْنا لما اْصطَلَحْنا على حُبِّها ، عَمِيَتْ أبصارُ صالحينا وفقهائنا فيها ، ولها مَنْ في قلْبِهِ مَرَض ، فهو ينظُر بعين غيرِ صحيحة ، ويسمَعُ بأُذُنٍ غيرِ سَميعَةٍ ، وقد مَلَكَتِ الشَّهَواتُ عَقْلَه ، وأماتَتِ الدُّنيا قَلْبَه ، وَذَهِلَت عليها نفسُه ، فهو عبدُها وعَبدُ مَنْ في يديهِ منها شيء ، حَيْثُما زالت زالَ معها ، وحيثُما أقبَلَتْ أقبلَ إليها ، لا يَعْتَمِلُ ولا يسْمَعُ ، ولا يَزْدَجِرُ مِنَ الله بزاجر ، ولا يَتَّعِظُ مِنَ الله بواعِظ . قد رأى المأْخُوذينَ على الغِرَّة حيثُ لا إقالة ولا رَجعَة كيفَ فاجأَتْهُم تلك الأُمور ، ونَزَلَ بهم ما كانُوا يُوعَدونَ ، وَفارَقوا الدُّور ، وَصاروا إلى القُبور ، وَلقُوا دَواهيَ تلكَ الأُمور ، فإذا نَزَلت بقُلوبهم حسَراتُ أنفُسِهم ، اجتمَعَتْ عليهم خَصْلَتان ، حَسْرَةُ الفَوْت ،

وَسَكْرَةُ الموت ، تفطَّرَتْ لها قلوبُهم ، وَتغَيَّرتْ ألوانُهم ، وتَرَدَّدَ فُواقهم[١] وحرَّكوا لِمَخْرَجِ أرواحِهِم أيديَهم وأرجُلَهم ، فَعَرِقت لذلك جِباهُهم ، ثم ازدادَ الموتُ فيهم ، فحِيلَ بينَ أحدِهم ومنطِقِه ، وإنَّه لَبَيْنَ ظهراني قومه[٢] ففكَّر بعقلٍ بقيَ له : فيمَ فنيَ عُمرُه ، وفيمَ ذَهبَتْ أيامُه !!

عن الأصمعي رحمه الله قال : حَجَجْتُ فنزلتُ ضريَّة في يوم جُمعة ، فإذا أعرابي قد كَوَّرَ عِمامَته ، وَتنكَّبَ قوْسَهُ ، فصَعِدَ المِنبر ، فحَمِدَ الله ، وأثنى عليه ، وصلَّى على نبيِّه ﷺ ، ثم قال : أيُّها النَّاسُ ، إنَّ الدُّنيا دار مَمَرٍّ ، والآخرةُ دارُ مَقَرٍّ ، فخذوا مِنْ دارِ مَمَرِّكم لِدارِ مَقَرِّكم ، ولا تهتِكوا أستارَكم عند مَنْ لا تَخْفى عليه أسرارُكم ، فإنَّه لَنْ يستَقْبِلَ أحدٌ يوماً مِنْ عُمرِهِ إلا بفراق آخر مِنْ أَجلِه ، وإنَّ أمْسِ موعِظَةٌ ، واليومَ غنيمة ، وغداً لا يُدْرى مَنْ أهْلُهُ . فاسْتصلِحوا ما تُقدمون عليه ، واقْنُوا مالا تَرْجِعونَ إليه ، واخرجُوا من الدُّنيا بقُلوبكم قبلَ أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها خُلِقْتُم ، وإلى غيرها نُدِبْتُم . وإنَّه لا قويٌّ أقوى مِن الخالِق ، ولا ضعيفَ أضعفُ مِنْ مَخلوق ، ولا هَرَبَ مِنَ الله إلّا إليه ، وكيفَ يَهْرُبُ مَنْ يَتقَلَّبُ في يدي طالبِه ، و (كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الموتِ

---

(١) الفواق : ترديد الشهقة العالية ، والذي يأخذ الانسان عند النزع .

(٢) في الأصل فوق كلمة قومه : أهله .

وإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُمْ يَوْمَ القِيامَـةِ . فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَما الحَياةُ الدُّنيا إلاّ مَتاعُ الغُرُورِ) . [آل عمران : ١٨٥]

عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : مَنْ ذا الذي يَبْني على مَوْجِ البَحر داراً ، تِلْكُمْ الدُّنيا فلا تَتَّخذوها قَراراً .

وعن وهب بن منبِّه رحمه الله قال : قال عيسى بنُ مريم صلى الله عليه وسلم : يا دارُ تَخْرَبينَ وَيَفْنَى سا كِنُكِ ، وَيا نَفْسُ اعمَلي تُرْزَقي ، وَياجَسَدُ أَنْصَبْ تَسْتَرِحْ .

قال رَجُلٌ للحَسَنِ البصري رضي الله عنه : يا أبا سـعيد إذا جُعْتُ ضَعُفْتُ ، وإذا شَبِعْتُ وَقَعَ عَليَّ البُهْرُ ؟ فقال : يابْنَ أخي هذه الدّار ليست تُوافِقُكَ ، فاطْلُبْ داراً غيرَها .

عن صالح المُرّي [١] رحمه الله قال : لما غضب المنصور على المورِياني [٢]

(١) هو أبو بشر صالح بن بشير بن وادع المرّيّ القاضي الزاهد ، قال ابن حبان : كان من عبّاد أهل البصرة وقرائهم ، ومن أحزن أهـل البصرة صوتاً ، وأرقّهم قراءة ، غلب عليه الخير والصلاح حتى غفل عن الاتقان في الحفظ .

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني الخوزي ، ولي وزارة المنصور بعد خالد بن برمك ، وأحسن القيام بالأعمال ، ثم فسدت عليـه نية المنصور ، فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله ، ومات سنة ١٥٤ هـ . والمورياني : نسبة إلى موريان ، وهي قرية من قرى الأهواز . « وفيات الأعيان »

وخَرِّبَ داره ، دَخلتُ إليها يَوْماً أُطوفُ فيها وأعتبر ، فإذا أَسْوَدُ قد خَرجَ عليَّ مِنْ بعض الُحجر ، فقال لي : هـذا سُخْطُ المَخْلُوق ، فكيف بسُخْطِ الخالِق على المخلوق ؟!

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال : الدُّنيا دار عَمَل ، فمن صَحِبَها بالبُغْض لهـا ، والزَّهادَةِ فيها ، والهضْم لهـا ، سَعِدَ بها ، ونَفَعَتْهُ صُحْبَتُها ، ومَنْ صَحِبها بالرَّغبة فيها ، والمحبَّةِ لها ، شَقِيَ بها ، وأجحَفَتْ بحَظِّه مِنَ الله تعالى ، ثم أَسْلَمَتْهُ إلى ما لا صَبْرَ له عليه من عذابِ الله وسَخَطِه ، فأمرُها صغير ، ومتاعُها قليل ، والفَناءُ عليها مكتوب ، والله وَليُّ ميراثِها ، وأهلُها يتحوّلونَ إلى منازل لا تبلى ، ولا يُغيّرُهـا طولُ الزَّمن ، ولا العُمُر فيها يفنى فيموتون ، ولا إن طال الثَّواءُ فيها يُخرَجُون ، فاحذروا - ولا قوّة إلا بالله - ذلك الموطن ، وأكثِروا ذِكرَ ذلك المُنقلَب .

نظر ابنُ مُطيع إلى داره فأعجَبَه حُسنها ثم بكى ، ثم قال : والله لولا الموت لكنتُ بكِ مسروراً ، ولولا ما نصيرُ إليه مِنْ ضِيق القبور ، لقَرّت بالدُّنيا أعيُننا ، ثم بكى حتى ارتفع صوته .

روى الخطيب أبو بكر رحمه الله في « تاريخـه » باسناده قال : قال يعقوبُ بن شيبة[1] : رأيت على باب دارٍ خَراب

(١) هو ابو يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور السدوسي بالولاء .

رُبَّتَ دارٍ بعدَ عُمْرانِها أَضْحَتْ خراباً ما بها آهِلُ
لم تَدْخُلِ البَهْجَةُ دارَ امرئٍ إلاَّ وما يَهْدِفُها داخِلُ
ما يَأْمَنُ الدُّنيا وأَيَّامَها بَعْدي إلاَّ أَنْوَكٌ جاهِلُ
أَمَا ترى العَيْشَ بها زائلاً تَبّاً لدُنيا عَيشُها زائِلُ

والشعر لسعيد بن حميد الكاتب .(١)

قال أبو زيد الرقي : قال أبو محمد الفضيل بن عياض رضي الله عنه : يا أبا يزيد اشْتَرَيتَ داراً ؟ قلت : نعم . قال : وأَشْهَدْتَ شهوداً ؟ قلت : نعم . قال : فإنّه والله يأتيكَ مَنْ لاينظُرُ في كتابِكَ ، ولا يسألُ عن بيِّنَتِك، فيُخْرِجُكَ منها عُرياناً مُجَرَّداً ، فانظرْ أنْ لاتكونَ اشتريتَ هذه الدّار مِنْ غيرِ مالِك ، وَوَزَنتَ فيها مالاً مِنْ غيرِ حِلِّه ، فإذا أنتَ قد خَسِرْتَ الدنيا والآخِرَة .

ـ البصري نزيل بغداد ، من كبار علماء الحديث ، كان يتفقه على مذهب الامام مالك ، له « المسند الكبير » معللاً ، يقال : إنه لم يصنف مسند أحسن منه إلا أنه لم يتمه « تذكرة الحفاظ » ١٤١/٢ .

(١) هو سعيد بن حميد بن سعيد بن بحر من أولاد الدهاقين ، وأصله من النهروان ، ومولده ببغداد ،وهو كاتب مترسل وشاعر فصيح ، قلده المستعين العباسي ديوان رسائله .

عن معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنه ، أنه قال : سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خُطبة أحد العيدين : « الدُّنيا دارُ بلاء ومنزل قلقٍ وَعناء ، وقد نَزَعَتْ عنها نفوسُ السُّعداء ، وانتُزعت بالكُرْهِ مِنْ أيدي الأَشقياء ، فأَسعدُ النَّاس بها أَرْغَبُهم عنها ، وأشقاهُم بها أرغبهم فيها ، هي الغاشَّةُ لمن انْتَصَحَها ، والْمُغْوِية لِمن أطاعَها ، والخاتِرَة [(١)] لمن انقادَ لها . فالفائز مَنْ أَعرَضَ عنها ، والهالكُ مَنْ هو راغِبٌ فيها [(٢)] . طُوبى لِعَبْدٍ اتقى فيها رَبَّه ، ونَاصَحَ نفسَه ، وقدَّم توبَتَه ، وأَخَّرَ شَهْوَتَه مِنْ قَبل أنْ تَلفِظَه الدُّنيا إلى الآخرة ، فيُصْبِحَ في بطنِ مُوحِشَةٍ غبراء ، مُدْلَهِمَّةٍ ظلماء ، لايستطيعُ أن يَزيدَ في حَسَنَة ، ولا يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَة ، ثم يُنْشَرُ فيُحْشَرُ إمَّا إلى جَنَّةٍ يدُومُ نعيمها ، وإمَّا إلى نارٍ لا يَنْفَدُ عذابُها [(٣)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول في خطبته : « يا أيُّها النَّاس إنَّ هذه الدَّارَ دارُ التواء ، لا دارُ استواء ، وَمنزل تَرَح ، لامنزل فَرَح . مَنْ عَرفها لم يَفْرَحْ لرَخاء ، وَلَم يحزَن لشقاء . ألا وإنَّ اللهَ عزَّ وجل خَلَقَ الدُّنيا دارَ بلْوى ، والآخرة دارَ عُقْبى ،

---

(١) الخاترة : الغادرة .

(٢) في « الأربعين » : من هوى فيها .

(٣) « الأربعين الودعانيه » : ٢٢ ، وقد تقدم الكلام عليها .

فجعلَ بلوى الدُّنيا لثوابِ الآخرة سبباً ، وثوابَ الآخرة مِنْ بلوى الدُّنيا عِوَضاً ، فيأخذ لِيُعْطي ، وَيبتلي لِيَجْزي . إنَّها لسريعةُ الذَّهابِ، وَشيكَةُ الانقلاب ، فاحذروا حَلاوَة رَضاعِها لمرارَةِ فِطامِها ، وأَهْجُروا لذيذَ عاجِلِها ، لِكَريهِ آجلها ، ولا تَسْعَوا في عُمْرانِ دارٍ قد قضى الله خَرابَها ، وَلا تُواصِلُوها ، وَقد أرادَ اللهُ مِنكم اجتنابَها ، فتكونوا لِسُخْطِهِ مُتعرِّضين ، ولِعُقُوبَته مُسْتَحِقِّين [١].

وقال الشاعر :

أَلا إنَّما الدُّنيا غَضارَةُ أَيْكَةٍ ... إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ [٢]

فكم سَخُنَتْ بالأَمْسِ عينٌ قَريرةٌ ... وَقَرَّتْ عُيونٌ دَمْعُها أَمْسِ ساكِبُ [٣]

هي الدَّارُ ما الآمالُ إلّا فجائعٌ ... عليها وَما اللَّذاتُ إلَّا مَصائِبُ [٤]

وقال ابن المعتز :

يا دارُ يا دَارَ أطرَابي وَأشجاني ... أَبْلَى جَديدَ مَغانيكِ الجَديدانِ [٥]

---

(١) « الأربعين الودعانية » : ٢٣ .

(٢) الأبيات لأحمد بن محمد بن عبد ربه في « العقد الفريد » ٣/١٧٥ .

(٣) جاء ترتيب هذا البيت في « العقد » بعد البيت الثالث .

(٤) في « العقد » بعد هذا البيت :

فلا تَكتَحِلْ عيناك فيها بعبرةٍ ... على ذاهبٍ منها فانك ذاهبُ

(٥) ديوانه : ٤١٨ .

لَئِنْ تَعطَّلْتَ مِنْ لهوي ومِنْ سَكَني   لقد تَأَهَّلْتَ مِنْ بَثِّي وَأَشجاني [١]

جادَتْكَ رائِحةٌ في إثْرِ غادِيَةٍ   تَرْوي ثَرًى مِنْكَ أمسى غيرَ رَيَّانِ [٢]

حَتّى أرى النُّورَ في مَغْناكِ مُبْتَسِماً   كأنَّه حَدَقٌ في غيرِ أجفانِ

وقال محمود الوراق [٣] :

فما أهْلُ الحياةِ لنا بأهلٍ   وَلا دارُ الحياةِ لنا بدارِ

وَما أوْلادُنا والأَهلُ فيها   وَلا أموالُنا إلّا عَواري

وَأَنْفُسُنا إلى أجَلٍ قَريبٍ   سَيأْخُذُها المُعيرُ مِنَ المُعارِ

عن محمد بن الحسن بن عُبَيد الله الكوفي رحمه الله ، قال : كتبَ إليَّ داود الفارسي رحمه الله ، وكان عالماً ناسكاً ، بهذه الألفاظ :

يا حيْ ، الدُّنيا دارُ زَللٍ وزوال ، وتغيُّر حالٍ بعدَ حال ، ثم كتب آخرَ كِتابه هذه الأبيات :

أفرَطْتُ في العيشِ وَتأْميله   وَللمَنايا شِيَمٌ نُكُدُ

وإنَّما عَيْشُ الفتى ساعةٌ   لا قَبْلَها منها ولا بَعْدُ

ما أوْسَعَ الدُّنيا على أهلِها   لو لم يكُنْ آخِرُها اللَّحْدُ

---

(١) في الديوان : « لئن تخلَّيت . . . من همي وأحزاني » .

(٢) في الديوان : « . . . في إثر باكرة » .

(٣) هو محمود بن حسن الوراق ، أكثر شعره في المواعظ والحكم ، توفي في حدود ٢٢٥ هـ .

وقال سابق البَرْبَري [١] :

وَلِلْمَوتِ تَغْذو الوالداتُ سِخالَها كما لِخرابِ الدُّور تُبْنى المساكِنُ [٢]

عَجِبْتُ مِنَ الدُّنيا وَذَمّي نَعيمَها وَحُبي لها في مُضْمَرِ القلبِ باطِنُ

وَقَوْلي أَعِذْني رَبِّ مِنْ كل فِتْنَةٍ وَأُكْلَفُ منها بالذي هو فاتِنُ

وقال البحتري :

أَرُسُومُ دارٍ أمْ سُطُورُ كِتابِ دَرَستْ بشاشَتُها مع الأَحْقابِ [٣]

يجتازُ زائرُها بغيرِ لُبانَةٍ ويُرَدُّ سائِلُها بغيرِ جَوابِ [٤]

وَلَرُبَّما كان الزَّمانُ مُحَبَّبا فينا بِمَنْ فيها مِنَ الأَحْبابِ

---

(١) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري ، شاعر من الزهاد ، له كلام في الحكمة والرقائق ، وهو من موالي بني أمية ، سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز ، فيستنشده عمر ، فينشده من مواعظه . والبيت الأول في « العقد للفريد » : ٦٩/٢ ، و « الخزانه » : ٢٦٣/٤ .

(٢) سخالها : أولادها ، الواحد سخلة ، للذكر والأنثى ، وهو في الأصل ولد الغنم .

(٣) ديوانه : ٢٩٤/١ ، من قصيدة يمدح بهـا أبا الخطاب الطائي . قال الآمدي : قوله « على الأحقاب » ، أي : على مر السنين .

(٤) قال الآمدي : قوله « يجتاز زائرها بغير لبانة » أي : إذا عرّج عليها زائرها في اجتيازه بها فانه يجتاز ، أي : يجوزها ويمضي بغير حاجة قضيت له ، وأراد : ينصرف عنها زائرها بغير لبانة ، فجعل في موضع « ينصرف » « يجتاز » .

وقال الكميت :

مالِيَ في الدّارِ بعدَ ساكِنِها   وإنْ تذكَّرْتُ أهلَها أرَبُ (١)

لا الدّارُ رَدَّتْ جوابَ سائِلِها   ولا بكَتْ أهلَها إذِ اغترَبوا

وقال عديٌّ بنُ الرِّقاع العاملي :

لِمنِ الدّارُ كأنضاءِ الكتابِ   هاجتِ الشَّوْقَ وَعَيَّتْ بالجوابِ

لم تَزِدْكَ الدّارُ إلّا طَرَباً   وَالصِّبى غيرُ شبيهٍ بالتَّصابي

ربما قد كانَ فيها ساكِنٌ   أهلُ أنْعامٍ وَخَيْلٍ وَقِبابِ

وقال أبو دُوَاد الإيادي ، واسمه جارية بنُ الحجّاج :

قدْ عرَفْتُ الدّارَ قَفْراً لم تُحَلّْ   بينَ أجيادِ خِفافٍ فالرِّحَلْ (٢)

ظَعَنَ الحيُّ الأُلى كانوا بها   وعفا رَسْمٌ وأضحى كالخِلَلْ (٣)

---

(١) شرح « الهاشميات » : ٥٧ من قصيدة مطلعها :

أنّى ومن أين آبَكَ الطَّرَبُ   من حيثُ لا صبوةٌ ولا رِيَبُ

(٢) أنشد البكري في « معجم ما استعجم » ٥٠٥ : البيت الأول ونسبه لأبي دواد ، وروايته فيه :

هل عرفتَ الدار قفراً لم تُحِلْ   بين أجماد خُفافٍ فالرِّجَل

وضبط « خفاف » بضم أوله ، وذكر أنه موضع بظهر الكوفة بين بلاد بني يربوع وبني أسد بن خزيمة .

(٣) لم يرد هذان البيتان في ما جمعه فون غرنباوم من شعر أبي دؤاد . والخِلَل، جمع خِلّة ، وهي بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره .

هَيَّجَ الشَّوقَ الذي كان صَحا   حَبْسُكَ اليومَ على ذاكَ الطَّلَلْ

وقال جرير بن عطيَّة :

أدارَ الجميعِ الصَّالحِينَ بذي السِّدْرِ   أَبيني لنـا إنَّ التَّحيَّةَ عنْ عُفْرِ (١)

لقدْ طَرَفَتْ عَيْنَيَّ في الدَّارِ دِمْنَةٌ   تعاورَها الأَزْمانُ بالرِّيحِ والقَطْرِ (٢)

فقلتُ لأَدْنى صاحِبَيَّ وإنَّني   لأَكتُمُ وَجْداً في الجوانِحِ كالجَمْرِ :

لعَمْرُكُما لا تُعْجِلانِيَ موْقِفاً   على الدَّارِ فيهِ القَتْلُ أو راحَةُ الدَّهرِ (٣)

وقال أيضاً :

أَلا حَيِّ رَهْبى ثُمَّ حَيِّ المطاليَا   فقد كانَ مأنوساً فأَصبحَ خاليا (٤)

فلا عَهْدَ إلَّا أنْ تَذَكَّرَ أوْ تَرى   ثُماماً حَوالي منْصَبِ الخَيْمِ باليا (٥)

---

(١) ديوانه : ٢٧٦ ، والعفر : البعد وطول العهد .

(٢) في الديوان : لقد طرقت ، وهو تصحيف .

(٣) في الديوان : « لا تعجـلا إن موقفاً » وقوله : أو راحـــة الدهر : أراد السلو .

(٤) ديوانه : ٦٠١ ، و « النقائض » : ١٥٩/١ ، قال أبو عبيدة : رهبى والمطالي : موضعان ، ومأنوس : حيث الأهل ، وخالٍ : قفر . وقال ابن حبيب: المطالي : جمع مَطلاة : وهي ما انخفض واتسع من الأرض .

(٥) الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشي به ، وسُد به خصاص البيوت .

فياليْتَ أنَّ الحيَّ لمْ يتفرَّقوا　　وَأمْسَوْا جميعاً جِيرَةً مُتدانِيا
فقد خِفْتُ ألّا يَجْمَعَ الدّارُ بيننـا　　ولا الدّهرُ إلا أنْ نُجِدَّ الأمانيا

وقال أبو حَيَّة النميري :

يا دارُ غيَّرَهـا التقادُمُ والبِلى　　بـينَ السَّلِيلِ وَمَأْزِميْ أكبادِ[1]
لازِلْتِ في خَفْضٍ عليكِ تهافَتَتْ　　دِيَمٌ عليكِ طويلةُ الإرْعـادِ
وأنارَ واديكِ الرَّبيعُ فرُبَّمـا　　نَغْنى بـهِ ونراهُ أبهَجَ وادِ
وأرَى به الأَنَسَ الذينَ تُحِبُّهُم　　عيني وَيألَـفُ مَنْ تُحِبُّ فؤادي

وقال حفص الأُموي :

يا دارُ أقْوَتْ مِنْ بعـدِ حاضِرِها　　لمْ يَبْقَ فيها سوى أواصِرِهـا
ألقَتْ عليهـا الرِّياحُ أرْدِيَةً　　تَنْشُرُها مِنْ كُسَى أعاصِرِهـا
حُيِّيتِ مِنْ دِمْنَةٍ بمـا خَلَفَتْ　　عَيْنٌ عَطوفٌ على جآذِرِهـا
يا رُبَّمـا رَاقَني بساحَتِهـا　　طيبُ هواها وَلَهْوُ سامِرِهـا
أيّامَ لا خَوْفَ مِنْ شَتاتِ نَوَىً　　تُخْشَى ولا رَوْعَ مِنْ تطايُرِهـا
كُنّا بهـا حِقْبَةً فأزْعَجَنا　　خَطْبٌ نفى الخَفْضَ عن مُجاوِرِها
شَتَّتَ بـينَ الخَليطِ فارتَحَلُوا　　عنها وأبْدى خَرابَ عامِرِهـا

---

(١) السليل والسلان : الأودية . والمأزم : كل طريق ضيق بـين جبلين ، وأكباد : جبل .

فالدّارُ لو زُرْتَهـا رأَيتَ بها آياً تَهيجُ الأَسى لِزائِرِهـا
تلكَ المغـاني فإنْ مَرَرْتَ بهـا يوْمـاً فسَلِّمْ على دَواثِرِهـا
وانظُرْ إليهـا أَلَمْ تَصِرْ دِمَناً تَهْفُو السَّوافي على دَعاثِرِهـا (١)

قال ابنُ المعتز :

وسُكّانِ دارٍ لا تَواصُلَ بينَهُم على قُرْبِ بعْضٍ في التَّجاوُرِ منْ بعضِ (٢)
كأَنَّ خَواتيماً مِنَ الطِّينِ فوقَهُم فليسَ لهـا حتى القِيامَةِ مِنْ فَضِّ (٣)

وقال أبو العتاهية :

أَلا يا نفْسُ ما أَرجو بدارٍ أرى مَنْ حَلَّهـا قَلِقَ القَرارِ (٤)
بدارٍ إنَّمـا الشَهَواتُ فيها مُعَلَّقَـةٌ بأيامٍ قِصارِ (٥)
نَرى الأَموالَ أَرْباباً علينـا وَما هي بيننا إلّا عَوارِ
ونَذْكُرُ أنْ نَدِبَّ لها وَنَنْسى دَبيبَ اللَّيل فينـا والنَّهارِ

---

(١) الدعثور : الحوض لم يتنوق في صنعته ولم يوسع ، أو هو المتهدم المتثلم ، جمعه دعاثير ودعاثر .

(٢) ديوانه : ٣٣٨ .

(٣) في الديوان : من الطين بينهم .

(٤) ديوانه : ١٥٦ ، عدا البيت الأخير .

(٥) في الديوان : انما اللذات .

وقال آخر : هذه الأبيات مِنْ قصيدة تُنْسَبُ إلى أكثم بن صيفي [١] :

أيسألُ رَسمَ الدَّارِ والدَّارُ قلبُهُ وأنّى لها ما قد حَواهُ مِنْ الوَجْدِ
وَيسْخَطُ أفعالَ السَّحاب بتُرْبِها إذا مَعْهَدٌ منها تغيَّرَ عن عَهْدِ
وَما مُتْعَةُ الأَحبابِ إلَّا تَعِلَّةٌ تُلِمُّ لتَشْتِيتٍ وَتَقْرُبُ عن بُعْدِ

رُوي أنَّ قوماً تشاجَرُوا بينَ يديْ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضوانُ الله عليه ، في أشعرِ النَّاس . فقال عمر : سأُرْسِل إلى سيِّدِ النَّاس فأسأله ، فقال النّاس : قد تشاجرنا في سيِّد الشُّعراء ، فتريد الآن تنظر إلى سيِّد النَّاس ! فأرسل إلى عبد الله بن العباس ، رضوان الله عليهما ، فجاءَه ، فقال له : يا أبا العبَّاس أنشدنا ما تَسْتَحْسِنُ مِنَ الشِّعر ، فقال : سأُنشِدكم لسيِّد الشُّعراء ، فأنشدُهم لزهير بن أبي سُلْمى :

هل في تذكُّرِ أيَّامِ الصِّبى فَنَدُ أمْ هلْ لِما فاتَ مِنْ أيَّامِهِ رَدَدُ [٢]
أمْ هل يُلامَنَّ باكٍ هاجَ عَبْرَتَهُ بالحِجْرِ إذ شَفَّهُ الوَجْدُ الذي يَجِدُ [٣]

---

(١) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين ، عاش زمناً طويلاً وأدرك الاسلام ، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الاسلام ، فمات في الطريق ، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه .

(٢) ديوانه : ٣٧٩ . والفند : الخطأ في القول والرأي .

(٣) شفه الوجد : براه الحب الشديد وهزله وأسقمه وأوهنه .

أوْفى على شَرَفٍ نَشْزٍ فأزْعَجَهُ ... قلبٌ إلى آل سَلْمى تائِقٌ كَمِدُ [١]

متى أرى دارَ حيٍّ عَهْدُنا بهِمُ ... حَيثُ التقى الغَوْرُ مِنْ نعمانَ وَالنَّجُدُ [٢]

لهم هَوىً مِنْ هَوانا ما يُقَرِّبُنا ... ماتتْ على قُرْبهِ الأَحشاءُ والكَبِدُ

إنِّي لِما اسْتَوْدَعتْني يومَ ذي غُذُمٍ ... رَاعٍ إذا طالَ بالْمستودَعِ الأَمَدُ [٣]

إنْ تُمسِ دارُهُمُ منّـا مُباعَدَةً ... فما الأَحبَّةُ إلّا هُمْ وإنْ بَعُدُوا

وقال جميلُ بن مَعْمَر :

على الدَّارِ التي لبِسَتْ بِلاهـا ... قِفـا يا صاحِبَيَّ فسائِلاها [٤]

وما يُبكيكَ مِنْ عَرَصاتِ دارٍ ... تقادَمَ عَهْدُهـا وَبدا بِلاها

عن محمد بن يزداد [٥] قال : دَخلتُ علي المأمون يوماً فرأيته وبيده رُقعةٌ ، فقال لي : يا محمد أقرأْتَ ما فيها ؟ قلتُ : هي في يد أمير المؤمنين ، فرمى بها إليَّ ، فإذا فيها مكتوب :

---

(١) الشرف : المكان العالي ، والنشز : المرتفع .

(٢) الغور : ما انهبط من الأرض ، ضد النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع ، وجمعه : أنجد وأنجاد ونجاد ونجود ونُجُد .

(٣) ذو غذم ، بضمتين : موضع من نواحي المدينة .

(٤) لم يرد البيتان في الديوان .

(٥) هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي أحد كتاب المأمون ووزرائه ، توفي في « سر من رأى » سنة ٢٣٠ هـ .

إنكَ في دارٍ لها مُدَّةٌ ... يُقْبَلُ فيها عَمَلُ العامِلِ
أما تَرى الموتَ مُحيطاً بنا ... يقطعُ فيها أَمَلَ الآمِلِ
تَعَجَّلُ الذَّنبَ لِما تشتهي ... وَتأملُ التَّوْبةَ مِنْ قابلِ
والموتُ يأتي بعدَ ذا بَغْتَةً ... ماذا بِفعْلِ الحازِمِ العاقِلِ ؟

فلمَّا قرأْتُها ، قال لي المأمون : هذا مِنْ أحكَمِ شِعْرٍ قرأْتُه .

وقال المُساوِرُ بن هند بن قيس بن زهير العبسي [(١)] :

وَدارِ حِفاظٍ قد حَلَلْتُم ، مُهانَةٌ ... بها نِيبُكُم ، والضَّيْفُ غيرُ مُهانِ [(٢)]
إذا سُئِلُوا ما ليسَ بالحقِّ فيهمُ ... أبى كلُّ مَجْنيٍّ عليهِ وَجانِ [(٣)]

وقالت رَيْطَةُ بنتُ عاصم :

وَقفتُ فأبْكَتْني بدارِ عشيرَتي ... على رُزْئِهِنَّ الباكياتُ الحواسِرُ [(٤)]

---

(١) هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، شاعر فارس إسلامي شريف ، مخضرم ، أدرك النبي ﷺ ، ولم يجتمع به ، وعاش إلى أيام الحجاج . والبيتان في « الحماسة » ٤/٩٨ بشرح التبريزي .

(٢) دار الحفاظ : التي لا يقيم فيها إلا من حافظ على حسبه وصبر على ما لا يصبر عليه ، وذلك أنه لا يحافظ على حسبه إلا الشريف .

(٣) قوله : « إذا سئلوا ما ليس بالحق فيهم » أي : إذا طلب الضيم منهم أبوا سواء كان الطلب فيما جني عليهم ، أو جنوا هم على غيرهم ، وفي الكلام حذف ، أي : كل مجني عليه وجان منهم .

(٤) الأبيات في « الحماسة » ٣/٦٩ ، قال التبريزي : والباليات الحواسر : النساء يبكين عن أوجههن ، ويروى : الباليات ، تعني بها مواضع الخيام .

غدَوْا كسُيوفِ الهندِ وُرّادَ حَوْمَةٍ   مِنَ الموتِ أعيا وِرْدُهنَّ المصادِرُ (١)
فوارسُ حامَوا عن حَريمي وحافظوا   بدارِ المنايا والقَنا مَتَشاجِرُ (٢)
ولو أنَّ سلمى نالها مِثلُ رُزْئِنا   لهُدَّتْ ولكن تَحْمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ (٣)

وقال البحتري :

يا دارُ لا زالتْ رُباكِ مُجودَةً   مِنْ كلِّ ساريَةٍ تُعَلُّ وَتُنهَلُ (٤)
أذكرْتِنا دُوَلَ الزَّمانِ وَصرْفَهُ   وأرَيْتِنا كَيفَ الخُطوبُ النُّزَّلُ (٥)
أَصبابَةً برُسوم دَامِسَةَ بعدَما   عَرَفتْ مَقارِفَها الصَّبا والشَّمْألُ (٦)
وَسألتُ مَنْ لا يستجيبُ فكنتُ في استِخْبارِهِ كمُجيبِ مَنْ لا يسألُ

وقال البحتري أيضاً :

---

(١) وراد : جمع وارد ، والحومة : موضع القتال ، لأن الأقران يحومون حولها . تقول : وردوا حومة من الموت أعجزهم الصدر عنها .

(٢) الحريم : الموضع الذي تلزمهم حمايته ، ومتشاجر : متداخل .

(٣) سلمى : أحد جبلي طيىء ، وهدت : كسرت ، وعامر : قبيلتها .

(٤) ديوانه : ٣٢/١ من قصيدة يمدح بهـــا المتوكل . والأول والثاني في « الموازنة » : ٤٧٢ وفيها : «من كلّ غادية» قال الآمدي : أراد: تعل الربى وتنهل من كل غادية .

(٥) في الديوان : « فهمتنا دول الزمان . . . »

(٦) في الديوان : « عرفت معالمها »

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أناقائِلُه وَأبدى الجوابَ الرَّبعُ عَمّا تُسائِلُهْ (١)

أفي ذاكَ بُرْءٌ مِنْ جوىً ألهبَ الحَشا تَوَقُّدُهُ ، وَاستَغْزَرَ الدَّمعَ جائِلُهْ

هوَ الدَّمعُ مَوْقوفاً على كلّ دِمْنَةٍ تُعَرِّجُ فيها ، أو خليطٍ تُزايِلُهْ

تَرادَفَهُمْ خَفْضُ الزَّمانِ وَلِينُهُ ، وَجادَهُمُ طَلُّ الرَّبيعِ وَوابِلُهْ (٢)

وقال آخر :

يا دارُ أضحَتْ خَلاءً لا أنيسَ بها إلّا الظِّباءُ وإلّا النّاشِطُ الفَرِدُ (٣)

أينَ الذينَ إذا ما زُرْتُهم جَذِلوا فطارَ عن قلبيَ التَّشْواقُ والكَمَدُ

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري رحمه الله :

لِمَنِ الدّارُ أقفَرَتْ بِمَعانِ بينَ شَطِّ اليَرْمُوكِ فالصَّمانِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٦٢/١ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان .

(٢) في الديوان : « ترادفهم خفض النعيم . . . » .

(٣) البيتان غير منسوبين في « الأغاني » ٣١٤/٦ ، والناشط : الثور الوحشي، وكذلك الحمار الوحشي ، والفرد : المنفرد .

(٤) ديوانه : ٤١٤ و « الأغاني » : ١٦٦/١٥ من قصيدة يمدح بها جبلة بن الأيهم ، ورواية البيت في الديوان :

لمن الدار أوحشت بمعان بين أعلا اليرموك فالخمّان

ومعان ، بالفتح ، والمحدّثون يقولونه بالضم : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، والصمان : قال ياقوت : فيما أحسب من نواحي الشام ، –

فالقُرَيّاتِ مِنْ بلاسَ فدارَيّـا فسَـكّاءَ إلى الرُّسُوم الدّواني (١)
فقَفا جَاسِمٍ فأَوْدِيَةِ الصُّفّـ ـرِ مَغْنى قبائِلٍ وَهجـانِ (٢)
ذاكَ مَغْنى لآلِ جَفْنَةَ في الدّهـ ـرِ وحَقاً تَصَرُّفُ الأزمـانِ (٣)
ثَـكِلَتْ أُمُّهم وقد ثَـكِلَتْهُم يَوْمَ حَلُّوا بحارِثِ الجولانِ (٤)

وقال آخر :

عَجَباً لي ولاغتراري بدارٍ لستُ أبقى لها ولا تَبقى لي
ما تَصافى قَوْمٌ على غَيرِ ذاتِ اللّـ ـهِ إلّا تَفَرَّقُوا عنْ تقـالِي

وقال آخر :

ـ وفي هامش « الأغاني » : قلت : وصواب الرواية « الحمان » كما في ديوان حسان ، وهي من نواحي البثنية من أرض الشام .

(١) في الديوان و « الأغاني » : فسكاء فالقصور الدواني .

(٢) رواية البيت في « الأغاني » :

فحمى جاسم فابنيةُ الصُّفّر مغـنى قنابـل وهجان

وجاء في هامشه : القنابل : جمع قنبل وقنبلة بالفتح ، وهي الطائفة من الناس ومن الخيل ، والهجان من الناس : الخالص الكريم ، ومن الابل : البيض الكرام.

(٣) في الديوان و « الأغاني » : وحق تعاقب الأزمان .

(٤) قال ياقوت : الجولان ، بالفتح ثم السكون : قرية ، وقيل : جبل من نواحي دمشق ، ثم من عمل حوران . قال ابن دريد : يقال للجبل : حارث الجولان ، وقيل : حارث : قلة فيه .

يا مُشيدَ الحِصْنِ يبغي نَفْعَهُ | قلَّما تُغْني مِنَ الموتِ الحُصونُ
تطلب التَّخْليدَ في دارِ الفنا | خابَ مَنْ يطْلُبُ شيئاً لا يكونُ
سائِلِ الأيَّامَ عنْ أمْلاكِها | أيَّ دَرٍّ قطَعَتْ عنْها اللَّبونُ
كم بهـا مِنْ راكِضٍ أيَّامَهُ | وَله مِنْ رَكْضِها يومٌ حَرونُ

وقال آخر :

نَعْمُرُ الدُّنيا وَما الدنـ | ـيا لنا دارُ إقامَـهْ
إنَّمـا الغِبْطَةُ والحَسْـ | ـرَةُ في يوم القيامَـهْ

رُوي أنَّ فاطِمَة بنت الحسن رضوان الله عليه نظرَت إلى دارِ زَوْجِها الحسن بن الحُسين رضي الله عنهما ، فغَطَّتْ وَجْهَها وقالت :

وكانُوا رَجاءً ثُمَّ صاروا رَزِيَّةً | لقد عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزايا وَجَلَّتِ

ثم ضَرَبتْ على قـبره فُسطاطاً أقامت فيه سنة ، فلما استكملتها أمرَتْ بالفُسطاط فقُلِع ، ودخلتِ المدينة ، فسَمِعَتْ قائلاً يقول من جانب البقيـع : هَلْ وَجَـدوا ما فقَدوا ، وقائلاً من الجانب الآخر يقول : بل يئسوا فانقلَبوا .

قال وهب بنُ منبِّه رحمه الله : نحنُ بنو آدم مِنْ نسل الجَنَّة ، سبانا إبليسُ إلى الدُّنيا بخطيئة أبينا ، فليس لنا إلَّا البكاءُ حتى نعودَ إلى الدَّار التي سبانا منها .

رُوي أنَّ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (١) رحمه الله باع داراً بثمانينَ ألفَ دِرْهَم . فقيل له : لو اتخـذت لِوَلدِك مِنْ هذا المال ذُخراً ، فقال : أنا أَجْعَلُ هذا المالَ ذُخراً لي عند الله تعالى ، وأجعلُ الله سبحانه ذُخراً لولدي ، ثم تصدق بالمال .

كتب رجل إلى صالح بن عبد القدوس رحمه الله :

المَوْتُ بابٌ وكلُّ النَّاسِ داخِلُهُ فليتَ شِعريَ بعدَ البابِ ما الدَّارُ

فكتب إليه صالح :

الدَّارُ جَنَّةُ عَدْنٍ إنْ عَمِلْتَ بما يُرْضي الإلٰهَ وإنْ فرَّطْتَ فالنَّارُ
هُمـا مَحلَّانِ ما للنَّاس غيرُهُما فانظرْ لنفسكَ ماذا أنتَ مُختارُ

وقال آخر :

دَرَجَ اللَّيلُ والنَّهارُ على فَهْـ ـمِ بنِ عَمْروٍ فأصبحوا كالصَّريمِ (٢)
وَخَلَتْ دارُهُم فأضحَتْ يَباباً بعـدَ عِزٍّ وَثَرْوَةٍ ونعيمِ

---

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة الذين انتهى إليهم العلم ، وكان شاعراً غزلاً ، توفي نحو ٩٩ هـ ، ترجمته في « السمط » ٧٨١ و « الأغاني » ١٣٩/٩ و «الوفيات» ٣٠٠/٢ .

(٢) فهم بن عمرو : هو فهم بن عمرو بن قيس عيلان من عدنان ، جـــد جاهلي ، من نسله : الليث بن سعد الفهمي ، الامام الكبير .

وَكذاكَ الزَّمـانُ يذْهبُ بالنَّا   سِ وَتبقى دِيارُهم كالرُّسومِ

وقال أبو العتاهية :

ما رَأَيتُ العيشَ يصْفُو لِأَحَدْ   دُونَ كَدٍّ وعنـاءٍ ونَـكَدْ [1]

نحنُ مِنْ دَارِ فناءٍ وَبِلَىً   تنقُلُ النَّاسَ إلى دارِ الأَبَدْ

كُنْ لِمـا قَدَّمْتَهُ مُغْتَنِماً   لا تُؤَخِّرْ عملَ اليوم لِغَـدْ

وقال أبو تمام :

ما إنَّ هـذا مَوْقِفُ الجازعِ   أَقْوَى وَسُؤْرُ الزَّمنِ الفاجعِ [2]

دَارٌ سقاها بعـدَ سُكَّانِها   صَرْفُ النَّوى مِنْ سَمِّهِ النَّاقعِ

فلا تَلُومَنَّ ذا الهوى إنَّهـا   ليسَتْ ببِدْعٍ حَنَّـةُ النَّازعِ [3]

وقال أيضاً :

قِرَى دَارِهِمْ مني الدُّمُوعُ السَّوافِكُ   وإنْ عادَ صُبحي بعدَهُمْ وهو حالِكُ [4]

---

(١) الأول والثاني في ديوانه : ١٠٨ .

(٢) ديوانه : ٣٥١/٢ من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو ، وفيه : « ها إنّ هذا » قال التبريزي : ويروى : « لفجع الزمن الفاجع » . وسؤر الشيء : بقيته يريد : أن هذا الربع سؤر الزمن ، أي : قد أهلك معظمه ، وبقيت منه بقية .

(٣) في الديوان : « ولا تلوما ذا الهوى ... » والحنّة : مصدر حن يحِن ، والنازع : الذي ينزع إلى وطنه .

(٤) ديوانه : ٤٥٦/٢ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. —

سَقَتْ رَبْعَهُمْ لا بلْ سَقَتْ مُنْتَواهُمُ مِنَ الأَرْضِ أخْلافُ السَّحابِ الحواشِكُ(١)

وَألبَسَهُمْ عَصْبَ الرَّبيعِ وَوَشْيَهُ وَيُمْنَتَهُ نَبْتُ النَّدى المُتلاحِكُ(٢)

وقال أبو نواس :

يا دَارُ ما فعلتْ بكِ الأَيَّامُ لَمْ تُبْقِ فيكِ بشاشةً تُسْتَامُ(٣)

عَرِمَ الزَّمانُ على الذينَ عَهِدْتُهُمْ بكِ قاطِنينَ ولِلزَّمانِ عُرامُ(٤)

أيَّامَ لا أغشى لِأَهْلِكِ مَنزِلاً إلَّا مُراقَبةً عليَّ ظَلامُ

— وفي الديوان بعد هذا البيت :

وإن بكرَتْ في ظُعْنِهِم وحُدوجِهِم زيانب من أحبابنا وعواتك

(١) قال التبريزي : المنتوى : الموضع الذي ينتوون إليه ، أي : ينوونه ويرحلون إليه ، واستعار الأخلاف للسحاب ، والحواشك : الكثيرة الماء في هـذا الموضع .

(٢) قال التبريزي : في النسخ « ألبسهم » والأشبه : « ألبسه » على معنى الربع، لأن العادة أن يدعى للديار بسقيا الغمام ليكثر فيها النبات والزهر ، فأما سكانها ، فيبعد أن يدعى لهم بمثل ذلك ، لأن الشعراء تصف ما على الهوادج من الزينة ، فوجب أن يكون من في الهودج أحسن ملبساً ، فهو غني عن التزين بالربيع وطيبه ، والأشبه أن يكون الدعاء بالالباس للربع دون أهـله . والمتلاحك : الذي يتصل بعضه ببعض .

(٣) ديوانه : ٥٧٥ ، و « طبقات الشعراء » لابن المعتز : ٢١١ من قصيدة يمدح بها الأمين . ورواية الشطر الثاني في الديوان : « ضامتك والأيام ليس تضام» .

(٤) عرم الزمان ، بتثليث الراء : اشتدت شراسته وأذاه .

وَلَقَدْ نَهزْتُ مع الغُواةِ بِدَلْوِهِم وَأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْوِ حيثُ أَسامُوا
وَبَلَغْتُ ما بلغ امرُؤٌ بشبابِهِ فإذا عَصارَةُ كلِّ ذاكَ أَثامُ (١)

وقال الشيخ أبو العلاء بن سليمان المعري :

هل تسمعُ القول دارٌ غيرُ ناطقةٍ وفقدُها السَّمْعَ مقرونٌ إلى الخرَسِ (٢)
لأُنْسيَنَّكِ إنْ طالَ الزَّمانُ بنا كم مِنْ حَبيبٍ تَمادى عَهْدُهُ فَنُسي (٣)

وقال النَّابغة الجعدي ، وهو قيسُ بنُ عبد الله :

وَهاجَتْ لكَ الأَحزانَ دارٌ كأنَّها بذي بَقَرٍ أوْ بالعَنايَةِ مُذْهَبُ (٤)

---

(١) في الديوان و « الطبقات » : فاذا عصارة .

(٢) شروح « سقط الزنـد » : ٢/٦٨٩ من قصيدة يهنىء بها بعض الأمراء بعرس ، مطلعها :

لولا تحيّة بعض الأربُع الدُّرُس ما هاب حدٌّ لساني حادثَ الحُبَسِ

(٣) في « شروح السقط » : لا أنسينك . قال الخوارزمي : لا أنسينك : نهي في معنى الدعاء ، ويروى : لأنسينك، على الايجاب ، والوجه بغير شبهة هو الأول.

(٤) الأول والثالث في شعره : ١٠ من قصيدة مطلعها :

ومولىً جفَتْ عنه الموالي كأنما يُرى وهو مَطْليٌّ به القار أجرب

وفيه : «العنانة » ، وذو بقر : قرية في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم عن الاصمعي : هو قاع يقري الماء ، أي : يجمعـه . وفي « معجم البلدان » : وعنان : واد في ديار بني عامر معترض في بلادهم ، أعلاه لبني جعدة ، وأسفله لبني قشير.

أواريّ خَيْلٍ قد عفَتْ ومنازِلُ أَراحَ بها حَيٌّ كِرامٌ وأعزَبُوا (١)
تَحمَّلَ منها أهلُها فتفرّقوا فريقين منهم مُصْعِدٌ ومُصوِّبُ (٢)

وقال الرَّبيعُ بنُ أبي الحُقَيْق :

دُورٌ عفَتْ بقُرى الخابورِ غيَّرها بَعْدَ الأَنيس سَوافي الرِّيح والمطرُ
إنْ تُمسِ دَارُكَ مِمّن كان يسكُنُها وَحْشاً فذلك صَرفُ الدَّهرِ والقَدَرُ
وقد تَحُلُّ بها بيضٌ ترائبُها كأنَّها بينَ كُثبانِ النَّقا البَقَرُ

وقال ابنُ المَوْلى ، وهو محمد بنُ عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار رضي الله عنهم من بني عمرو بن عوف :

سَلا دارَ ليلى هل تُبين فتنطِقُ وكيفَ تَرُدُّ القولَ بَيْداءُ سَمْلَقُ (٣)
وأنّى يَرُدُّ القولَ دارٌ كأنَّها لِطولِ بلاها والتَّقادمِ مُهْرَقُ (٤)

---

(١) الأواري : واحدها آري : وهو محبس الدابة ومعلفها .

(٢) في الشعر : « تحمل من أمسى بها » والمصوب : خلاف المصعد ، أي : المنحدر ، يقول : قد رحل من كانوا ينزلون بالديار ، وتفرقوا إلى فريقين ، فريق أنجد ، وفريق غور .

(٣) الأبيات في « الأغاني »٣/٢٨٦ ، ٢٨٨ . وفيه : « وأنى ترد » والسملق : القاع المستوي الأملس الذي لا شجر فيه .

(٤) المهرق : الصحيفة ، ومن عادة العرب تشبيه المنازل والديار إذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة .

فلا تَجْزَعنْ للبينِ كلُّ جماعَـةٍ وَجَدِّكَ مكتوبٌ عليها التفرُّقُ

وَخُذ بالتعزِّي كلَّ ما أنتَ لابسٌ جَديداً على الأَيَّام يَبلى ويَخلقُ (١)

فصبرُ الفتى عمَّـا تولَّى ففاتَهُ مِنَ الأَمر أَوْلى بالسَّدادِ وأوفَقُ (٢)

وَإِنَّكَ بالإشفاقِ لا تدفعُ الرَّدى وَلا الخيرُ مجلوبٌ فما لكَ تُشفِقُ (٣)

كأَنْ لم يَرُعْكَ الدَّهرُ أوْ أنتَ آمِنٌ لِأَحداثِهِ فيما يُغادي وَيطْرُقُ

وقال خليلي والبُكا ليَ غالبٌ أقاضٍ على هذا الأَسى والتَشَوُّقُ (٤)

وقد طالَ تَوْقافي أُكَفْـكِفُ عبرَةً على دِمْنَةٍ كادت بها النَّفسُ تُزْهَقُ (٥)

وإنسانُ عَيني في دوائرِ لُجَّةٍ مِنَ الماء يبدو تارَةً ثمَّ يَغْرَقُ

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

اِلْزَمْ ذَراكَ إذا لقيتَ خَصاصَةً فاللَّيثُ يَسْتُرُ حالَهُ الإِخْدارُ (٦)

---

(١) في « الأغاني » : . . . . بالٍ وَمُخلِقُ .

(٢) في « الاغاني » : . . . عمـا تولى ففاته . وقال أبو الفرج : ويروى : أدنى للذي هو أوفق .

(٣) في « الأغاني » : . . . . ولا الحَيْنُ مجلوب .

(٤) في « الأغاني » : . . . . أقاض عليك ذا الأسى .

(٥) في « الأغاني » : توقاني ، وهو تحريف .

(٦) « اللزوميات » : ٣٣١/١ ، وفيه : « وإن لقيت » والذرا : فنـاء الدار ونواحيها ، وكل ما استتر به فهو ذرا ، يقال : أنا في ظل فلان وذراه ، أي : -

هذي الْجُسُومُ مِنَ التُّرابِ كَوائِنٌ   والمرءُ لولا أنْ يُحِسَّ جِدارُ [1]
ويقولُ داري مَنْ يقولُ وأعبُدي   مَهْ فالعبيدُ لِرَبِّنا والدَّارُ
أتَرُومُ مِنْ زَمَنٍ وفاءً مُرضِياً   إنَّ الزَّمانَ كأهلِهِ غَدَّارُ
يقِفُونَ والفُلْكُ الْمُسَخَّرُ دائرٌ   ويُقَدِّرونَ فيضحكُ المِقْدارُ [2]

مرَّ رجلٌ من مُراد بأُويس القَرَني [3] رحمه الله ، فقال : كيفَ أصبحتَ يا أُويس ؟ قال : أصبحتُ أحمَدُ الله . قال : كيف الزَّمانُ عليك؟ قال : يا أخا مُراد إنَّ الموتَ وذِكْرَه لم يدَعْ في الأرض لمؤمنٍ فرحاً ، وإنَّ عِلمَهُ بكتاب الله لن يدَعَ في مالِهِ فضَّةً ولا ذهباً ، وإنَّ قيامَهُ بالحق

- في كنفه وستره . والاخدار : مصدر أخدر الأسد : إذا دخل خدره ، وهي أجمته .

(١) في « اللزوميات » : هذي الشخوص .

(٢) في « اللزوميات » : تقفون . . وتقدّرون فتضحك الأقدار .

(٣) هو أويس بن عامر ، ويقال: ابن عمرو القرني ، نسبة إلى قرن ، بفتح القاف والراء بطن من مراد ، اليمني العابد ، أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره ، فوفد على عمر بن الخطاب ، ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع علي رضي الله عنه ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها . والخبر إلى قوله « صديقاً » في « الحلية » ٨٣/٢ . قلت : وفي « صحيح مسلم » ١٩٦٨/٤ عن عمر بن الخطاب قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له : أويس ، وله والدة وكان به بياض ، فمروه فليستغفر لكم » .

لم يَدَعْ لهُ صديقاً . قال : حدثني بحديثٍ سمعتهُ من رسول الله ﷺ .
قال : يا أخا مُراد ما شهدتُ رسول الله ﷺ ، فأحدّثك عنه ، ولكن افعلوا
كما قال لكم رسولُ الله ﷺ : « حاسِبُوا نفوسَكم قبلَ أنْ تُحَاسَبوا
فهو أيسَرُ لحسابِكُم غداً ، وزِنُوا أعمالكم قبلَ أن تُوزَنَ ، فهو أثقَلُ
لوزنكم ، ولا تَخْرُبوا دُورَكم مِنَ الآخرة بعُمرانِ دُورِكُم في الدُّنيا ،
فإنَّ الله تبارك وتعالى جَعَل الدُّنيا قنطرة للآخرة فاعبُروها » .

وقال مهيار :

يا دارُ ليس اليومَ عَهْدُكِ أَمْسِ لي ظَهَرَتْ مُفارَقةٌ وبانَ خِلافُ [1]
وتَغَيَّرَتْ فيكِ الصَّبا عن خُلقِها ولِيانِها فنَسيمُها إعْصافُ [2]

وقال آخر :

لنْ يُقْنِعَ النَّفسَ إنْ كانتْ مُصرَّفَةً إلَّا التنقُّلُ مِنْ حالٍ إلى حالِ
لأَظْعَنَنَّ إلى دارٍ خُلِقْتُ لها وَخيرُ زادي فيها خَيرُ أعمالي

وقال آخر :

إنصَرَفَ النَّاسُ إلى دُورِهِمْ وَغُودِرَ الميِّتُ في رَمْسِهِ
مُرْتَهَنَ النَّفسِ بأعمالِهِ لا يَرْتجي الإطلاقَ من حَبْسِهِ

---

(١) ديوانه : ٢٧٧/٢ ، وفيه « يا دار لستِ اليوم مثلكِ » .
(٢) في الديوان : « وتغيرت ريح الصبا » .

لنفسِهِ صالِحُ أعمالِهِ وما سِواهُ فعلى نَفْسِهِ

وقال أبو نواس :

طوى المَوْتُ ما بيني وبينَ محمدٍ وليسَ لِما تَطْوي المنيَّةُ ناشِرُ (١)
وكُنْتُ عليه أحذرُ المَوْتَ وَحْدَهُ فلم يَبقَ لي شيءٌ عليه أُحاذِرُ
لئنْ عَمرَتْ دُورٌ بمَنْ لا أُحِبُّهُ لقد عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ المقابِرُ

وقال المرتضى رضي الله عنه :

قالوا نَراكَ بلا سُقْمٍ فقلتُ لهم السُّقْمُ في القلبِ ليسَ السُّقْمُ في البدَنِ (٢)
ياعاذِلي خَلِّ عن قلْبٍ تَمَلَّكَه مِنْ قَبلِ عَذْلِكَ طولُ الهمِّ وَالحَزَنِ
لا يَعْرِفُ الدّارَ إلّا قامَ يَنْدُبُها ولا يُسائِلُها إلّا عن السَّكَنِ

عن الأَصمعي قال : دخلْتُ على الرَّشيدِ يوْماً وهو يقرأ كِتاباً ، ودموعه تَتَحَدَّرُ ، فلمَّا أبصرني قال : أرأيتَ ما كانَ مِنّي ؟ قلتُ : نعم يا أميرَ المؤمنين فقال : أما إنَّهُ لو كانَ لِأَمْر الدُّنيا ما رأَيتَ هذا ، ورمى بالقِرْطاس ، فإذا فيه شِعْرٌ لأَبي العتاهية :

هلْ أنتَ مُعتَبِرٌ بمَنْ خَرِبَتْ مِنْهُ غَداةَ مَضى دَساكِرُهُ (٣)

(١) ديوانه : ٣٤٢ في رثاء محمد الأمين .

(٢) الأول والثاني في ديوانه ٣٢٦/٣ من قصيدة يمدح بها فخرالملك . وفيه : « السقم في الجسم » وهو خطأ ظاهر .

(٣) الخبر مع الأبيات في « مروج الذهب » ٣٧٦/٣ للمسعودي ، والأبيات في ديوانه : ١٨٠ . وفيه : « قضى ... » .

وَبِمَنْ أَذَلَّ الدَّهرُ مَصْرَعَـهُ   وَتبرَّأَتْ مِنهُ عساكِرُهُ [١]
وبِمَنْ خَلَتْ منهُ أَسِرَّتهُ   وبِمَنْ خلَتْ منهِ منابِرُهُ
أينَ المُلوكُ وأينَ عِزُّهُمُ   صاروا مَصيراً أنتَ صائِرُهُ [٢]
يا مُؤثِرَ الدُّنيـا لِلَذَّتِهِ   والمُستَعِدّ لِمَنْ يُفاخِرُهُ [٣]
نَلْ ما بدا لكَ أنْ تنالَ مِنَ الدُّ   نيا فإنَّ الموْتَ آخِرُهُ

فقال الرَّشيد : « واللهِ لكأني أُخاطَبُ بهذا دُونَ سائِرِ النَّاس » فلم يلبث بعد ذلك إلّا قليلاً حتى مات .

وقال الشاعر :

إلى مَتى أنا في حِلٍّ وَتَرْحالِ   وَهَمِّ عَيْشٍ بإِدْبارٍ وإقبالِ
ونازِحُ الدَّار لا أنفَكُّ مُغْتَرِباً   ناءٍ عن الأهل لا يَدْرون ما حالي
بمَشرِقِ الأرْضِ طَوراً ثُمَّ مَغْرِبها   لا يَخْطُرُ الموْتُ مِنْ هَمّي على بالِ
ولو قَعَدْتُ أتاني الرِّزْقُ في دَعَةٍ   إنَّ القُنُوعَ الغِنى لا كَثْرَةُ المالِ [٤]

---

(١) في الديوان : « فتبرأت منه عشائره » .

(٢) في الديوان : « وأين عزتهم » .

(٣) في الديوان : « يا مؤثر الدنيا وطالبها » .

(٤) القنوع : الرضى باليسير من العطاء ، وفي «أضداد ابن الأنباري» : ٦٧ : وربما تكلموا بالقنوع في معنى القناعة ، والاختيار ما قدمنا ذكره (أي: أن القنوع هو السؤال) فمنه قول بعضهم :

عن الأَصمعي رحمه الله قال : جاءني رسولُ الرَّشيد رضي الله عنه ليلةً وقد ذهبَ من الليل شَطْرٌ ، فقال : أَجِبْ أمير المؤمنين ، ففزِعْتُ مِنْ ذلك وقلتُ : حَدَثَ أمرٌ يُكْرَهُ . فمضيت معه ، فإذا هو قاعِدٌ في أقصى مجلسه ، وبينَ يديهِ دواةٌ وقرطاسٌ وهو يبكي ، فقلت : السَّلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وعليكَ السَّلام يابنَ قُرَيْب : اجْلِسْ ، فجلست ، فقال : أبكاني هـذا البيت ، وأسْهَرَ ليلَتي . فقلت : لا أبكى الله عَيْنَكَ يا أميرَ المُؤمنين ، وأي بيت هو ؟ قال بيتُ ابن ذي سَلَم عند موته :

لم يَحْتَقِبْ غيرَ أثْوابٍ يمزِّقُها رَيْبُ الزَّمانِ وطُولُ العَهْدِ والقِدَمِ

فقلتُ : والله يا أميرَ المؤمنين لقد صَدَق ، وهذه سبيلُ النَّاس جميعاً ، فطُوبى للمتقين ، فقال : وَيْحَكَ يا أصمعي ، ذهبَ جُلساء الخير ، ومجالِسُ الفضل . أينَ مَنْ كان إذا جالَسَهُم المُسْرِفون على أنفسهم وَعَظَتْهم صورتُه ، وذكَّرتْهم هيأتُه ، وبلغَتْ بهم كُلَّ المبالغ مقالتُه . فقلت : يا أمير المؤمنين لقد أسعدَ الله دَوْلتك بجماعةٍ مِنْ أهل الفضل ، ثم قلتُ : إنْ أمَرْتَ أن أُحدِّثك بحديث وشعر قُرِيء على بعض القبور ، فقال : هاتِه ، فقلتُ : حدَّثني مَنْ أثِقُ به قال : غَزَوْنا في البحر ، فمالت بنا السفينة إلى جزيرة ،

= فسربلت أخلاقي قنوعاً وعِفَّةً فعندي بأخلاقي كنوز من الذهب
فلم أر عِزّاً كالقُنوع لأهله وأنْ يُجْمِلَ الانسانُ ماعاش في الطلب

فإذا نحنُ بقصرٍ شاهق ، وإلى جانبه قبرٌ وعلى القَصْر بابان ، وبينَ القصر والقبر فسيلُ نخل لم أرَ شيئاً أحْسَنَ منه ، فإذا على القصر مكتوب :

يُؤَمِّلُ دُنيـا لتَبْقى لهُ فماتَ المُؤمِّلُ قبلَ الأَمَلْ
وباتَ يُرَوِّي أُصولَ الفَسيل فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرَّجُلْ

وعلى وجهِ القصر مكتوب :

وفتىً كأَنَّ جَبينَهُ بدْرُ الدُّجى قامَتْ عليهِ نوائِحٌ ورَوامِسُ
غَرَسَ الفَسيلَ مُؤَمِّلاً لبقائِهِ فحيَ الفَسيلُ وماتَ عنه الغارسُ

وعلى أحد بابي القصر مكتوب :

تلكَ المدائنُ في الآفاقِ خاوِيةٌ أَمْسَتْ خلاءً وذاقَ الموتَ بانيها

وعلى الباب الآخر مكتوب :

أيْنَ القُرُونَ التي عن حَظِّها غَفَلَتْ حتى سَقاها بكأْس الموتِ ساقيها

قال الرَّجُل : فبقيتُ متعجباً أنظر إلى الشِّعْر والقَصْر والفَسيل والقبر ثم تمثلت :

نادِ رَبَّ الدَّارِ والحِصْنِ الذي جَمَعَ الدُّنيا بحِرْصٍ ما فَعَل
كانَ في دارٍ سِواهـا دارُهُ عَلَّلَتْهُ بالمُنى ثم انْتَقَل

قال : فلم يَزَل الرَّشيد يبكي ويصْرَخُ حتى أصبح ، فلما أصبح أمر

أنْ يُخْرَجَ مالٌ جليلٌ فيُتصَدَّقَ به على الفقراء والمساكين ، وأن يُدفع إليَّ منه عشرة آلاف دِرْهم .

وقال أبو العتاهية :

هيَ الدَّارُ دارُ الأَذى والقَذى   ودارُ الفَنـاء ودارُ الغِيَرْ [١]
فلو نِلْتَها بحَذافيرِهـا   لَمُتَّ ولَم تَقْضِ منهـا وَطَرْ [٢]

وقال الرَّاضي يزيدُ بنُ محمد بن عبَّاد مِنْ مُلوكِ الأندلس [٣] :

هيَ الدَّارُ غادِرَةٌ بالرِّجالِ   وقاطِعَـةٌ لِحبالِ الوصالِ
تُفَجَّعُ فيهـا بغَـير اللَّذيذِ   وَتَشْرَقُ منها بغيرِ الزُّلالِ
وَنَزْدادُ مع ذاكَ عِشْقاً لهـا   ألا إنَّمـا سَعْيُنا في ضَلالِ
كمَعْشُوقَةٍ وُدُّهـا لايَدومُ   وعاشِقُهـا أبداً غيرُ سالِ

وقال الأحوص :

هَل هَيَّجَتْكَ مغاني الحيِّ والدُّورُ   فاشْتَقْتَ إنَّ البعيدَ الدَّارِ معذورُ

---

(١) ديوانه : ١٦١ ، وفيه : « ودار الغرر » .

(٢) في الديوان : « ولم تقض منها الوطر » .

(٣) هو أبو خالد يزيد بن المعتمد على الله صاحب إشبيلية وقرطبة ، كان والي الجزيرة الخضراء من قبل أبيه قبل اجتياز يوسف بن تاشفين للاندلس ، ثم ولي رنده ، وقتل فيها بعد أن اعتصم فيها مدة طويلة عند دخول المرابطين إلى الأندلس عام ٤٨٤ هـ .

وقـد يَحُلُّ بها إذْ عيشُنا أَنقُ بيضٌ أَوانِسُ أَمثالُ الدُّمى حُورُ

وقال مهيار :

سائِلِ الدّارَ إنْ سألتَ خبيرا وَاستَجِرْ بالدُّموع تدعُ مُجيرا [1]

أَفهَمتني على نُحولِ رُباهـا فكأنّي قرأتُ منها سُطورا

يقـال [2] : شَحطَتِ الدّار : إذا بَعُدَتْ وَنَزَحتْ وَشَسَعتْ . ودارٌ شَطُون ، وبئر شطون ، وإلية شطون : فيه عِوج .

ودارٌ غَرْبَةٌ قَذَفٌ ، أي : بعيدة ، ويقال : أَسقَبتِ الدّار : إذا قَرُبَتْ وأسعفت ، والوَلْيُ بتخفيف اللّام : القُرْبُ .

قال ساعِدَةُ بنُ جُؤَيَّة [3] :

---

(١) ديوانه : ٢/١١١ ، من قصيدة يمدح بها الوزير أبا الفضل محمد بن علي ابن الطيب ، وفيه بعد هذا البيت :

وتعوّذ بالذكر من سُبّةِ الغَدْ ر فلا حُبَّ أن تكون ذكورا

المغاني أحفى بقلبي من العذ ل وإن هِجْنَ لوعةً وزفيرا

(٢) كذا الأصل ، ولم يتقدم هذا التفسير اللغوي نص يتضمن الكلمات المفسرة .

(٣) هو ساعدة بن جؤيّة الهذلي من بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل ، شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام ، أسـلم وليست له صحبـة . والبيت مطلع قصيدة في « ديوان الهذليين » ١/١٦٧ ، و « الأمالي » : ٢/٢٢٧ ، و « شواهد العيني » : ٢/٥٤٥ ، و « اللسان » : شعب .

هَجَرَتْ جَنُوبُ وَحُبَّ من يَتَجَنَّبُ وَعَدَتْ عَوادٍ دُونَ وَلْيِكَ تَشْعَبُ [(١)]

والكثب : القُرْب ، يقال : رماه مِنْ كَثَب ، أي : من قرب .

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : الدُّنيا دارُ خَراب ، وأخربُ منها قلبُ مَنْ يشتهي عَمارَتها ، والآخِرَةُ دارُ عُمران ، وأعمرُ منها قلب مَنْ يطلُبُها .

وقال مهيار :

ما أنتِ بَعْدَ البينِ مِنْ أوْطاني دارَ الهوى والدَّارُ بالجيرانِ [(٢)]

كُنْتِ المُنى مِنْ قبلِ طارِقةِ النَّوى وَالشَّمْلُ شَمْلي والزَّمانُ زماني

ولَئِنْ خَلَوْتِ فليسَ أوَّلُ حادِثٍ خَلَتِ الكُناسُ له مِنَ الغِزْلانِ [(٣)]

طَرِبَ الحَمامُ بطَبْعِهِنَّ وإنَّما اسـ ـتَمْلينَ فيكِ النَّوْحَ مِنْ أحْزاني [(٤)]

---

(١) في ديوان الهذليين: « هجرت غضوب وحُبّ من يتحبب » قال أبو سعيد: غضوب : اسم امرأة . وحب من يتحبب ، أي : حُبَّ بها متحببة إليّ ، يقال : لحب إليّ بذاك ، ولحبَّ بفلان إليه : إذا قال : ما أحبه إليه . وقوله : وعدت عواد ، أي : صرفت صوارف ، وقوله : دون وليك . الولي : المداناة، وهو من ولي يلي وليًا ، وليك : قربك . وتشعب : تخالف قصدك ، ويروى : « تشعب » و « تشعب » ، فمن قال : تشعب ، قال : تجور لا تجيء على القصد ، ومن قال: تشعب ، قال : تفرقُ .

(٢) ديوانه : ٤/٥٠ .

(٣) الكناس : بيت الظبي ، وقد أجراه مجرى المؤنث فأنث الفعل .

(٤) في الديوان : طَرَبُ الحمامِ .

أبيات في هـذا المعنى من شِعْر جدِّي ووالدي وعمي وأخي رضي الله عنهم وشعري .

قال جـدِّي سديدُ المُلك ذو المناقِب أبو الحسن علي بنُ مقلّد بنُ نصر ابن منقذ رحمه الله :

للهِ ما طَيْفٌ أَلَمَّ بفتيـةٍ   تَحْنُو رؤوسُهم على الأَكْوار [1]
كيفَ اهتَدَيتَ لراحلين تزوَّدوا   ما شاءَ قومُكَ مِنْ دُجىً ونهارِ
لفظَتْهُمُ دارُ الإقامةِ فيـكُمُ   فنضَوْا عِقالَ مَطيَّةِ الأَسفارِ
ودَنَوْا إلى الحيِّ المُقيم بأعيُنٍ   يَنْهَلْنَ من ماءِ الدُّموعِ الجاري

وقال عمي عزُّ الدَّوْلة أبو المرهف نصْرُ بن علي رحمه الله :

لهفي لِدارٍ عَفاها كلُّ مُنْهَمِرٍ   جَوْنٍ مُلِثٍّ عليها رائِحٌ سَاري
وما عَفا ذِكْرُ أحبابي الذّينَ لهم   حُزْني مُقيمٌ ودَمْعي إثْرَهُم جاري

وقال والدي مجدُ الدين أبو سَلامة مُرْشِد بنُ علي بنُ مُقلَّد رحمه الله:

أيا دارَ التَّصابي والتَّصافي   وخِصْبِ العيش في السَّنَة الجَمادِ
لقد جارَتْ عليكِ صُروفُ دَهْرٍ   رَمَتْكِ بـكُلِّ داهيةٍ نآدِ [2]

---

(١) سبق ذكر البيت في هذا الجزء ص ٣٠ .

(٢) في «أساس البلاغة» : داهية نآد بوزن عُقام وصناع ، ونآدى بوزن نصارى ونأدته الداهية تنأده : قدحته وبلغت منه .

فَكَمْ لي فيكَ مِنْ إخوانِ صِدْقٍ   تَمَلَّكَ صَفْوُ وُدِّهِمُ قِيادي
قضتْ بفراقِهِم نُوَبُ اللّيالي   فميعادُ التَّلاقي في المَعادِ

وقال أخي عزُّ الدَّوْلة أبو الحسن علي بنُ مرشد بن علي رحمه الله :

أَصْبَحَتْ دُورُ آل مُرْشِد قَفْراً   بعدَ عزٍّ وَهَيْبَةٍ وَجَلالِ
عِظَةً للعُيونِ فيها اعتبارٌ   ونذيرٌ مِنْ حادثاتِ اللّيالي
تُخْبِرُ الغافلينَ أنَّ اقتِناءَ الـ   خلقِ فانٍ مُعَرَّضٌ للزَّوالِ
فعليها السَّلامُ بعدَ بِلاها   مِنْ حَزينٍ ما حُزْنُهُ الدَّهرَ بالِ

وقال أيضاً :

يا حَيْرَةَ النَّفس أنّى وجهة سَلَكُوا   وَمَنْ هُمُ في سَوادِ القلبِ حُلَّالُ
لا أَوْحَشَ اللهُ داراً كُنتُ أَعْهَدُها   مَغْنىً بِكُم وهي بعدَ البَين أَطْلالُ

وقال أيضاً :

كفى حَسْرَةً في النَّفس بُعْدُ أحبَّةٍ   وَقُرْبُ أعادٍ يشتهونَ حِمامي
لَعُمْرُكَ ما دارُ الفتى حينَ لا يرى   أَحِبَّتَهُ فيها بدار مُقامِ

وقلت :

يا دارُ غَيَّرَكِ البلى وَتَحَكَّمَتْ   فيكِ الخُطوبُ وَمَّحت الآثارُ
أَصْبَحْتِ تعرفُكِ القلوبُ تَوَهُّماً   وَيَصُدُّ عنكِ الأَعينَ الإِنكارُ

لم يُبْقِ منكِ الدَّهرُ رَسْماً ماثِلاً ... يُنْبي بأَنَّ هناكَ كانتْ دارُ
لهفي على الزَّمنِ القصيرِ قطعْتُه ... بكِ إنَّ أيَّامَ السُّرورِ قِصارُ
لم يَبْقَ منه سِوى جَوىً متسعِّرٍ ... في القَلْبِ يُذْكي نارَه التَّذْكارُ

وقلت :

سَقى دارَهُم هَامي الغَمامِ وهامِلُهْ ... ونَوَّرَ ذاوي الرَّوْض فيها وذابِلُهْ
وَعادَ بها طِيْبُ اللَّيالي التي خَلَتْ ... وغِبْطَةُ عَيْش قد تَقَضَّتْ غياطِلُهْ [1]
مُنىً يَتمنَّاها على بُعْدِ نيلِها ... كَذُوبُ الأَماني ذاهِبُ القَلْبِ ذاهِلُهْ
وبعضُ الأَماني ضَلَّةٌ وإذا انْقَضَتْ ... أَواخِرُ دَهْرٍ كَيفَ تُثْني أَوائِلُهْ
ديارٌ بها صاحَبْتُ شَرْخَ شَبيبَتي ... أُجادِدُهُ طَوْراً وَطَوْراً أُهازِلُهْ
أَرُوحُ إلى لهوِ الصِّبى ونَعيمِهِ ... وأَغدو على لَيْثٍ كَمِيٍّ أُنازِلُهْ
عَهِدتُ بها عِينَ المَهَا دُونَ حُجْبِها ... أُسودَ الشَّرى يَلْقَى الرَّدى مَنْ تُصاوِلُهْ
وَسِرْبَ ظِباءٍ تُحْجَبُ الشَّمسُ دُونَهُ ... وتُحْجَبُ عَنْ طَيفِ الخَيالِ عَقائِلُهْ
وكلَّ أخي بَأْسٍ كريمٍ تَخالُهُ ... إذا ما انْتضى سَيْفاً جَلَتْهُ صَياقِلُهْ [2]
فلمْ يَبْقَ مِمّا كانَ إلّا ادِّكارُه ... وَحَسْرَةُ قَلْبٍ لا تَقِرُّ بَلابِلُهْ
وَكُنْتُ أرى ما سَرَّني غيرَ زائلٍ ... وَيُخْطِئُ نَهجَ الحَزْمِ مَنْ هو جاهِلُهْ
فما كانَ إلّا الطَّيْفَ يُحْسَبُ في الكَرى ... يَقيناً فإنْ بانَ الكَرى بانَ باطِلُهْ

---

(١) الغياطل : واحده الغيطلة ، وهي الأكل والشرب والفرح بالأمن .
(٢) انتضى كانت في الأصل : انتدى .

وقلت :

يقولُ صِحابي قـد أطلْتَ وُقوفَنا ... على الدّارِ مَسلوبَ الأَسى والتّماسُكِ
أَفي كلِّ دارٍ قد عفَتْ أنتَ واقِفٌ ... تُرَوّي ثَرَاهـا بالدُّموعِ السَّوافِكِ
كأنَّكَ في رَسْمِ الدّيارِ مُتَمّمٌ ... وفيما عفَا من ربعِهـا قبرُ مالِكِ[١]
فقلتُ نعمْ هذي دِيارٌ عَهِدْتُها ... بها مَعْشَري مِثلَ النُّجومِ الشَّوابكِ
أصابَهُمُ رَيْبُ الزَّمانِ فأَصْبَحَتْ ... قِفـاراً وَهُمْ ما بَينَ ناءٍ وَهالكِ

وقلت :

يقُولونَ قدأعولْتَ في الدّارِ ما كَفا ... وَليسَ على رَبْعٍ عَفـا بمُعوِّلِ
وكم قَدْرُ ما تَبْقى الدُّموعُ إذا جَرَتْ ... على كلِّ رَبْعٍ أوْ على كلِّ مَنْزِلِ

---

(١) مالك : هو مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي ، فارس شاعر ، من أرداف الملوك في الجاهلية ، يقال له : فارس ذي الخمار ، وذو الخمار فرسه ، وفي أمثالهم : « فتى ولا كمالك » . قدم على النبي ﷺ فأسلم ، فولاه صدقة قومه ، ثم كان ممن منع الزكاة بعد موت النبي ، وخرج خالد لقتال أهل الردة ، فبث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام ، وأن يأتوه بكل من لم يجب وإن امتنع أن يقتلوه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة ، ثم كان بينهما ما فهم منـه خالد أن مالـكا مصر على الردة ، فأمر ضرار بن الأزور بقتله ، فقتله فيمن قتل من مانعي الزكاة والمرتدين . ومتمم هو أخو مالك ، شاعر فحل صحـابي ، وله في أخيه المراثي المشهورة الرائعـــة . قال عمر بن الخطاب للحطيئة : هل رأيت أو سمعت بأبكي من هذا ؟ فقال : لا والله ما بكى بكاءه عربي قط ولا يبكيه .

فقلتُ نعم هذي ديارٌ عَهِدْتُها عَرينَ أُسُودي في الخُطوبِ وَمَعْقِلي
فقد أصبحتْ قفراً وَفرّقَ شَمْلَهُم حَوادِثُ دَهْرٍ بالفِراقِ مُوَكَّلِ
سأبكِيهِمُ أو يَمْزِجَ الدَّمُ أَدْمُعي فينْهَلَّ سِمطاً كالجُمانِ المفصَّلِ

وقلت :

يا دارُ أنتِ التي كانَ الجميعُ بها وَكانَ في رَبْعِكِ الوِلْدانُ والحَشَمُ
وكُنْتِ للضَيْفِ والعافينَ مُرْتَبَعاً يَقْتادُهُم نَحوَكِ الإِكرامُ والكَرَمُ
أَصبحتِ قفراً وأضحى أَهْلُكِ افترقوا أيْدي سَبا وانْثنَتْ عن قصدِكِ الهِمَمُ
ما أعجبَ الدَّهر عيشُ النَّاس أجمعهِم ـ إنْ سرَّهُم صَرْفُهُ أو ساءَهُم ـ حُلُمُ

وقلت :

دارٌ على قُلَلِ الجبالِ تفجَّرَتْ فيها بحارُ فضائلٍ وَمكارِمِ
فيها النَّدى والجُودُ حقّاً لا الذي كُنّا نُحدَّثُ عن سَماحةِ حاتِمِ
وفوارس جَمَعوا المكارِمَ والعُلى لينَ التَّواضُعِ في قلوبِ ضَراغِمِ
أفناهُمُ رَيْبُ المنونِ فلم يَدَعْ منهم سِوى ذِكْرٍ كَحُلْمِ النَّائِمِ

وقلت :

يا دارُ لو رَوَّتْ نَحولَكِ أَدْمُعي لسَفَحْتُها بكِ أو يُمازِجُها الدَّمُ
لكِنَّ دَمْعَ الحُزْنِ يُحْسَبُ قَطْرُهُ ماءً بُرُوداً وهو جَمْرٌ مُضْرَمُ

وإذا رأيْتُكِ قَفْرَةً مِنْ مَعْشَري ... وَبَني أبي وَهُمُ لَعَمْرُكِ ما هُمُ
فكأنَّني عايَنْتُ حُفْرَةَ مالِكٍ ... وكأنني وَجْداً عليهِ مُتَمِّمُ

وقلت :

وَاوَحْشَتي في الدَّارِ لما أَصْبَحَتْ ... مُوحِشَةً مِنَ الظِّبـاءِ العِينِ
كانت عَريناً وكِناساً فاغْتَدَتْ ... مُقْفِرَةَ الكِناسِ والعَرينِ
تُقارِنُ الأُسْدُ بها عِينَ المَهـا ... والدَّهرُ قَطَّـاعٌ قُوى القَرينِ
فأصبحَتْ كما تَرَى ليسَ بهـا ... إلّا دَواعيْ الوَجْدِ والحَنينِ

وقلت :

نظَرْتُ إلى دارِ الأَحِبَّةِ قَفْرَةً ... وقد كانَ فيها العِزُّ والكَرَمُ المَحْضُ
فلَمَّا رأى صَحْبي عليها تَلَدُّدي ... ودَمْعي بكى بعضٌ وعَنَّفني بَعْضُ (١)
وقالوا أفِقْ للأَرْضِ تبكي فقلتُ لا ... ولكنَّني أبكي لِمَنْ وارَتِ الأَرْضُ

وقلت :

يا دارُ إنْ بَخِلَت على ... مَغْناكِ سارِيَةُ العِهادِ
فلأَمْطِرَنَّكِ مِنْ دُمو ... عي ما يَنُوبُ عنِ الغَوادي
حتى تعودَ رُباكِ حا ... لِيَةً مُفَوَّفَةَ الوِهادِ
كَمْ حَلَّ رَبْعَكِ مِنْ غَضيْ ... ضِ الطَّرْفِ مَمْنُوعِ الوِدادِ

(١) التلدد : التلفت يميناً وشمالاً تحيراً .

يَسْتَوْقِفُ الأَبصارَ فهـ يَ عليه حائمَـةٌ صـوادي
فرمتْ جُمُوعَهم اللّيـا لي بالتَّشَتُّتِ والبِعـادِ
وَصُرُوفُ هذا الدَّهر تَطْـ رُقُ بالحوادثِ أو تغادي
عاداتُهـا ردُّ الأُمو رِ مِنَ الصَّلاح إلى الفَسادِ
يُحْسِنَّ لا عَمـداً وَيأْ تِينَ الإسـاءَة باعْتِمادِ

وقلت :

ما أنتَ أوّل مَنْ تنـآءَتْ دارُهُ فعلَامَ قلبُكَ ليسَ تَخْبو نارُهُ [١]
إمّا السُلُوُّ أو الحِمامُ وما سِوى هـذين قِسْمٌ ثالثٌ تختارُهُ
ما بعدَ يَوْمِكَ مِنْ لقاءٍ يُرْتجى أو يَلْتقي جُنْحُ الدُّجى ونهارُهُ
هـذا وُقُوفُكَ للوداعِ وهذهِ أظعانُ مَنْ تهوى وتلكَ ديارُهُ
فاسْتَبْقِ دَمعَكَ فهو أوّلُ خاذلٍ بعدَ الفراقِ وإنْ طَمى تيّارُهُ
مَددُ الدُّموعِ يَقِلُّ عن أمَدِ النَّوى إنْ لم تَكُنْ مِنْ لُجَّةٍ تمتارُهُ [٢]

وقلت : وكَتَبْتُ بها إلى أخي عزِّ الدولة أبي الحسن عليّ بن مُرْشِد ابن عليّ بن مقلد رحمه الله ، وأنا بالعسكر الأتابكي بإربل :

وإنَّ امرءاً أَضْحَتْ بإِرْبلَ دارُهُ وَفي شَيْزرٍ إخوانُـهُ وشُجونُهُ [٣]

(١) ديوانه : ٧٠ .
(٢) تمتاره : تجتلبه .
(٣) ديوانه : ١٥١ ، وفيه : « وفي شيزر أحبابه . . . » وإربل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل .

لَغَيْرُ مَلُومٍ في الحَنينِ إليْهِمُ ... وَمَعْذُورَةٌ أنْ تَسْتَهِلَّ جُفُونُهُ[1]

وقال أخي عِزُّ الدَّوْلة أبو الحسن علي رحمه الله :

فيا أيُّها الدَّارُ التي شَطَّ أهْلُها ... وبالرَّغْمِ مِني أنَّ سُكَّانَها شَطُّوا

رَضيتُ بحُكْمِ الدَّهر فيكِ وإنَّما ... رِضى مَنْ نأتْ أحبابُه بالنَّوى سُخْطُ

بهم كانت الدُّنيا التي غَدَرَتْ بهم ... كأنَّهُمُ فيها الحَيا والوَرى قَحْطُ

تَزيدُ بهم هذي البسيطةُ بَسْطَةً ... ومِنْ مِثْلِهِم يُسْتَحْسَنُ القَبْضُ والبَسْطُ

أعارتهم الأيام وارتجعتْهم ... وكلٌّ بخيل في مواهِبِهِ ضَبْطُ

* * *

(١) جاء في هامش الديوان عن نسخة « شؤونه » ، والشؤون : جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين ، واستهل المطر : اشتد انصبابه .

فصل آخر
في ذكر الدار

قالت مَحبوبَة الهُذليَّة :

بانَ الخَليطُ وَخفَّ حاضِرُهُ ... لمَّا دَعا بالبَينِ طائِرُهُ
يا أُنسَنا مِنْ قُرْبِ دارِهِمُ ... قبلَ الذي كُنَّا نُحاذِرُهُ
وَتَخَلَّفَتْ مِنْ بعدِ فُرْقَتِهِمْ ... أَوْصالُ صَبٍّ سارَ سائِرُهُ
يا لِلرِّجالِ لِأَسْرِ مُرْتَهِنٍ ... جَلَبَ البَلاءَ عليهِ ناظِرُهُ
لَمْ يُغْنِ عنه عِزُّ أُسْرَتِهِ ... شيئاً وَلَمْ تَنْفَعْ مَعاشِرُهُ
هذي مَوارِدُ ما بُليتُ بهِ ... واللهُ أَعلَمُ ما مَصادِرُهُ

وقال آخر :

يقولُ خليلي يَوْمَ أَكْثِبَةِ النَّقا ... وَعيناي مِنْ فَرْطِ الهوى تَكِفانِ[1]
أَمِنْ أَجْلِ دارٍ بينَ لُوذانَ والنَّقا ... غَداةَ اللِّوى عَيناكَ تَبتَدِرانِ
فقلتُ لهُ لا بلْ قَذِيتُ وإنَّما ... قَذى العَينِ مِمّا هَيَّجَ الطَّلَلانِ
فؤادٌ إذا ما قُلتُ تَصْحو جَلَبْتُما ... عَلَيهِ الهوى والشَّوْقَ كلَّ أَوانِ

---

(١) مرت الأبيات عدا الرابع : ٢١١ ، ٢١٢ ، ونسبها المؤلف لبشر ابن الهذيل ، فانظر تخريجها هناك .

وقال الراجز[١] :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بأَعْلى ذي القُورْ ... قد دَرَسَتْ غيرَ رَمادٍ مَكْفُورْ
مُكْتَئِبِ اللَّونِ مُراحٍ مَمْطورْ ... أَزمانَ عَيْناءُ سُرُورُ المَسْرورْ[٢]
عَيناءُ حَوراءُ مِنَ العِينِ الحُور

وقال آخر :

يا دَارُ ما لِلرَّكْبِ حينَ وَقَفْتهمْ ... ما إِنْ سَقاكِ مِنَ الدُّمُوعِ لَماظُ[٣]
تَرَكَ الغَرامُ عُقُولَهمْ مَشْدوهَةً ... فتَخالُهُمْ رَقَدوا وَهُمْ أَيْقاظُ
عَهْدي بظِلِّكِ وَالشَّبابُ تُرِيلُهُ ... أَيَّامَ رَبْعُكِ للحِسانِ عُكاظُ

وقال الشَّريف الرَّضي رضي الله عنه :

---

(١) الرجز في « اللسان » : مادة قور ، منسوب لمنظور بن مَرْثَد الأسدي .

(٢) في «اللسان»: مَروحٍ .. ، قوله: بأعلى ذي القور، أي : بأعلى المكان الذي بالقور ، وقوله : قد درست غير رماد مكفور ، أي : درست معالم الدار إلا رماداً مكفوراً، وهو الذي سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره . وقوله : مكتئب اللون ، يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب ، ومروح : أصابته الريح ، وممطور : أصابه المطر ، وعيناء : مبتدأ ، وسرور المسرور خبره ، والجملة في موضع خفض باضافة « أزمان » إليها . والمعنى : هل تعرف الدار في الزمان الذي كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٣) يقال : ماعندنا لَماظ ، أي : طعام يتلمظ ، أي : يذاق . والمراد به هنا الشيء القليل .

أَمِنْ أَجلِ دارٍ بالُمصلَّى إلى مِنى ... تُعادُ كما عِيدَ السَّليمُ المؤرَّقُ [1]
حَنيناً إليها والتِواءً مِنَ الجوى ... كأنكَ في الحيِّ الوَلُودُ المطرِّقُ [2]
أَجلُّ تُرابَ الأَرض كانوا حُلُولَها ... وَأَجْزَعُ مِنْ مَرّي عليها وَأُشْفِقُ [3]
ولَم يَبْقَ عندي للهوى غَيرَ أنني ... إذا الرَّكْبُ مَرّوا بي على الدّارِ أَشْهَقُ

وقال أبو جُوثة بن زياد :

خليليَّ مِنْ عَمْروٍ عَفا اللهُ عَنكُما ... وَلقَّاكُما مِنْ كلِّ أمْرِكُما يُسْرا
أَلِمَّا على دارٍ لِعَبْلَةَ قَد عَفَتْ ... كأَنَّ لِمطْلولِ الُخزامى بها نَشْرا
نَظَرْتُ بأرْمامٍ وَأَيَّةَ ساعَةٍ ... نظرْتُ إلى أعْلامِها نَظَراً شَزْرا [4]

---

(١) ديوانه : ٧٦ ، وفيه : « أمن ذكر . . . » .

(٢) المطرّق ، من طرّقت المرأة والناقة : نشب ولدها في بطنها ، ولم يسهل خروجه . وفي الديوان بعد هذا البيت :

أَلَلهُ إني إن مررتُ بأرضها ... فؤاديَ مأسورٌ ودمعيَ مطلَقُ
أُكرُّ اليها الطرفَ ثم أردُّه ... بانسان عين في صرى الدّمع يغرقُ
هوايَ يمانٍ كيف لا كيف نلتقي ... وركبي منقادُ القرينة مُعْرِقُ
فواهاً من الربع الذي غيَّر البلى ... وآهاً على القوم الذين تفرّقوا

(٣) رواية البيت في الديوان :

أصون تراب الأرض كانوا حُلولها ... وأحذر من مرّي عليها وأشفِقُ

(٤) أرمام : اسم جبل في ديار باهلة بن أعصر ، وقيل : أرمام : واد يصب في الثَّلَبوت من ديار بني أسد ، وقيل : أرمام : واد بين الحاجر وفيد ، ويوم أرمام من أيام العرب .

وَأَغيدَ مِنْ طولِ الـكَلالِ يُميلُهُ   كَلالُ السُّرى حتى كأَنَّ بهِ سُكْرا
سَرَيْنا به مِنْ أجلِ عَبْلَةَ بعدَما   تَجَلَّلَتِ الآفاقُ أَرْدِيَةً خُضْرا

وقال أبو تمام :

أَهْدِ الدُّموعَ إلى دارٍ وماصِحِها   فلِلْمَنازِلِ سَهْمٌ مِنْ سَوافِحِها (١)
دارٌ أُجِلُّ الهوى عَنْ أَنْ أُلِمَّ بهـا   في الرَّكبِ إلَّا وعيني مِنْ مَنائحِها

وقال أيضاً :

يا دارُ دَرَّ عليكِ إرْهامُ النَّدى   واهْتَزَّ رَوْضُكِ في الثَّرى فترَأَّدا (٢)

---

(١) ديوانه : ١/٣٤٦ ، مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح بن عبد الملك ابن صالح . قال أبو العلاء : وقوله : ماصحها ، من قولهم : مصح الشيء : إذا غاب في الأرض ، وقال ابن المستوفي في الرد على أبي العلاء : الأجود أن يكون « ماصحها » من مصح الثوب : أخلق ودرس ، أو مصح الشيء مصوحاً : ذهب وانقطع ، قال :

قـــد كاد من طول البلى أن يمصحا

ولم أرهم ذكروا « مصح » إذا غاب في الأرض . وسوافحها : جمع سافح ، يقال : سفح الدمع فهو سافح ، وسفحه الباكي فهو مسفوح ، وكل شيء صُبَّ فهو مسفوح كالدَّم والماء . وفي الديوان بعد هذا البيت :

أشلى الزمان عليها كلَّ حادثةٍ   وفرقةٍ تُظليمُ الدُّنيا لنازحها
حلفتُ حقّاً لقد قلَّت ملاحتُها   بمن تُخرِّم عنها من ملائحها
إنْ تبرحا وتباريحي على كبد   ما تستقِرُّ فدمعي غيرُ بارحها

(٢) ديوانه : ٢/١٠١ ، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن عبدالكريم الطائي ـ

سَقْياً لِمَعْهَدِكَ الذي لو لم يَكُنْ ... ما كانَ قلبي لِلصَّبابَةِ مَعْهَدا

وقال المتنبي :

أَهْلاً بدارٍ سَباكَ أَغْيَدُهـا ... أَبْعَدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُهـا (١)

ظَلْتَ بهـا تَنْطَوي على كَبِدٍ ... نَضيجَةٍ فوقَ خِلْبِها يَدُهـا (٢)

قِفـا قليلاً بهـا عليَّ فلا ... أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهـا

ففي فؤادِ المُحِبِّ نارُ هَوًى ... أَحَرُّ نارِ الجَحيمِ أَبْرَدُهـا

ـ الحمصي ، وفيه وفي «الموازنة» : ٤٣٧/١ : «يادار دار عليك . . .» وإرهام : من الرِّهمة ، وهو المطر الليِّن ، وترأد : تثنى لكثرة مائـه وغضاضته . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وكسيتِ من خِلَعِ الحيا مستأسداً ... أنفاً يُغـادر وحشه مستأسدا

طللٌ عكفت عليـه أسأله إلى ... أن كاد يصبحُ ربعُه لي مسجدا

وظللت أنشِدُه وأنشدُ أهـله ... والحزن خِدني ناشداً أو منشدا

(١) ديوانه : ٢٩٤/١ ، من قصيدة يمدح بها محمـد بن عبد الله العلوي . وسباه : أسره بحبه ، والأغيد : الناعم المتثني ليناً ، والمراد الحبيبة ، وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمسس ، أو الحييّة. لما دعا للدار ـ التي سباه من كان بها ـ بأن تكون مأهولة ، قال : أبعد شيء فارقك جواري هذه الدار الناعمات الأبكار .

(٢) الخلب : غشاء الكبد ، وجعل اليد نضيجة ، وأضافها إلى الكبد ، لأنه دام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بمـا فيها من الحرارة ، فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد .

وقال البحتري :

يا خليليَّ ساعةً لا تَرِيما   وعلى ذي صَبابةٍ فأقيما
ما مَرَرْنا بدارِ زَينَبَ إلا   فَضَحَ الدَّمْعُ سِرَّكَ المكْتُوما
ذَكَّرَتني الهوى وَهُنَّ رَميمٌ   كيفَ لو لم يَكُنَّ كُنَّ رَميما

وقال أبو تمام :

أدارَ البُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصابي   إليَّ فصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعيمِ (١)
لئِنْ أصبحتِ ميدانَ السَّوافي   لقد أصبحتِ ميدانَ الهُمومِ
وَمِمَّا ضَرَّمَ الأحشاءَ أنِّي   شَكَوْتُ فما شَكَوْتُ إلى رَحيمِ
أظُنُّ الدَّمعَ في خَدِّي سَيُبقي   رُسوماً مِنْ بُكائي في الرُّسُومِ

وقال النَّابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ   ماذا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وأحْجارِ (٢)
فاستَعْجَمَتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكَلِّمُنا   والدَّارُ لو كَلَّمَتْنا ذاتُ أخْبارِ

---

(١) ديوانه : ٣/١٦٠ من قصيدة يمدح بها بني عبد الكريم الطائيين .

(٢) ديوانه : ٨٥ بشرح ابن السكيت ، وفيه : وهي أبيات منحولة ، وفيه بعد هذا البيت :

أقوى وأقفر من نعم وغيره   هُوجُ الرِّياح بهابي التُّرب موّار
وقفتُ فيها سراةَ اليوم أسألها   عن آل نعم أموناً غير أسفار

فما عَرَفْتُ بها شيئاً أُعيجُ بهِ ... إلّا الثُّمامَ وإلّا مَوْقِدَ النّارِ (١)
وقد أراني وَنُعماً لاهِيَيْنِ بها ... في الدَّهْرِ والعيشُ لم يَهْمُمْ بإمرارِ
أيّامَ تُعْجِبُني نُعْمٌ وأُخبِرُها ... ما أكْتُمُ النّاسَ مِنْ حاجي وأسراري

وقال الحُطيئة :

يا دارَ هِنْدٍ عفَتْ إلّا أثافيها ... بينَ الطَّوِيِّ فصاراتٍ فواديها (٢)
قد غَيَّرَ الدَّهْرُ بعدي مِنْ مَعارِفِها ... والرّيحُ فما دَفَّنَتْ فيها مغانيها
جَرَّتْ عليها بأذيالٍ لها عُصُفٌ ... فأصبحتْ مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عافيها (٣)
كأنّني ساوَرَتْني يَوْمَ أسألُها ... عَوْدٌ مِنَ الرُّقْشِ لا تُصْغي لراقيها (٤)

وقال أيضاً :

أدارَ سُلَيْمى بالرَّواتِكِ والعُرْفِ ... أقامَتْ على الأَرْواحِ والدِّيَمِ الوُطْفِ (٥)

---

(١) في شرح ابن السكيت : « أعوج بـه » ، وفي « اللسان » : العيج : شبه الاكتراث وأورد البيت .

(٢) ديوانه : ٢٠١ من قصيدة يمدح بها بغيضاً .

(٣) عصف : رياح عاصفة ، وسحق الثوب : أبلاه ، شبه بقايا الأطـلال. وما تعفى منها ببرد قد سحق .

(٤) ساوره : أخذه برأسه ، والرقش : جمع رقشاء ، وهي الحية ، أراد : أفعى قديمة لاتصغي للرّقاة .

(٥) ديوانه : ٣٢٠ ، وفيه : « بالدوانك فالعرف» والدوانك والعرف : موضعان -

وَقَفْتُ بها فاستَوْقَفَتْ ماءَ عَبْرَتي　　بها العَينُ إلاَّ ما كَفَفْتُ به طَرْفي [١]
فِراق حِبابٍ وانتهاءٍ مِنَ الهوى　　فلا تَعْذِليني قد بدا لكِ ما أُخفي [٢]
يقولونَ نَسْتَغْني وواللهِ ما الغِنى　　مِنَ المالِ إلا ما يُعِفُّ وما يكفي

وقال النابغة الذبياني :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيـاءِ فالسَّنَدِ　　أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ [٣]

ـ والديم : جمع ديمة ، وهي المطرة تدوم اليومين والثلاثة بسكون ، والوطفاء : الديمة السح الحثيثة طال مطرها أو قصر ، إذا تدلت ذيولها .

(١) في الديوان : فاستنزفت ماء . . . إلا ما كفكفت بهـــا طرفي . وفي « معجم البلدان » : من العين ، وفي الشرح : وقوله : استنزفت ، أي : استنزفت عيناي ماء عبرتي ، أي : إلا أن أغمض ، يقول : جعلت أرد بكاي ، وقـــد اغرورقت عيناي بماء .

(٢) الحباب : المحابة والموادة والحب . وفي الديوان : « فراق حبيب وانتهاء عن الهوى » .

(٣) ديوانه : بشرح ابن السكيت ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ١٤٩/١ ، والعلياء : مكان مرتفع من الأرض ، والسند : سند الجبل وهو ارتفـاعه حيث يسند فيه ، أي : يصعد ، وقال ياقوت الحموي : وحكى الحازمي عن الأزهري أن « سند » في قول النابغة : بلد معروف في البادية ، وقال الأديبي : سند ، بفتحتين : ماء معروف لبني أسد . وأقوت : خلت من أهلها ، والسالف : الماضي، والأبد : الدهر .

وَقَفْتُ فيهـا أُصَيْلاناً أُسائِلُها   أعيتْ جواباً وما بالرَّبعِ مِنْ أحدِ (١)
أضحَتْ قِفاراً وأضحى أهْلُها احتَمَلُوا   أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ (٢)

وقال قيس بن ذَريح :

بَكتْ دارُهُم مِنْ نأيِهِمْ فتهَلَّلَتْ   دُمُوعي فأيَّ الجازِعينَ أَلُومُ (٣)
أمُستَعبراً يبكي مِنَ الشَّوْقِ والجوى   أمَ آخر يبكي شَجْوَهُ ويَهيمُ (٤)

---

(١) قال البطليوسي : يروى : وقفت فيها طويلاً ، فمن رواه على هذا فهو نعت لمصدر محذوف أو لوقت محذوف ، ويروى : وقفت فيها أصيلاً كي أسائلها . والأصيل: العشي ، وجمعه أصلان ، ومن توهم أنه صغر أصيلاناً جمع أصيل ، فقد أخطأ ، لأنه أكثر العدد ، وأكثر العـدد لا يصغر ، لأن تصغير العدد تقليل له ، فلو صغر المكثر منه ، لـكان مكثراً مقللاً في حال واحدة ، وذلك محال ، والصحيح أنه بنى من أصيل اسماً على فُعلان مثل التكلان والغفران ، ثم صغره .

(٢) أخنى عليها : غيرها وأفسد آياتهـا ، ولبد : زعموا أنه نسر كان للقمان ابن عاد عمر طويلاً ، قال الزمخشري : وهو نسر لقمان العادي ـ نسبة إلى عاد ـ سماه لبداً معتقداً فيه أنه أبد فلا يموت ، ولا يذهب ، ويزعمون أنه حين كبر قال له : انهض لبد فأنت نسر الأبـد ، ولقمان عاد غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن .

(٣) ديوانه : ١٤٤ وانظر تخريجهـا هناك . وفي ديوان « المجنون » : بكت دارهم من فقدهم فتهللت .

(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه : كذا كان في أصل الشعر والصحيح : أمستعبراً يبكي من الهون والبلى . قلت : وهذه الرواية هي في ديوان المجنون -

تهيّضني مِنْ حُبِّ لُبنى علائقٌ وأصنافُ حُبٍّ هولُهُنَّ عظيمُ
وَمَنْ يتعلّقْ حُبَّ لبنى فؤادُهُ يَمُتْ أوْ يعِشْ ماعاشَ وهوَ سقيمُ
وإنَّ زماناً شتَّتَ الشَّمْلَ بيننا وبينكُمُ فيهِ العِدى لَذميمُ (١)

وقال جميل بن معمر :

ألَمْ تسألِ الدَّارَ القديمةَ هل لها بأمِّ حُسينٍ بعدَ عهدِكَ مِنْ عَهْدِ (٢)
سَلِ الرَّكبَ هل عُجْنا بمَغْناكِ مرَّةً صُدورَ المطايا وهيَ مُوقَرةٌ تَخْدي (٣)
وهلْ فاضتِ العَيْنُ الشَّروقُ بمائِها مِنْ أجْلِكِ حتى اخْضَلَّ مِنْ دمعِها بُرْدي (٤)
أبى القلبُ إلّا حُبَّ بثْنَةَ لم يُرِدْ سِواها وحُبُّ القلبِ بثْنَةَ لا يُجْدي (٥)

ـ دون قوله : أمستعبراً ، فقد جاء فيه : أهذا الذي . . . » ، والمستعبر : الباكي، والشجو : الهم والحزن .

(١) في الديوان : « فيه العدى لمشوم » .

(٢) ديوانه : ٧٦ ، و « الأغاني » : ٨/١١١ ، وفيها : « بأم جسير » وأم جسير : أخت بثينة .

(٣) في الديوان ، و « الأغاني » : سلي . وعجنا صدور المطي : عطفناها ، وموقرة : محمّلة ، وتخدي : تسرع .

(٤) العين الشروق : التي احمرت وامتلأت بالدموع فضاقت ، حتى كأنها غاصة . واخضل : ابتل .

(٥) لم يرد هـــذا البيت في « الأغاني » ، وجاء في الديوان : ٧٥ ضمن قصيدة أخرى .

وكلُّ مُحبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جُهْدِهِ   وَقد زِدْتُها في الُحبِّ مِنّي على الُجهدِ

وقال ذو الرُّمة غيلان بن عُقبة بن مسعود :

لكَ الَخيرُ هَلَّا عُجْتَ إذْ أنا واقِفٌ   أُغيضُ البكا في دارِ ميٍّ وأزْفرُ (١)

فتنظُرُ إنْ مالتْ بصبري صَبابَتي   إلىجزعيأمْ كيفَ إنْ كنتُ أصْبرُ (٢)

إذا شِئتُ أبكاني بجَرْعاء مالكٍ   إلى الدَّحْلِ مُسْتَبْدىً لِميٍّ وَمَحْضَرُ (٣)

وبالزُّرْقِ أطلالٌ لِميَّةَ أقفرَتْ   ثلاثةَ أعوامٍ تُراحُ وتُمْطِرُ (٤)

إذا اعترَضَتْ حُزوى وأعرضَ حارِكٌ   مِنَ الرَّملِ تمشي حَوْلَهُ العَينُ أعْفَرُ (٥)

---

(١) ديوانه : ٣٠٨ ، عجت : عطفت ولم تستعجلني ، أغيض البكا : أسفح الدمع من عيني .

(٢) فتنظر : جواب « هلا عجت » في البيت السابق .

(٣) في « اللسان » : الدحل : نقب ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وربما أنبت السدر . فأما ما يعتاده الشعراء من ذكرهم الدحل مع أسماء المواضع كقول ذي الرمة : إلى الدحل . . . فقد يكون سمى الموضع باسم الجنس ، ويجوز أن يكون غلب عليه الجنس، كما قالوا : « الزرق » في برك معروفة ، وإنما سميت بذلك لبياض مائها وصفائها . ومستبدى : موضع يبدون فيه بالربيع ، ومحضر : مكان مياههم التي يحضرونها في الصيف .

(٤) الزرق : أكثبة بالدهناء .

(٥) في الديوان : « إذا ما بدت حزوى » وحزوى : من رمال الدهناء ، وحارك : سنام من الرمل مرتفع ، وفي الأصل تحت قوله: حارك من الرمل : المشرف من الرمل . والعين : البقر ، وأعفر : لونه يميل إلى الحمرة .

وَجدْتُ فؤادي كادَ أنْ يَسْتَخِفَّهُ رَسيسُ الهوى مِنْ بعضِ ما يتذَكَّرُ (١)
عدَتْني العَوادي عنكِ يامَيُّ بُرْهةً وقد يُلْتَوى دُونَ الحبيبِ فيُهجَرُ (٢)
على أنَّني في كلِّ سَيْرٍ أسيرُهُ وفي نظري مِنْ نَحْوِ أرْضِكِ أصْوَرُ (٣)
فإنْ تُحْدِثِ الأيّامُ يا مَيُّ بيننا فلا ناسياً عَهْداً ولا مُتَغَيِّرُ (٤)

وقال غيلان أيضاً :

أداراً بِحزْوى هِجْتِ للعينِ عَبْرَةً فَماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يترَقْرَقُ (٥)
وقفنا فسَلَّمْنا فكادَتْ بِمُشْرِفٍ لِعِرْفانِ صوتي دِمنةُ الدَّارِ تنطِقُ
تَجيشُ إليَّ النَّفسُ في كل مَنزِلٍ لِميٍّ ويرتاحُ الفؤادُ المُشَوَّقُ (٦)

---

(١) رسيس الهوى : أثبتـه ، والرسيس : الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه. وفي الديوان : « كاد أن يستفزه . . . رجيع الهوى » ورجيع الهوى : ما كان ذهب ثم رجع .

(٢) عدتني العوادي : صرفتني الصوارف ، برهة : زماناً ، والالتواء : المطل، وقوله : « وقد يلتوي دون الحبيب » يقال : التوى دوني في الحاجة : إذا لم يستقم.

(٣) أصور : مائل ، يريد: عدتني العوادي على أنني في كل سير ألتفت وأميل.

(٤) في الديوان : « فلا ناشر سراً » .

(٥) ديوانه : ٤٧٧ مع اختلاف في الترتيب ، والألف في قوله : « أداراً » للنداء ، وحزوى : موضع في ديار بني تميم ، ويرفض : يسيل ، ويترقرق : يبقى في العين متحيراً يجيء ويذهب .

(٦) تجيش ، أي : تفور وتثور وترتفع وتغثى من الفزع . وفي الديوان ـ

أَلا ظَعَنَتْ مَيٌّ فَهاتيكَ دارُها ... بِها السُّحْمُ تَرْدي والحَمامُ المُطَوَّقُ (١)

لَها جِيدُ أُمِّ الخِشْفِ رِيعَتْ فأَتْلَعَتْ ... وَوَجْهٌ كَقَرْنِ الشمس رَيّانُ مُشْرِقُ (٢)

وَعَيْنٌ كَعَيْنِ الرِّيمِ فِيها مَلاحَةٌ ... هِيَ السِّحْرُ أوأَدْهى ٱلْتِباساً وأَعْلَقُ (٣)

لَعَمْرُكَ إنِّي يَوْمَ جَرْعاءِ مالِكٍ ... لَذو عَبْرَةٍ كُلٌّ تَفيضُ وتَخْنُقُ (٤)

وإنسانُ عيني يَحْسِرُ المـاءَ تارةً ... فيبدو وتاراتٍ يَجُمُّ فيَغْرَقُ (٥)

— بعد البيت :

أراني إذا هوَّمتُ يا ميُّ زرتني ... فيا نعمتا لو أن رؤياي تصدُقُ

فما حبُّ ميٍّ بالذي يكذب الفتى ... ولا بالذي يُزهي ولا يتملَّقُ

(١) في الشرح : السحم : السود ، يعني الغربان ، الواحد أسحم ، تردي : تذهب ، والغراب لا يستطيع المشي ، ويروى : بها السحم فوضى ، أي : متفرقة .

(٢) أم الخشف : الظبية ، والخشف : ولدها ، ريعت : فزعت ، أتلعت : مدت عنقها تنظر ، وقيل : أتلعت : علت تلعةً ، وقرن الشمس : جانبها .

(٣) الريم : الظبي الأبيض ، أدهى : أنكر ، أعلق : أثبت .

(٤) هذا البيت والذي بعده جاء ترتيبها في الديوان بعد البيت «ألا ظعنت ..» وفي الشرح : تخنق : تأخذ الحلق ، وروى الأصمعي «كل» بالرفع على الابتداء ، ومن روى «كلا» بالنصب، فهو منصوب بـ «تفيض» ، والجرعاء : الرمل في الأرض المستوية ، ومالك : اسم رمل .

(٥) حسر الماء ـ من باب ضرب ـ نضب عن موضعه وغار ، ويجم : مضارع جم ، أي : كثر وارتفع ، وإفراد «تارة» أولاً وجمعها ثانياً ، إشارة إلى أن غلبة البكاء عليه هي غالب أحواله .

وقال عبد الله بن الدمينة :

سَلي البانَةَ الغَنَّاء بالأَجْرَعِ الذي ... بِهِ البانُ هل حَيَّيْتُ أطلالَ دارِكِ (١)

وهل قُمتُ في أطلالِهِنَّ عَشِيَّةً ... مَقامَ أخي الضَّراء واُختَرْتُ ذَلِكِ (٢)

(١) ديوانه : ١٣ ، وانظر تخريجها هناك . وفيه : بالأبطح الذي . . به الماء ، والغناء : الملتفة الكثيرة الورق والأغصان ، فاذا أخربتها الريح غنت ، وغنت ـ هنا ـ من الغنة ، أي : أن الريح تمر بها غير صافية الصوت . وفي « الحماسة البصرية»: الغيناء بالأجرع الذي ، والغيناء : الخضراء الكثيرة الورق الملتفة الأغصان الناعمة .

(٢) رواية البيت في الديوان :

وهل قمت بعد الرائحين عشيَّةً ... مقام أخي البغضاء واخترت ذلك

وفي الزجاجي : « مقام أخي البؤس وآثرت » ، وفي « أمالي المرتضى » : مقام سقيم القلب . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وهل كفكفت عيناي في الدّار عبرةً ... فُرادى كنظم اللؤلؤ المتهالكِ

فيا بانةَ الوادي أليست مصيبةً ... من الله أن تُحمى علينا ظلالُكِ

ويا بانــة الوادي أثيبي متيَّماً ... أخا سقَمٍ لبَّستِهِ في حبالِكِ

وكلَّفتِني من لا أطيقُ كلامَــه ... نهاراً ولا ليلاً ولا بــين ذلكِ

هويتُ ولم تهوي وكنتِ ضعيفةً ... فهذا بلاءٌ قــد بليت بذلك

وأذهب غضباناً وأرجع راضياً ... وأقسم ما أرضيتني بــينَ ذلك

يقولون ذرهــا واعتزلهــا وإنما ... يساوي ذهابَ النفس عندي اعتزالُك

عدمتُكِ من نفسٍ فأنتِ سقيتني ... كؤوس الرّدى في حبٍّ من لم يبالِكِ

ومنَّيتني لقيانَ من لستُ لاقياً ... نهاري ولا ليلي ولا بــينَ ذلك

فما بكِ من صبرٍ ولا من جلادةٍ ... ولا من عزاءٍ فاهلكي في الهوالكِ

لِيَهْنِكِ إمساكي بكفّي على الحشا ... ورقراقُ دمعي خيفةً مِنْ زِيالكِ (١)
فلو قُلْتِ طأْ في النَّارِ أعلمُ أنّهُ ... رِضىً لكِ أو مُدْنٍ لنا مِنْ وِصالكِ (٢)
لقدَّمتُ رجلي نحوها فوطِئْتُها ... هُدىً مِنكِ لي أو ضلّةً مِنْ ضلالكِ (٣)

وقال آخر :

وَقفتُ كأني مِنْ وراء زُجاجـةٍ ... إلى الدَّارِ من فَرْطِ الصَّبابَةِ أنظُرُ (٤)
فعيناي طَوْراً يَغرقانِ مِنَ البُكا ... فأعْشى وَطوْراً يَحْسِرانِ فأُبصِرُ

وقال البحتري :

بِنـا أنتِ مِنْ مَجْفُوَّةٍ لم تعتَّبِ ... ومَعْذورَةٍ في هَجْرِها لم تُؤَنَّبِ (٥)
ونازحـةٍ والدَّارُ منهـا قريبةٌ ... وما قُرْبُ ثاوٍ في التُّرابِ مُغَيَّبِ

---

(١) في الديوان : « وإذراء عيني دمعها في زيالك » ، ويروى : « ورقراق دمعي رهبة » ، ويروى : « ورقراق عيني من حذار » .

(٢) في الديوان : ولو قلت . . . هدى منك . . .

(٣) في الديوان : أو غية من ضلالك .

(٤) البيتان مع ثالث في « ديوان المجنون » ١٣٥ ، وفيه تخريجهـا . والبيت الثالث هو :

وليس الذي يهمي من العين دمعها ... ولكنـه نفس تذوب فتقطر

(٥) ديوانه : ١/١٩٠ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان .

قضَتْ عُقَبُ الأَيام فينا بهِجْرَةٍ متى ما تُغالَبْ بالتَّجلُّدِ تَغلِبِ (١)

ألا لا تُذَكِّرْهُ الحِمى إنَّ ذِكْرَهُ جوىً باطِنٌ لِلمُسْتَهامِ المُعَذَّبِ (٢)

ولما تَزايلْنا مِنَ الجِزْعِ وانتأى مُشَرِّقُ رَكبٍ مُصْعِدٍ عن مُغَرِّبِ (٣)

تَبَيَّنْتُ أنْ لادارَ مِنْ بعدِ عالِجٍ تَسُرُّ وأنْ لا خُلَّةً بعد زَينبِ (٤)

وقال أيضاً :

أَبُكاءٌ في الدَّارِ بعدَ الدَّارِ !؟ وَسُلُوّاً بِزَيْنَبٍ عن نَوارِ ؟! (٥)

لا هَناكَ الشُّغْلُ الجديدُ بِحُزْوى عَنْ رُسومٍ بِرامَتَيْنِ قِفارِ (٦)

---

(١) في الديوان : « فينا بفرقة . . . » وفي الديوان بعد البيت :

فان أبكِ لا أشفِ الغليل وإن أدَعْ أدعْ حرقةً في الصدر ذات تلهُّبِ

(٢) في الديوان : ألا لا تذكرني الحمى إن عهده جوى للمشوق . . . وفي الديوان بعد البيت :

أتت دون ذاك العهد أيام جرهم وطارت بذاك العيش عنقاءُ مغْرِبِ
ويالائمي في عبرةٍ قد سفحتها لبين وأخرى قبلها لتجنُّبِ
تحاول مني شيمة غير شيمتي وتطلب عندي مذهباً غير مذهبي
وما كبدي بالمستطيعة للأسى فأسلو ولا قلبي كثيرُ التقلُّبِ

(٣) في الديوان : « مشرق ركب مصعداً عن مغرِّب » .

(٤) عالج : رمل بين فيد والقريات ، ينزلها بنو بحتر من طيىء وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة . الخلة : الخليلة ، وكذلك المحبة والصداقة .

(٥) ديوانه : ٩٨٦/٢ من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد .

(٦) لا هناك : لا هنأك خفف همزها : وحزوى : من رمال الدهناء ، وهي -

ما ظَنَنْتُ الأَهواءَ قبلكَ تُمحى   في صُـدُورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ [١]

وقال الأَحوص [٢] :

خليليَّ مِنْ غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بَلِّغـا   رسائِلَ مني لاأزيدُكُما وِقْرا [٣]
أَلَا ليتَ شِعْري هل إلى أُمِّ جَحْدَرٍ   سَبيلٌ فأما الصَّبْر عنها فلا صَبْرا [٤]
وإني لأَسْتَنْشي الحديثَ لِأَجْلِها   لِأَسمعَ منها وهي نازِحَةٌ ذِكْرا [٥]
وأعْجَبُ دارٍ دارُها غيرَ أنني   إذا ما أَتيتُ الدَّارَ تَرْجِعُني صِفْرا [٦]

ـ باليمامة بحذاء قرية بني سدوس . ورامتين ، تثنية رامة ، وهو واحد : موضع في طريق البصرة ومكة .

(١) في الديوان : « من صدور العشاق » .

(٢) الأبيـــات في « الأغاني » : ٢٧٥/٢ ، ٢٧٦ منسوبة للرماح بن ميادة ، وأورد صاحب « اللسان » بيتاً من القصيدة في «بهر» ونسبه لابن ميادة ، قلت : وهو الصواب ، لأنه هو الذي كان ينسب بأم جحدر ، وانظر أخباره معها في « الأغاني » .

(٣) الوقر ، بالكسر : الثقل يحمل على الظهر .

(٤) في « الأغاني » بعد هذا البيت :

فان يك نذر راجعاً أمَّ جحدرٍ   عليَّ لقد أوذمتُ في عنقي نَذْرا

(٥) أستنشي الحديث : أتعرفه وأبحث عنه ، ومنه المستنشية للكاهنة ، لأنها كانت تستنشي الأخبار ، أي : تبحث عنها .

(٦) الصفر ، مثلث الصاد : الشيء الخالي ، يقال : بيت صفر من المتاع ، أي : خال ، ورجل صفر اليدين ، أي : ليس فيهما شيء .

عَشِيَّةَ أَلْوِي بالرِّداءِ على الحشا ... كأَنَّ الحَشا مِنْ دونِهِ مُشْعَرٌ جَمْرا [(١)]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَأَلْحَقَّ إنْ دارُ الرَّبابِ تباعَدَتْ ... أو انْبَتَّ حَبْلٌ أنَّ لُبَّكَ طائِرُ ؟ [(٢)]

أفِقْ قد أفاقَ العاشِقونَ وجانَبوا الـ ... هَوى واسْتَمَرَّتْ بالرِّجالِ المرائِرُ [(٣)]

زَعِ النَّفسَ واسْتَقْنِ الحَياءَ فإنَّما ... يُباعِدُ أو يُدْني الرَّبابَ المَقادِرُ [(٤)]

أَمِتْ حُبَّها واجعلْ مكانَ وِصالها ... وَرُؤْيَتِها أمثالَ مَنْ لا تُجاوِرُ [(٥)]

فكالنَّاسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكُنْ ... أَحاديثَ مَنْ يَبدو ومَنْ هو حاضِرُ [(٦)]

---

(١) رواية الشطر الثاني في « الأغاني » : كأن ردائي مشعل دونه جمرا ، ورواه أيضاً « كأن الحشى من دونه أسعرت جمرا » .

(٢) ديوانه : ١٠٩ ، وفيه « أحقاً لئن دار . . . أن قلبك . . . » وانبت الحبل : انقطع ، وأراد حبل المودة .

(٣) المرائر : جمع مريرة وهي العزيمة ، واستمرت المرائر ، أي : قويت العزائم واشتدت .

(٤) زع : أمر من : وزعه يزعه ، أي : كفّه يكفّه ، واستقن الحياء ، أي : الزمه ، من قولهم : قنيت حيائي ، أي : لزمته . وفي الديوان : « زع القلب واستبق الحياء » .

(٥) في الديوان : « واجعل قديم وصالها وعشرتها أمثال من لا تعاشر » .

(٦) في الديوان : « فان كنت . . . » وجاء ترتيب هذا البيت فيه متقدماً على ما قبله .

وَهَبْهَا كشيءٍ لم يَكُنْ أو كَنازحٍ ... به الدّارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المقابرُ [1]

فنَفْسَكَ لِمْ جِئْتَ الذي جئتَ طائعاً ... وَحالَفْتَ أمرَ الغيّ إذْ أنتَ سادِرُ [2]

كان المنصور قد أنْزَلَ أبا دُلامَةَ في دارٍ بالقُرْبِ مِنْ قصره ثم دعَتْهُ الحاجَة إليها ، فأمَرَ بإضافتهـا إلى قصره ، فدخل عليه أبو دُلامَـة [3] فأنشـده : [4]

يابْنَ عَمّ الرَّسُولِ دَعْوَةَ شيخٍ ... قد دَنا هَدْمُ دارِهِ ودَمارُهْ

فهو كالماخِضِ التي اعتادَها الطَّـلْقُ فَقَرَّتْ وما يَقِرُّ قرارُهْ

إنْ يَجُزْ عُسْرُهُ بِـكَفَّيْكَ يوماً ... فبِكَفَّيْكَ عُسْرُهُ وَيسارُهْ

---

(١) نازح به الدار ، أي : بعدت داره عن دارك ، يريد: ظن هذه المرأة واحداً من ثلاثه أشياء : إما شيئاً لم يكن ، فأنت لا تعرف عنـه شيئاً ، وإما صديقاً بعدت داره فأنت لا ترتقب رؤيته ، وإما حبيباً مات فأنت يائس من لقائه.
وفي الديوان بعد البيت :

فان أنت لم تفعل ولست بفاعل ... ولا قابل نصحاً لمن هو زاجر

(٢) في الديوان : « فلا تفتضح عيناً أتيت الذي أرى وطاوعت هـــذا القلب . . . » وسادر : تائه في الغي ، غير مبالٍ ولا مكترث .

(٣) هو زند بن الجون الأسدي بالولاء ، شاعر مطبوع ، من أهـل الظرف والدعابة ، نشأ في الكوفـــة واتصل بالخلفاء من بني العباس ، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صِلاتهم ، وله في بعضهم مدائح ، وكان يتهم بالزندقة لتهتكه .

(٤) الأبيات مع الخبر في « الأغاني » : ١٠/٢٧٢ .

أوْ تَدْعَـهُ إلى البوارِ فأنّى ولماذا - وأنتَ حيٌّ - بَوارُهْ
هلْ يخافُ الهلاكَ شاعِرُ قومٍ قَدُمَتْ في مديحِهِمْ أشعـارُهْ
لـكُمُ الأرْضُ كلُّها فأعيروا شَيْخَكُم ما حَوى عليه جِدارُهْ
فـكأنْ قد مَضى وخَلَّفَ فيكُم ما أعَرْتُمْ وأقْفَرَتْ منـهُ دارُهْ

فاستعبرَ المنصور وأمرَ بتعويضه خيراً منها ووَصَلَه .

عن عبد الله بن موسى الكاتب [١] قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وهو يبني داره ويُبَيِّضُها ، فقلت له : ما هذه الغَرامة ؟ فقال : إنَّ السَّيْلَ الذي جاء منذ ليالٍ أحدثَ في داري ما أحوَجَ إلى الغرامـة والكُلْفَة ، فقلتُ [٢] :

أَلا مَنْ لنَفْسٍ وأحزانِهـا ودارٍ تَداعَتْ بحِيطانِهـا
أَظَلُّ نهاري في شَمْسِهـا شَقِيّاً مُعَنّىً ببُنْيانِهـا [٣]
أُسَوِّدُ وَجْهي بتَبْييضِها وأهْدِمُ كيسي بعُمْرانِهـا [٤]

(١) الخـــبر مع الأبيات في « الأغاني » : ١٠/٢٩٣ ، والأبيات في ديوان « ابن المعتز » : ٤٤٣ .

(٢) في « الأغاني » : وقال .

(٣) في الديوان بعد البيت :

ولا أحد من ذوي قربتي يسـاعدني عند إتيانهـا

(٤) في الديوان : أسود وجهي لتبييضها .

وقال آخر :

وَمَنْ يَنْأَ عَنْ دارِ الهوى يُكثِرِ البُكا ... وَقولَ لعَلَّ أوْ عسى سيكونُ [1]

وما اخْتَرْتُ نأْيَ الدّارِ عنكُمْ لِسلْوَةٍ ... وَلكنْ مَقاديرٌ لهنَّ شُجُونُ

وقال أبو عبد الله بن حجاج [2] :

أخِلّايَ ما اسْتَوْحَشْتُمُ عند غيبتي ... لِبَيْني ولا اسْتأْنَسْتُم بالأَسى بعدي

أَلَمْ تَعلموا أني أحِنُّ إليكُمُ ... كما حَنَّت الهِيمُ العِطاشُ إلى الوِرْدِ

فلا مَرْحَباً بالدّارِ لا تَسْكُنُونَها ... ولو أنَّها الفِرْدوسُ أوْ جَنَّةُ الخُلدِ

وقال آخر :

وما زِلتُ مُذْ شطَّتْ بِيَ الدّارُ باكيا ... أُؤَمِّل عطفاً مِنْكَ حِينَ أَؤُوبُ [3]

---

(١) البيتان غير منسوبين في « زهر الآداب » : ٨٧٦/٢ .

(٢) هو أبو عبد الله حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج النيلي البغدادي ، شاعر فحل ، من كتاب العصر البويهي ، غلب عليه الهزل ، في شعره عذوبة وسلامة من التكلف . قال الذهبي : شاعر العصر ، وسفيه الأدب ، وأمير الفحش ، كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح . توفي سنة ٣٩١ هـ . ترجمته وأخباره في « وفيات الأعيان » : ٤٢٦/١ ، و « تاريخ بغداد » : ١٤/٨ ، و « يتيمة الدهر » : ٢٥/٣ ، و « معاهد التنصيص » : ١٨٨/٣ ، و « البداية والنهاية » : ٣٢٩/١١ .

(٣) البيتان غير منسوبين في « زهر الآداب » : ٨٧٦ ، وفيه : « مذ شطت بك . . . أؤمل منك العطف حين تؤوب » .

فأضعفتَ ما بي حين أُبتُ وزِدتَني   عَذاباً وإعْراضاً وأنتَ قريبُ

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ أرضٌ تَحُلُّها   إليَّ ودارٌ تحتويك رُبُوعُها

لَحى اللهُ قلباً لا يهيمُ صَبابَةً   إليْكَ وعيناً لا تفيضُ دموعُها

وقال الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما :

لعَمْرُكَ إنَّني لَأُحِبُّ داراً   تَحلُّ بها سُكَيْنَةُ والرَّبابُ [1]

أُحِبُّهما وأبذُلُ بعدُ مالي   وليسَ لِلائمي فيها عتابُ [2]

ولستُ لهمْ وإنْ عَتِبوا مُطيعاً   حَياتي أوْ يُغَيِّبَني التُّرابُ [3]

سكينة بنته ، والرباب أمها ، وهي بنت امرئ القيس بن عدي ابن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم .

أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، رحمه الله ، في كتاب « نَسب الصحابة » رضي الله عنهم ، أنَّ أبا أحمد بن جحش بن رياب ، واسمُه

---

(١) « الأغاني » : ١٦/٨٩ : وكان الحسن عاتب أخاه الحسين رضي الله عنهما في محبته زوجته الرباب ، فأنشد الأبيات .

(٢) في « الأغاني » : وأبذل جلّ ... وليس لعاتب عندي عتاب .

(٣) في « الأغاني » : وإن غابوا مضيعاً . وفي « التجريد » : وإن عابوا مطيعاً .

عبد ، وأُمه أُمَيْمَة بنْت عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أسْلَمَ هو وأخواه عبد الله وعُبيْد الله رحمهما الله[1] قبلَ مدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم يدعو فيها ، وهاجَرَ أبو أحمد مع أخيهِ عبد الله وقومه إلى المدينة ، فنزلوا على مُبَشّر بن عبيد ، فعَمَدَ أبو سفيان بن حرب إلى دار أبي أحمد ، فباعها من ابن عَلْقَمَة العامري بأربع مائة دينار . فلما قَدِمَ رسول الله ﷺ مكَّة عام الفتح ، وفرَغَ من خطبته ، قام أبو أحمد على باب المسجد على جمل له ، فجعل يصيح : أنشُدُ الله يابني عبد مناف حِلْفي ، أنشُدُ الله يا بني عبد مناف داري ، فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان رضوان الله عليه ، فسارّه بشيء ، فذهب عثمان إلى أبي أحمد ، فسارَّه ، فنزل أبو أحمد عن بعيره ، وجلسَ مع القوم ، فما سُمِعَ ذاكِرَها حتى لقيَ اللهَ عز وجل . فقال آلُ أبي أحمد : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « لك بها دار في الجنة » .

وقد كان أبو أحمد ، رحمه الله ، قال في بَيْعِ دارِه لأَبي سفيان رحمه الله :

أَقطَعْتَ عَهْدَكَ بيننا ... والحَازِياتُ إلى ندامَهْ

أَلّا ذكرْتَ لياليَ الـ ... عَيشِ التي فيها القَسامَهْ

عَقْدي وعقدُكَ قائمٌ ... أنْ لا عُقوقَ ولا أثامَهْ

دارُ ابنِ عَمِّكَ بِعتَها ... تَشْري بها عنكَ النَّدامَهْ

---

(١) قال في « الاصابة » : أما عبيد الله ، فمات نصرانياً بأرض الحبشة .

إذْهبْ بها إذْهبْ بهـا   طُوقّتها طَوْقَ الحمامـهْ

وجريت فيهِ إلى العقو   قِ وأسوأُ الخلق الرّغامهْ

قد كنتُ آوي في ذرى   فيه المقامـة والسّلامَهْ

ما كان عَقْدُكَ مثلما   عقد ابن عمروٍ لابن مامَهْ

وكان أبو أحمد هذا رحمه الله ضريراً ، وله أشعار كثيرة .

عن أبي عبد الله العَبْدي قال : كان الفرزدُق مستخفياً في بني شيبان من عبد الله بن زياد ، ثم تحوّل عنهم وقال :

تَصَرَّمَ عني وُدُّ بكْرِ بن وائلٍ   وما خِلْتُ عني وُدَّهم يتَصرَّمُ (١)

قوارِصُ تأتيني ويحتقِرونهـا   وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيُفْعَمُ (٢)

فقال رجلٌ مِنْ بكر بن وائل (٣) يجيبه :

---

(١) ديوانـه : ٧٥٦/٢ ، و « الـكامل » : ٢٨/١ ، و « طبقـات فحول الشعراء » : ٣٠٢ ، و « أمالي الشـريف المرتضى » : ٣٠٤/١ ، و « حماسة ابن الشجري » : ٧١ . ورواية الشطر الثـاني من البيت الأول في « الطبقات » و« الـكامل» والديوان : وما كان مني ودُّهُم يتصرَّمُ . وتصرم الشيء : تقطع .

(٢) قوارص ، جمع قارصة : وهي الكلمة المؤذية ، وفعم الاناء يفعمه فعماً : ملأه وبالغ في ملئه .

(٣) في « أمالي المرتضى » و « حماسة ابن الشجري » ، و « المؤتلف والمختلف » : ٩٥ ، جرير بن خرقاء العجلي ، وذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة البكري .

لَعَمْري لئِنْ كانَ الفَرَزْدَقُ قد نأَى ... وَأَحْدَثَ صَرْماً للفرَزْدَقُ أَظْلَمُ [١]

لقد وَسَّطَتْكَ الدَّارَ بكْرُ بنُ وائِلٍ ... وَضَمَّتْكَ لِلأَحشاءِ إذْ أنتَ مُجْرِمُ [٢]

فإِنْ تَنْأَ عنها لا تَضِرْها وإنْ تَعُدْ ... تَجِدْها على العَهْدِ الذي كنتَ تعلَمُ [٣]

أنشد ابن خالويه لبعض العرب :

أَلَمْ تعلمي يا دارَ بَلْجاءَ أنني ... إذا أَخْصَبَتْ أوْ كانَ جَدْباً جنابُها [٤]

أَحَبُّ بلادِ الله ما بينَ مَنْعِجٍ ... إليَّ وَسَلْمى أنْ يَصوبَ سَحابُها [٥]

بلادٌ بهـا نِيطتْ عليَّ تمائمي ... وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدي تُرابُها [٦]

---

(١) في « الطبقات » : كان الفرزدق عاتباً . والصرم : القطيعة .

(٢) وسطه الدار : أنزله في وسطها ، أي : أكرمها ، يعني : أنهم حاطوه واحتفوا به وأكرموه . وضمتك الأحشاء : عطفت عليك ، كما تضم الأم ولدها إلى أحشائها . وفي « أمالي المرتضى » : لقد بوّأتك الدار . . . . وردت لك الأحشاء . . .

(٣) في « الطبقات » : فان تنأ عنا لا تَضِرْنا . . . تجدنا . . . ، ونأى ينأى : بعد ، وضاره يضره : ساءه وضره .

(٤) الأبيات في « الكامل » : ٦٦١ ، و « السمط » : ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وانظر تخريجها فيه . وبلجاء ، من البلج ، بفتح اللام ، وهو تباعد ما بين الحاجبين، وجنابها : ما حولها .

(٥) منعج : واد ، وفي « الكامل » : ما بين مُشْرِفٍ ، وهو موضع بالدهناء .

(٦) في « الكامل » : بلادٌ بها عق الشباب تميمتي . وقال البكري : وتقدير -

أوردَ الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه في فضائل مالك بن أنس رضوان الله عليه : أنَّ الرشيد سألَ مالكاً : هل لكَ مِنْ دار ؟ قال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وقال : اشترِ بها داراً ، فأخذهـا مالكٌ ولم يُنْفِقْها ، فلما أراد الرشيد الشُّخوصَ منَ المدينة قال لمالك : ينبغي أن تخْرُج معنا ، فإني عَزَمْتُ أنْ أَحْمِلَ النَّاسَ على « الموطأ » ، كما حَمَلَ عُثمانُ رضوانُ الله عليه النَّاسَ على القرآن . فقال له مـالك : أمّا حَمْلُكَ الناسَ على « الموطأ » ، فليسَ إلى ذلك سبيلٌ ، لأَنَّ أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعدَه في الأمصار ، فحدَّثوا رضي الله عنهم ، فعندَ كلِّ أهلِ مِصْرٍ عِلْمٌ ، وقد قال رسول الله ﷺ : « اختلاف أمتي رَحْمَـةٌ [١] » ، وأما خُرُوجي معك ، فليس إليه سبيل ، قال ﷺ : « المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون [٢] » ، وقال ﷺ : « المدينة تَنْفي

- الكلام في هذين البيتين : أحبُّ صوب سحاب بلاد الله إلي ، سحاب بلاد بها عق الشباب تمائمي ما بين سلمى ومنعج ، يريد : وسط سلمى ومنعج فـ «أحب» : ابتداء ، و«أن يصوب» : بدل منه ، و «ما بين» : ظرف ، و «بلاد» : خبر الابتداء .

(١) أورده السيوطي في « الجـامع الصغير » ، ونقل شارحه المناوي عن السبكي قوله فيـه : وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ، وانظر « المقاصد الحسنة » : ٢٦ للسخاوي .

(٢) « الموطأ » : ٨٨٨/٢ ، و «البخاري» : ٧٩/٤ ، و« مسلم » : ١٠٠٨/٢ .

خَبَثَها ، كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد[١] » وهذه دنانيركم كما هي ، إنْ شئتم خذوها ، وإنْ شئتم دعوها . أراد : إنك تكلفني مفارقة المدينة لِما اصطنعت إليَّ ، ولا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال المَهْدي يوماً لمالك : هل لكَ في دار ؟ قال : لا ، ولكني أُحَدِّثُك : سمعت ربيعة بن [أبي] عبد الرحمن[٢] يقول : نَسَبُ المرْء دارُه .

وقال ربيعة بن مَقْروم الضّبي :

يا دارَ أَسْماءَ بالأَمثالِ فالرِّجَلِ ... حُيِّيتِ مِنْ دِمْنَةٍ قَفْرٍ ومِنْ طَلَلِ[٣]

---

(١) « الموطأ » : ٨٨٧/٢ ، و «البخاري» : ٧٥/٤ ، و «مسلم» : ١٠٠٦/٢ .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي بالولاء المدني ، الامام الحافظ المجتهد ، لقب «ربيعة الرأي» لبصره بالقياس ، وتوسعه فيه . وكان من الأجواد، أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار ، ولما قدم السفّاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة ، وكان يجلس إليه وجوه الناس فيها ، وعنه أخذ الامام مالك بن أنس ، توفي بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ١٥٧/١ ، و « وفيات الأعيان » ٥٠/٢ ، و « تهذيب التهذيب » ٢٥٨/٣ ، و « تاريخ بغداد » ٤٢٠/٨ .

(٣) في « معجم البلدان » : الأمثال : أرضون ذات جبال من البصرة على ليلتين ، سميت بذلك ، لأنه يشبه بعضها بعضاً . الرجل : بكسر أوله وفتح ثانيه موضع بشق اليمامة .

كأنَّها بعدَ عَهْدِ العاهدينَ بها ... مَهارِقُ العجْمِ أو مَوْشِيَّةُ الحُلَلِ (١)
دارٌ غَنينا بها حِيناً وأيُّ غِنىً ... عَنْ أهلِهِ يابنةَ الضَّبيِّ لم يَحُلِ

وقال نصيب :

ألا تسألُ الدَّارَ التي لعِبَ البِلى ... بِجِدَّتِها فلمْ تَكَدْ تَستَبينُها
متى بانَ منها أهلُها أمْ هلِ البُكا ... إنِ العينُ بالدَّمعِ اسْتَهَلَّ شؤونُها
يُريحُ هوى نفسٍ عصَتكَ وأصبحَتْ ... تُنازِعُ شتَّى لا جميعاً شُجونُها
إذا غشيتَ رَبْعاً لِزَيْنبَ راجعَتْ ... بهِ الشَّوْقَ حتى يُستَبانَ دَفينُها
فلا حدَثُ الأيَّامِ أنساكَ ذِكْرَها ... وَلا غُرْبَةُ الدَّارِ الشَّديدِ شُطونُها

وقال آخر : يُنسب إلى المجنون قيس بن الملوّح .

يا دارَ ليلى بسقْطِ الخلِّ قد دَرَسَتْ ... إلَّا الثُّمامَ وإلَّا مَوْقِدَ النَّارِ (٢)
أبلى عِظامي بعدَ الحبِّ دارِسُها ... كما تتبَّعَ عُودَ الشَّوْحطِ الباري (٣)
ما تَبْرَحُ الدَّهرَ منْ ليلى تَموتُ حَفاً ... في موقفٍ وَقَفْتُهُ أوْ على دارِ

---

(١) المهارق : جمع مُهْرَق ، وهي الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب.

(٢) الأبيات في ديوان المجنون : ١٤٩ ، وانظر تخريجها فيه . والسقط : حيث انقطع معظم الرمل ورق ، والخل : طريق في الرمل يذكر ويؤنث ، وفي الديوان : « بسقط الحي » .

(٣) الشوحط : ضرب من النبع تتخذ منه القسي ، وهي من شجر الجبال جبال السّراة .

وقال المرّار الفقْعَسي [1] :

خليليَّ إنَّ الدّارَ غَفْرٌ لذي الهوى كما يُنْكَسُ المحمومُ أوْ صاحِبُ الكَلْم [2]

أبى مَنزِلٌ بالبُرْقِ ألا يَهيجَني ودارٌ لها بينَ الأجارِعِ والرَّضْمِ

الغَفْر : النَّكْسُ والتَّغْطِية ، وشَعْرُ السَّاق : غَفْر .

وقال الغطَمَّش الضبي [3] :

أقولُ لِجوّابٍ وَقَيسِ بن عازبٍ وقد باتَ جَفْنُ العين ماءً مَسيلُها

(١) هو أبو حسان المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، قال البكري : والمرارون من الشعراء سبعة : المرار الفقعسي هذا ، والمرار العَدَوي ، والمرار العجلي ، والمرار الطائي ، والمرار الشيباني ، والمرار الكلبي ، والمرار الحَرَشي .

(٢) البيت في « إصلاح المنطق » ١٢٨ ، و « أمالي القالي » ١/٩٧ ، و « أضداد ابن الأنباري » ١٥٥ . قال ابن السكيت : أي : إذا وقف في الديار عاوده هواه فنُكِسَ ، لتذكُّره من كان يحلّ بها .

(٣) جاء في « تاج العروس » ٤/٣٣٠ : هو الغطمَّش بن عمرو بن عطية ، وهو من بني شقرة بن كعب بن ضبة . وقال ابن الكلبي : هو من بني معاوية ابن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ضبة ، وفي « المبهج » لابن جني : « الغطمشة » : أخذ الشيء قهراً ، قالوا : ومنه اشتق الغطمّش في اسم رجل ، فهو على هذا اسم مرتجل ، وقالوا : الغطمش : الرجل الكليل البصر ، فهو على هذا منقول من الصفة . وفي « حماسة ابن الشجري » ٢٠٥ أنه كان مقيماً بالري ومفترضه بها .

قِفا حَيِّيا الدَّارَ التي لو وَجدتُما ... بها أَهْلَها ما كانَ نَحْساً مَقيلُها

وقال طلحة بن رفاعة :

سَقى اللهُ داراً بينَ أمْواهِ بارِقٍ ... وذي نخبٍ لم يَبقَ إلّا صَعيدُها

بها كانَ عَهدُ المالِكيَّةِ فانقضى ... كذاكَ الغواني لا تدومُ عُهودُها

وكانت تُمَنِّينا وتَزْعُمُ أنَّهُ ... يَجيءُ على بعض الأمانيِّ جُودُها

فما زادَها أنْ أيسَرَتْ لِدُيونِنا ... قَضاءً ولكنْ كانَ بُخْلاً يَزيدُها

رُوِيَ أنَّ إبراهيم بن حُذَيْفة رحمه الله باعَ دارَه ، فلما أرادَ المُشتري أنْ يُشهِدَ عليه قال : لستُ أُشهِدُ عليَّ ولا أُسلِّمُها حتى يشتروا مِنّي جوارَ سعيد بن العاصي (١) ، وتَزيدوا في الثمن . قالوا : وَهلْ رَأيتَ أحداً اشترى جِواراً ، أو باعه ؟ قال : ألا تَشتَرونَ جِوارَ مَنْ إن أسأتُ إليه أحسنَ ، وإنْ جَهِلتُ عليه حَلُم ، وإنْ أعسَرْتُ وَهب ؟! لا حاجةَ لي في

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصي بن أمية الأموي القرشي ، من الأمراء الولاة الفاتحين الأجواد ، كان له يوم توفي النبي ﷺ تسع سنين ، وربي في حجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو فاتح طبرستان ، وأحد الذين دافعوا عن عثمان يوم الدار وكتب المصحف له ، وممن اعتزل فتنة الجمل وصفين ، توفي سنة ٥٣ هـ ، وقيل : سنة ٥٩ . ترجمته وأخباره في « طبقات ابن سعد » : ١٩/٥ ، و « تهذيب ابن عساكر » : ١٣١/٦ ، و « الاصابة » ٤٥/٢ .

بَيْعِكُم ، رُدُّوا عليَّ داري . فبلغَ ذلكَ سعيدَ بنَ العاصي ، فبعث إليه بمائة ألفِ دِرْهم .

وروى المدائني قال : باعَ جارٌ لفَيْروز دارَه بأرْبَعة آلاف درهم ، فجيء بها ، فقال البائع : هذا ثمنُ داري ، فأينَ ثمنُ جاري ؟ قال : وَلِجارِكَ ثمن ؟ قال : لاأُنْقُصُه واللهِ مِنْ أربعةِ آلاف . فبلغ ذلك فيروز ، فأرسلَ إليه بثمانية آلاف دِرهم وقال : هـذا ثمنُ دارِكَ وَجارِك ، وٱلزَمْ دارَكَ لا تَبِعْها .

وقال أبو تمام :

إنَّ بُكاءً في الدَّارِ مِنْ أَرَبِهْ فشايعا مُغْرَمـاً على طَرَبِهْ [١]
جِيْدَتْ بداني الأكنافِ ساحَتُها نائي المَدَى داني الحَيا سَرِبهْ [٢]

---

(١) ديوانه : ١/٢٦٩ مطلع قصيدة يمدح بهـا محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وبعد البيت :

ماستَجْسَج الشَّوْق مثل جاحِـدِه ولا صريحُ الهوى كمُؤتشِبِـهْ

(٢) رواية الشطر الثاني في الديوان :

نائي المدى واكِـفِ الجَدَى سَـرِبهْ

قال التبريزي : هذا دعاء منه لها ، ويروى :

جيدت بداني الأكناف داني الذُّرى واهي الكُلى واكِفِ الجدى سَرِبه

والأكناف : النواحي . و « واهي الكلى » : كناية عن انبعاثـــه بالمطر ، -

مُزْنٌ إذا ما استطارَ بارِقُهُ   أَعْطى البلادَ الأَمانَ مِنْ كَذِبِهْ (١)

وقال أيضاً :

قد مَرَرْنا بالدّارِ وَهْي خَلاءٌ   وَبكَيْنا طُلُولَها والرُّسوما (٢)
وَسأَلْنا رُبوعَها وانصرَفْنا   بِسَقامٍ وَما سأَلْنا حَكيما

وقال أبو العلاء بن سليمان :

أنا مَنْ أَقامَ الحَرْفَ وَهي كأَنَّها   نُونٌ بدارِكَ والمَعالِمُ أَسْطُرُ (٣)
بالسَّعْدِ جادَتْكِ السَّماءُ لِتَسْعدي   وَالغَفْرِ علَّ ذُنوبَ أَهْلِكِ تُغْفَرُ (٤)

يقال : وهت المزادة : إذا انخرقت ، والكلى : جمع كلية ، وهي رقعة في المزادة. والسرب : السائل .

(١) قال التبريزي : أي : إذا برق بارقه ، فبرقه صادق غير كاذب كالخلّب.

(٢) ديوانه : ٣/٢٢٢ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف .

(٣) شروح « سقط الزند » : ٣/١١١٧ من قصيدة مطلعها :

النــارُ في طرفي تبالة أنوَرُ   رَقَدَت فأيقظها لخولة مَعْشَرُ

قال البطليوسي : وصف أنه وقف بدار خولة المذكورة في أول هذا الشعر. وشبه معالم الدار — وهي آثارها — بسطور في كتاب ، وناقته منها كالنون لتقوّسها . وإنما ذكر النون دون غيرها من حروف المعجم ، لأن بعض أهل اللغة قال : إن الحرف . الناقة الهزيلة ، وإنما سميت بذلك تشبيهاً لها بحرف من حروف المعجم ، وهو النون . وقال آخرون : شبهت بحرف الجبل في عظم خلقتها ، فاختار المعري قول من شبهها بالنون ، لأنه أشكل بما ذكره من الأسطر .

(٤) قال التبريزي : أي : مطرت بنوء السعد ونوء الغفر ، والسعد : من نجوم السعود ، والغفر من منازل القمر ، وله نوء .

وقال أيضاً :

إذا ذَنَّ أَنْفُ البَرْدِ سِرْتُم فلَيْتَهُ   عَقيبَ التنائي كانَ عُوقِبَ بالجَدْعِ [(١)]

وَما أَوْرَقَتْ أَوْتادُ دارِكِ باللِّوى   وَدارَةَ حتى أُسقيتْ سَبَلَ الدَّمْعِ [(٢)]

وقال البحتري :

وَلقد مَنَعْتُ الدَّارَ إعلانَ الهوَى   وَطَويْتُ عَنْها سِرَّكَ المكتوما [(٣)]

أَتَغيضُ مِنْ حَذَرِ الوُشاةِ مَدامِعي   فإذا خَلَوْتُ تُفيضُهُنَّ سُجوما

وقال آخر :

وَلَوْ كُنتِ في الدَّارِ التي مَسقط الصَّفا   مَرِضْتُ وَلكن غابَ عني مُعَلِّلي

---

(١) « شروح سقط الزند » ٣/١٣٤٠ ، قال التبريزي : وأنف البرد : أوله، وذنينه : مطره ، ويقال : ذن أنفه : إذا سال . والمعنى : متى جاء المطر في أول البرد سرتم عنا ، فليت أنف البرد عوقب بالجدع . والجدع : القطع ، والتنائي: التباعـــد .

(٢) في « أساس البلاغة » : نزلنـا في دارة من دارات العرب ، وهي أرض سهلة يحيط بها جبال . وكل موضع يدار به شيء يحجزه فهو دارة . وسبل الدمع: مطره . والمراد : أن أوتاد دارك لم تورق حتى أسقيت الدمع .

(٣) ديوانه : ١/٣٢٤ وبعد البيت :

فكأنمـــا الواشون كانوا أربعاً   محوَّة لعراصهـــا ورسوما

وسلي مُحيل الربع هل أبثثته   إلا الوقوف عليـه والتسليما

لم أشك حبّك بالنحول ولم أرِدْ   بسقام جسمي أن أكون سقيما

هُنالِكَ لوْ أنّي مَرِضتُ لَعادَني عَوائِدُ مَنْ لم يأْتِ مِنهُنَّ يُرْسِلِ

وقال آخر :

لا تَطلُبَنَّ دُنُوَّ دا رٍ مِنْ خليلٍ أوْ مُعاشِرْ
أبْقى لِأَسبابِ المودَّ ةِ أنْ تَزورَ ولا تُجاوِرْ

قال أحمد بنُ إسماعيل بن الخصيب (١) : شكا إليَّ ميمونُ بنُ هارون بُعْدَ دارِه إذا أرادَ زيارَتي ، فقلت : مِنْ هذا المنزل أقصِدُكَ إذا زرتك، ثم كتبت إليْه :

لا تَجْعلَنْ بُعْدَ داري مُخَسِّساً لِنصيبي
فرُبَّ شَخْصٍ بعيدٍ إلى الفؤادِ قريبِ
ورُبَّ شخصٍ قريبٍ إليهِ غيرُ حَبيبِ
ما البُعْدُ والقُرْبُ إلّا ما كانَ بينَ القُلوبِ

---

(١) هو أبو علي أحمد بن اسماعيل بن الخصيب الأنباري ، أديب من الكتاب المترسلين ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قتله محمد بن طاهر سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) هو أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب ، صاحب أخبار وآداب وأشعار من أهل بغداد ، أخذ عن الجاحظ ومعاصريه ، وأخذ عنه جعفر بن قدامة وآخرون . مات سنة سبع وتسعين ومائتين . « تاريخ بغداد » : ٢١١/١٣ .

كتبَ عبد الله بنُ طاهر إلى المأمون مِنْ خُراسان : بَعُدَتْ داري عن ظلِّ أميرِ المؤمنينَ، وإنْ كنتُ حيثُ تصرَّفتُ لا أتفيَّأُ إلاَّ به، وقد اشتدَّ إلى أمير المؤمنينَ شوْقي لِأرى مَجْلِسَه، وأتشرَّف بخطابه، وأتجمَّل بخدمته، وأنْفَح عقلي مِنْ حُسْنِ أدبه، فلا شيء آثرُ عندي مِنْ قُرْبه، وإنْ كنتُ في سَعَةٍ مِنْ عيشٍ وهبها اللهُ به. فإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ أنْ يأذَنَ لي في المَصيرِ إليهِ لِأُحدِثَ عهداً بالمُنْعِم عليَّ، وأتهنَّأ بالنِّعمَةِ التي أثرها لديَّ، فعلَ مُحسِناً إنْ شاء الله تعالى. فوقَّعَ المأمون في كتابه : قُرْبُكَ يا أبا العبَّاس إليَّ حبيب، وأنتَ مِني حَيثُ كنتَ قريبُ، وإنما بَعدت داركَ نظَراً لكَ، ورَغبةً فيك، وسُموّاً، واتْبعْ قولَ الشاعر :

رَأَيْتُ دُنُوَّ الدّارِ ليس بنافِعٍ إذا لم يكنْ بينَ القلوبِ قريبُ [1]

وقال الشاعر :

وأنْزَلني طُولُ النَّوى دار غُرْبَةٍ إذا شِئتُ لاقَيتُ امرءاً لا أشا كِلُهْ [2]
أحامِقُهُ حتى يقالَ سَجِيَّةٌ ولوْ كانَ ذا عَقْلٍ لكُنتُ أُعاقِلُهْ

وقال أبو الحسن علي بنُ ثَرْوان الكِنْدي [3] :

---

(١) في هامش الأصل : ويروى : « إذا كان ما بين القلوب بعيد ».
(٢) البيتان غير منسوبين في « البيان والتبيين » : ١/٢٤٥، و « عيون الأخبار » : ٣/٢٤.
(٣) هو علي بن ثروان بن زيد بن الحسن الكندي ولد سنة ٥٠٠ هـ أو قبلها -

دَرَّتْ عليكِ غوادي المُزْنِ يا دارُ ... وَلا عفَتْ مِنكِ آياتٌ وَآثارُ
دُعاءُ مَنْ لعِبَتْ أيدي الغَرامِ بِهِ ... وَساعَدَتْهـا صَباباتٌ وأذْكارُ

وقال ذو الرمة :

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عنْ أشياعِهِمْ خَبرا ... أَمْ راجَعَ القلبَ مِنْ أَطْرابِهِ طَرَبُ ؟[١]
أَمْ دِمْنَةٌ نَسَفَتْ عنها الصَّبا سُفَعاً ... كما تُنَشَّرُ بعـدَ الطِّيَّةِ الـكُتُبُ[٢]
لا بلْ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دارٍ تَخَوَّنَها ... مَرٌّ سَحابٌ وَمَرٌّ بارِحٌ تَرِبُ[٣]

ـ وأصله من الخابور ، وقدم بغداد ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وغيره حتى برع ، وكتب بخطه كثيراً من كتب الأدب ودواوين الجاهلية ، وكان يكتب خطاً مليحاً يشبه خط الجواليقي جودة وصحة . انتقل إلى دمشق ، ولقي القبول عند نور الدين الشهيد ، وصار من خاصته ، وتوفي سنة ٥٦٥ هـ أو قريباً منهـا . « معجم الأدباء » : ١٢/٢٧٥ ، و « إنباه الرواة » ٢/٢٣٥ ، وروى البيتين له صاحبا « الوافي » و « الشذرات » .

(١) ديوانه : ٤ . وفي « أساس البلاغة » : أم عاود . والأشياع : الأصحاب قال البغدادي : يقول : أبكاؤك وحزنك بخبر حدث ، أم راجع قلبك طرب .

(٢) في الديوان : « من دمنة . . . » والدمنة : آثار الدار والناس وما سوّدوا ، والسفعة : ما في دمنة الدار من زبل أو رمل أو رماد ، أو قمام متلبد تراه مخالفاً للون الأرض .

(٣) في الديوان : « مراً سحاب ومراً بارح ترب » وفي الشرح : قوله : لا بل ، أي : ليس بكائي من أجل استحداث خبر جديد من الركب ، ولا من طرب ـ

يبدو لعَيْنَيْكَ منهـا وهي مُزْمِنَةٌ نُؤيٌ وَمُسْتَوْقَدٌ بالٍ وَمُحتَطَبُ [١]

دِيارُ مَيَّةَ إذْ مَيٌّ تُساعِفُنـا وَلا يَرَى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

غرَّاءُ تَزْدادُ إبْهاجاً إذا سَفَرَتْ وَتَحْرَجُ العَينُ فيها حينَ تَنْتَقِبُ [٢]

بَرَّاقَةُ الجيـدِ واللَّبَّاتِ واضِحَةٌ كأَنَّها ظَبيَةٌ أَفْضى بها لَـبَبُ [٣]

نَجْلاءُ في بَرَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ كأَنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ [٤]

ـ لحقني ، ولا من الدمنة ، بل من أجل شوق إلى دار فيها ميَّة . تخونها ، أي : نقض عهدهـا ، بارح ترب ، أي : فيـه تراب كثير . والبارح : الريح الحـارة في الصيف .

(١) قوله : وهي مزمنة ، أي : أتى عليهـا زمان ، والنؤي : الحاجز حول الخيمة عن المطر ، ومستوقد : موضع الوقود .

(٢) في الديوان : « تزداد للعين . . . » وحرجت العين : حارت ، وقيـل : معناه : أنها لا تنصرف ولا تطرف من شدة النظر ، والنقاب : القناع على مارن الأنف ، وقد تنقبت المرأة وانتقبت .

(٣) الجيد : العنق ، واللبات : موضع القـلادة ، وأفضى بها : صار بها الى فضاء ، واللبب : ما اســـترق من الرمل ، وقيل : هو اسم مكان معروف في أول الدهناء .

(٤) في الديوان : « كحلاء . . . » والبرج : سعة في بياض العين ، والنعج : البياض الخالص .

لَمياءُ في شَفَتَيْهـا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفي اللِّثاتِ وفي أنْيابِها شَنَبُ (١)

وقال البحتري :

وَما في سُؤالِ الدّارِ إدراكُ حاجَةٍ إذا اسْتَعْجَمَتْ آياتُها أنْ تَكلَّما (٢)

وَتَيَّمَني أنَّ الجَوَى غيرُ مُقْصِرٍ وَأنَّ الحِمى وَصْفٌ لِمَنْ حَلَّ بالحِمى

قيل : كان يونُس بنُ المختار في أَعْلى مرتبة في دار المأمون ، وكان يجلِسُ دُونها ، فقال له الحاجب : يا أبا العبَّاس ! مرْتبَتَك . فقال : قد رفعني إليها أميرُ المؤمنين وليس لي عَمَلٌ يفي بها ، فأنا أُكْرِمُها عن القُعودِ فيها إلى أنْ يتهيَّأَ الشُّكْرعليهـا ، فبلغَ ذلكَ المأمون ، فقال : هذا والله هو الشكر ، وبهِ تدومُ النِّعم .

وقال قيس بن ذريح :

سَقى طللَ الدَّارِ التي أنْتُمُ بهـا حَناتِمُ وَبْلٍ صَيِّفٌ وَرَبيعُ (٣)

---

(١) اللمى : السمرة في الشفة تضرب الى الخضرة ، والحوّة : حمرة في الشفة تضرب الى السواد ، والشنب : برودة وعذوبة في الفم ورقّة في الأسنان ، واللثات : مغرز الأسنان .

(٢) ديوانه : ٤٠١/١ من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، مطلعها :

هَوَيْنَاكَ من لَوْمٍ بحبٍّ تكتّما وقَصْرَكَ نسْتخبر ربوعاً وأرسما

(٣) ديوانه : ١٠٣ . وفي « اللسان » : الحناتم : سحائب سود ، لأن السواد عندهم خضرة ، قال أبو ذؤيب :

وَخَيْماتُكِ اللاّتي بمُنْعَرَجِ اللِّوى ... بَلِينَ بِلىً لم تَبْلَهُنّ رُبُوعُ (١)

مَضى زَمَنٌ والنّاسُ يستشفِعونَ لي ... فهلْ لي إلى لُبْنى الغَداةَ شفيعُ (٢)

إذا أمرَتْني العاذلاتُ بهَجْرِها ... هَفَتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلْنَ صَديعُ (٣)

وَكيفَ أُطيعُ العاذِلاتِ وَحُبُّها ... يُؤرِّقُني والعاذِلاتُ هُجوعُ

وقال جميل بن معمر :

هاجَتْ فؤادَكَ للحبيبةِ دارُ ... أَقْوَتْ وَغَيَّرَ آيَها الأَمْطارُ

وَعفا الرَّبيعُ رُسُومَها فكأَنَّها ... لَمْ يَغْنَ قبلُ بِرَبْعِها دَيّارُ

- سقى أمَّ عمروٍ كلَّ آخر ليلةٍ ... حناتم سُحْمٌ ماؤهن نجيجُ

قلت : وفي الديوان : « حياً ثم وبل صيف وربيع » وذكر محقق الديوان رواية الأصل عن شرح شواهد « المغني » للسيوطي ، ونسبها للتحريف ، مع أنها هي الرواية الجيدة الصحيحة .

(١) في « السمط » : ٣٧٩ : قال ابن دريد : قوله : « لم تبلهن ربوع » والصواب : « لم تبله » ، وله تأويل بعيد يخرّج عليه ، ذكر أبو علي الفارسي في كتاب « التذكرة » أنه أراد : لم تبل بلاهن ربوع ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ، وقال غيره : انما قال : لم تبلهن ، لتشبث البلى بالخيمات كما قال الفرزدق : [صوابه جرير]

لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سورُ المدينة والجبال الخشّع

(٢) في الديوان : « يستشفعون بي » .

(٣) في الديوان : « اذا ما لحاني . . . » وأجن : أكتم ، وصديع : مشقوقة .

لما وَقَفتُ بها القَلوصَ تبادَرتْ مِني الدُّموعُ وهاجني اسْتِعبارُ
ولقد عَلِمتُ على التّكالُفِ أنّهُ تَشقى القُلوبُ وتَغلِبُ الأقدارُ
وإذا حَلَلتُ بذي الأراكِ ودُونَنا عَلَمُ المُرير وجُونَةٌ وتَعارُ (١)
فهُناكَ حينَ تَريثُ عنكِ رسائلي وهُناكَ تُقطَعُ عنكُمُ الأخبارُ
فسقى دِيارَكِ حيثُ كنتِ مِنَ النّوى غَيثٌ أجشُّ ودِيمَةٌ مِدْرارُ

وقال ذو الرُّمة :

خليليَّ عُوجا اليَوْمَ حتى تُسلِّما على دارِ مَيٍّ مِنْ صُدُورِ الرَّكائبِ (٢)
تكُنْ عَوْجَةً يَجْزِيكُما اللهُ عندَهُ بها الأجرَ أوْ تُقضى ذِمامَةُ صاحِبِ (٣)
وَقفنا فسَلّمْنا فرَدّتْ تَحيّةً علينا ولمْ تَرْجِعْ جوابَ المُخاطَبِ
عَصَتْني بها نفسٌ تَريعُ إلى الهوى إذا ما دَعاها دَعوَةً لم تُغالَبِ

وقال أيضاً :

---

(١) « تعار » ضبط في الأصل بفتح التاء ، وفي «معجم البكري» و «معجم ياقوت» بكسرها . وقال البكري : المرير ، بضم أوله وفتح ثانيه على لفظ التصغير : جبل قريب من تِعار ، وتعار : تلقاء المدينة ، قال جميل :

واذا حللت بذي الشبّاك ودوننا علَمُ المُرير وحزنه وتِعار

(٢) ديوانه : ٧٥ ، وفيه : « خليلي عوجا بارك الله فيكما » .

(٣) الذمام : الحق والحرمة .

يا دارَ ميَّةَ بالخَلْصاءِ فالجَرَدِ سُقيا وإنْ هِجْتِ أدنى الشَّوْقِ للكَمَدِ (١)
مِنْ كلِّ ذي لَجَبٍ باتتْ بوارِقُهُ تَجْلُو أغرَّ الأَعالي حالِكَ النَّضَدِ (٢)
مُجَلْجِلِ الرَّعْدِ عَرَّاصاً إذا ارْتَجَسَتْ نَوْءُ الثُّريا بـه أو نَثْرَةُ الأَسَدِ (٣)
أَسْقى الإِلهُ به حُزْوى فجادَ بهِ ما قابَلَ الزُّرْقَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَلَدِ (٤)
أرْضاً معاناً مِنَ الحيِّ الذينَ هُمُ أهْلُ الجِيادِ وأهْلُ المجدِ والعَدَدِ (٥)
كانتْ تَحُلُّ بها مَيٌّ فقد قَذَفَتْ عنَّا بهـا نِيَّةٌ مِنْ طِيَّةٍ قِدَدِ (٦)

(١) ديوانه : ١٩٨ . وأدنى الشوق للكمد ، أي : أقربـه ، والخلصاء والجرد : موضعان .

(٢) في الديوان : « تجلو أغر المعالي » ، وفي الأصل تحت قوله : « حالك النضد » ما نصه : متراكب السحاب . وفي الشرح : قوله : لجب ، أي : الصوت المختلط ، يعني صوت الرعد : أراد سحابا . أغر : أبيض ، وحالك : أسود .

(٣) مجلجل : عظيم الصوت ، عراص : كثير البرق لا يفتر لمعه ، والارتجاس: دوي الرعد . والنثرة : كوكب في السماء كأنه لطخ سحاب حيال كوكبين تسميه العرب نثرة الأسد ، وهي من منازل القمر .

(٤) في الشرح : قوله : جاد به ، أي : بالمطر ، يقال : جدنا فنحن مجودون. والجلد : الأرض الصلبة .

(٥) في الديوان : « أهل الجياد وأهل العدو » والعدو : الشد . والمعان : المباءة والمنزل .

(٦) في الديوان : « عنا به شعبة » وفي الشرح : وقوله : شعبة ، أي : فرقة ، والطيَّة : النية والوجه الذي يتوجهون اليه بقصد . وقدد : مختلفة ومتفرقة .

وقال مُرَقِّش (١) :

هلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفا رَسمُهـا إلّا الأَثافيَّ ومَبْنى الخِيَمْ (٢)

أَعْرِفُهـا دارٌ لِأَسْماءَ فالدْ دَمْعُ على السِّرْبالِ فَيْضٌ سَجَمْ (٣)

أَمْسَتْ خَـلاءً بعد سُكَّانِها مُقْفِرَةً ما إنْ بها مِنْ إرَمْ (٤)

بَعْدَ جميعٍ قد أراهُمْ بهـا لَهم قِبـابٌ وعليهمْ نِعَمْ (٥)

وقال آخر :

---

(١) هو عوف بن سعيد بن مالك بن ضبيعة من بني بكر بن وائل شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان ، عشق ابنة عم له اسمها « أسماء » وقال فيها شعراً كثيراً .

(٢) الأبيات في «المفضليات» : ٢٢٩ ، وفيه : أعرفها داراً ، والأثافي : جمع إثفية بضم الهمزة وكسرها وتشديد الياء ، وهي الحجر توضع عليها القدر ، والخيم : جمع خيمة ، وهي بيت يبنى من عيدان الشجر .

(٣) في « المفضليات » : على الخدين سَحٌّ سَجَمْ . والسح : الصب ، والسجم ، بفتح الجيم : السائل .

(٤) من إرم : من أحد ، وضبطت في الأصل بكسر الهمزة وفتح الراء ، وهي كذلك في « المفضليات » ، وهذا لم يذكر في « المعاجم » وإنما فيها « أرم » بفتحتين وبفتح فكسر .

(٥) في « المفضليات » : عليهم نعم بفتحتين ، أي : تروح عليهم النعم وهي الابل.

هل الرِّيحُ أوْ بَرْقُ الغمامَةِ مُخْبِرٌ ... ضمائِرَ حاجٍ لا أُطيقُ لها ذِكْرا
سُلَيمى سقاها اللهُ حيثُ تصرَّفتْ ... بها غرباتُ الدَّارِ عنْ دارِنا قطْرا
إذا دَرَجتْ ريحُ الصَّبا أوْ تنسَّمتْ ... تعرَّفْتُ مِنْ نجْدٍ وَساكِنِهِ نَشْرا
فقَرَّفَ قَرْحَ القلبِ بعدَ اندمالِهِ ... وَهيَّجَ دَمْعاً لا جَمُوداً ولا نَزْرا

وقال البحتري :

أأَطْلالَ دارِ العامِرِيَّةِ باللِّوى ... سَقَتْ رَبْعَكِ الأَنْواءُ ما فعَلَتْ هِنْدُ [1]
أدارَ الهوى بينَ الصَّريمَةِ واللِّوى ... أما للهوى إلّا رَسيسَ الجوَى قَصْدُ ؟ [2]

وقال أيضاً :

قِفِ العِيسَ قدْ أَدْنى خُطاها كَلالُها ... وَسَلْ دارَ سُعْدى إنْ شَفاكَ سُؤالُها [3]

---

(١) ديوانه : ٢/٧٤٠ من قصيدة يصف فيها الذئب مطلعها :

سلامٌ عليكم لا وفاءٌ ولا عهدُ ... أما لكم من هجر أحبابكم بُدُّ

والعامرية : نسبة إلى قبيلة بني عامر وفيهم ليلى العامرية ، والأنواء ، جمع نوء : المطر ، والنوء : سقوط نجم من المنازل في المغرب وظهور رقيبه ، وهو نجم يقابله في ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط نجم منها وطلع آخر ، قالوا : لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح .

(٢) في الديوان : « أدار اللوى بين الصريمة والحمى » والصريمة : القطعة من معظم الرمل ، والرسيس : الحرقة وثباتها .

(٣) ديوانه : ١/٣٠٠ من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله .

وَما أعرِفُ الأَطلالَ مِنْ بطنِ تُوْضِحٍ   لِطولِ تَعَفّيها ولكنْ أخالُها (١)
إذا قلتُ أُنسى وَصْلَ سُعْدى على النَّوى   تَصَوَّرَ في أقصى الضميرِ خَيالُها
وَقد كُنتُ أرجو وَصلَها عِندَ هَجْرِها   فقد بانَ مِنّي هجرُها وَوِصالُها

وقال أيضاً :

مِيلوا إلى الدّارِ مِنْ ليلى نُحَيّيها   نَعَمْ وَنسأَلُها عَنْ بعضِ أهليها (٢)
يا دِمْنَةً جاذَبَتْها الرِّيحُ بَهجَتَها   تَبيتُ تَنْشُرُها طَوْراً وَتَطويها
لا زِلتِ في حُلَلٍ للغَيْثِ ضافيةٍ   يُنيرُها البَرْقُ أحياناً وَيُسْديها
تَروحُ بالوابِلِ الدّاني رَوائحُها   على رُبُوعِكِ أوْ تَغْدو غَواديها (٣)

وقال ذو الرمة :

ألا يا اسلَمي يا دارَ مَيٍّ على البِلى   وَلا زالَ مُنْهَلّاً بجَرْعائِكِ القَطْرُ (٤)
وإنْ لم تكوني غيرَ شامٍ بقَفْرَةٍ   تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةٌ كُدْرُ (٥)

---

(١) أخال بفتح الألف ، لغة بني أسد ، وهو القياس ، والكسر أفصح وأكثر استعمالاً . انظر « اللسان » مادة خيل .

(٢) ديوانه : ١/٣٤ ، و « الموازنة » : ١/٤٩٩ عدا البيت الأول من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله ، ويصف البركة .

(٣) قال الآمدي : روائحها : يعني السحاب .

(٤) ديوانه : ٢٩٠ . وقوله : على البلى ، أي : اسلمي وإن كنت قد بليت ، والمنهل : الجاري ، يقال : انهل المطر انهلالاً : إذا سال ، والجرعاء والأجرع من الرمل : الكثير الممتد .

(٥) الشام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض ، والأذيال : ماجرته الريح كجر المرأة ذيلها ، صيفية ، رياح الصيف ، الكدر : التي فيها غبرة .

أقامتْ به حتى ذَوَى العُودُ في الثرى ... وَلفَّ الثُّرَيَّا في مُلاءَتِهِ الفَجْرُ [١]

فواللهِ ما أدري أَجولانُ عبرةٍ ... تجودُ بها العَينانِ أَحجى أَمِ الصَّبْرُ [٢]

وفي هَمَلانِ العينِ مِنْ غُصَّةِ الشَّجا ... شِفاءٌ وفي الصَّبرِ الجَلادَةُ والأَجْرُ [٣]

وقال أيضاً :

يا دارَ مَيَّةَ لم يَتْرُكْ لها عَلَما ... تقادُمُ العهدِ والهُوجُ المراوِيدُ [٤]

سُقياً لِأَهلِكِ مِنْ حَيٍّ تَقَسَّمَهُمْ ... رَيبُ المنونِ وَطِيَّاتٌ عباديدُ [٥]

وقال أيضاً :

دنا البَيْنُ مِنْ مَيٍّ وَرُدَّتْ جِمالُها ... وَهاجَ الهوى تَقْوِيضُها واحتِمالُها [٦]

عَرَفتُ لها داراً فأبصَرَ صاحِبي ... صَحيفةَ وجهي قد تَغَيَّرَ حالُها

---

(١) في الديوان : « أقامت به ... وســاق الثريا » وذوى العود : جف ويبس ، والملاءة : بياض الصبح ، شبهه بالملاءة وهي الثوب الأبيض .

(٢) أحجى : أخلق ، يقال : ما أحجى فلاناً بذلك ، أي : ما أخلقه .

(٣) في الديوان : « ... من غصة الهوى .. » .

(٤) ديوانه : ١٨٢ ، والهوج : الرياح تهب بشدة كأنها هوجاء ، والمراويد : التي تجيء وتذهب .

(٥) تقسمهم : فرقهم ، والطيات : واحدها طية ، وهي النية والوجه الذي يقصدونه . عباديد : متفرقات .

(٦) ديوانه : ٦٠٨ ، والتقويض : قلع البناء .

وقلتُ لنفسي في حَياء رَدَدْتُهُ إليها وقـد بَلَّ الجُفونَ بِلالُها (١)

أَمِنْ أَجْلِ دارٍ طَيَّرَ البينُ أهْلَها أَيادِيْ سَبا بعدي وطالَ احتِيالُها (٢)

فُؤادُكَ مَبْثوثٌ عليكَ شُجونُهُ وَعينُكَ يَعْصي عاذِليكَ انهِمالُها (٣)

لقد عَلِقَتْ مَيٌّ بنفسي عَلاقَةً بطيئاً على مَرِّ اللَّيـالي انحِلالُها (٤)

وقال ذو الرمة أيضاً :

أَلا ظَعَنَتْ مَيٌّ فهاتِيكَ دارُهـا بها السُّحْمُ تَرْدي والحَمامُ المُوَشَّمُ (٥)

كأَنَّ أُنوفَ الطَّيْرِ في عَرَصاتِها خَراطِيمُ أَقْلامٍ تَخُطُّ وتَعْجُمُ (٦)

---

(١) البلال : الماء ، ويعني به الدموع .

(٢) في الديوان : « أمن أجل دار صير . . . » واحتال المنزل : مرت عليه أحوال. وبعد البيت :

بوهبين تسنوها السواري وتلتقي بهـا الهُوج شرقيّاتها وشمالهـا

إذا صوَّح الهيفُ السَّفا لعبت به صبا الحافة اليمنى جنوبُ شمالها

(٣) في الديوان : « يعصي عاذليك انهلالها » مبثوث : منتشر ، وشجونه : أحزانه ، وانهلالها : جريها بالدموع كما ينهل المطر . وبعد البيت :

تداويت من ميٍّ بهجران أهلها فلم يَشْفِ من ذكرى طويل خيالها

تُراجعُ منها أسود القلب خطرة بلاء ويجري في العظام امذلالها

(٤) في الديوان : « على مر الشهور » .

(٥) ديوانه : ٦٤٧ ، والسحم : الغربان ، وتردي : تحجل ، والموشم : به وشوم ونقط تخالف لونه .

(٦) قال ابن قتيبة : شبه مناقير الطير بأطراف الأقلام .

أَلا لاأرى مثلي يَحِنُّ مِنَ الهوى ... وَلا مِثلَ هذا الشَّوْقِ لا يَتَصَرَّمُ

ولا مثلَ ما أَلقى إِذِ الحيُّ جيرَةٌ ... على أَثَرِ الأَظعانِ يَلْقاهُ مُسلِمُ (١)

كفى حَزَّةً في النَّفس يا مَيُّ أَنَّني ... وإِيَّاكِ في الأَحْياءِ لا نتكَلَّمُ (٢)

أَدُورُ حواليكِ البُيُوتَ كأَنَّني ... إذا جِئْتُ عن إِتْيانِ بيتِكِ مُحْرِمُ

وقال توبة بن الحميّر (٣) :

نأَتْكَ بلَيلى دارُهـا لاتَزورُها ... وَشَطَّتْ نواها واستَمَرَّ مَريرُهـا (٤)

يقولُ أناسٌ لا يضيرُكَ نأْيُهـا ... بلى كلُّ ما شَفَّ النُّفوسَ يضيرُها

أَليسَ يَضيرُ العَيْنَ أَنْ تُدمِنَ البُكا ... وَيُمْنَعَ مِنها نَوْمُها وَسرورُها

---

(١) في الديوان : « ... إذا الحي فارقوا ولا أثر ... » .

(٢) في الديوان : كفى حزناً .

(٣) هو أبو حرب توبة بن الحمـــير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي ، شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها ، فرده أبوها وزوجها غيره ، فانطلق يقول الشعر مشبباً بها . مات في غزوة أغار بهـا ، قتله بنو عوف بن عقيل سنة ٨٥ هـ .

(٤) الأبيات في « منتهى الطلب » ، و « تزيـــين الاسواق » : ١١٥ ، و « مصارع العشاق » : ٢٨٦/١ ، و « الشعر والشعراء » : ٤١٣ . نأتك : نأت عنك ، وشطت : بعدت ، والنوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد . واستمر : استحكم ، والمرير هنا : العزيمة .

وقال مهيار :

بَكَرَ العارِضُ تَحْدوهُ النُّعامَى   وَسَقاكِ الرِّيَّ يا دارَ أماما [1]
وَتَمشَّتْ فيكِ أرْواحُ الصَّبا   يَتَأَرَّجْنَ بأنفاسِ الخُزامَى
وإذا مَغْنىً خَلى مِنْ زائِرٍ   بعدَما فُورِقَ أوْ زِيرَ لِماما [2]
فقَضَى حُكْمُ الهوى أنْ تُصْبِحي   لِلمُحِبِّينَ مُناخاً وَمُقامَا

أوْرَدَ أبو جَعْفَر محمد بن جرير الطَّبري رحمه الله في كتاب « نسب الصحابة » رضوان الله عليهم عن عثمان بن الأَرْقم أنه كان يقولُ : أنا ابنُ سَبْعِ الاسلام أسلم أبي سابع سَبعة ، وكانت دارُه بمكَّة على الصَّفا وهي الدَّارُ التي كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم يكونُ فيها في أوَّلِ الإسلام ، وفيها دعا النَّاسَ إلى الإسلام ، فأسلَمَ فيها قومٌ كثيرٌ . وقال ليلة الإثنين فيها : « اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأحَبِّ الرَّجُلَيْن إليك : عمر بن الخَطَّاب ، أو عمرو ابن هشام ، فجاء عُمَر رضوان الله عليه مِنَ الغد بُكْرَةً ، فأسْلَمَ في دار الأَرْقم وخرجوا منها ، فكَبَّروا وطافوا بالبيت ظاهرين ودُعِيَتْ دارُ الأَرقم

---

(١) ديوانه : ٣٢٧/٣ . والعارض : السحاب المعترض ، والنعامى : ريح الجنوب ، وهي أبل الرياح وأرطبها .

(٢) المغنى : الربع ، واللمام : الزيارة القصيرة .

دارَ الإسلام وَتَصدَّقَ بهـا الأَرْقم على وَلدِهِ . فقرأتُ نُسْخَـةَ صَدقةِ الأَرقم بداره :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما قَضى الأَرْقَمُ في رَبْعِهِ ما حازَ الصَّفا أنَّها صدقة بمكانها مِنَ الحَرَم لا تُباعُ ولا تُورَّث . شَهِدَ هِشامُ بنُ العاص وفلان مولى هِشام بن العاص ، قال : فلم تَزلْ هذه الدّارُ صدقةً قائمةً ، فيها وَلدُه يسكنونَها ويُؤاجِرونَ [ويأخذون] عليها حتى كانَ زَمَنُ أبي جعفر المنصور . قال يحيى بن عمرانَ بن عُثمان بن الأَرقم : إِنِّي لَأَعْلَمُ اليومَ الذي وَقعتْ في نفس أبي جعفر ، وذاكَ أنَّه كانَ يسعى بينَ الصَّفا والمروة في حجة حجَّها ، ونحنُ على ظهر الدَّار في فسْطاط فيمُرُّ تحتنا ولو أشاءُ أن آخذَ قلنسوةً [1] عليه لَأَخذْتُها ، وإنَّهُ لَيَنْظُرُ إليناً مِنْ حينَ يَهْبِط بطنَ الوادي حتى يَصعَدَ إلى الصَّفا ، فلما خرَجَ محمدُ بن عبد الله بن حسن رضي الله عنه بالمدينة كان عبدُ الله بن عثمان بن الأَرْقم ممن بايعه ، ولم يخرج معه ، فتعلَّق عليه أبو جعفر بذلك ، فكَتبَ إلى عامِلِهِ بالمدينة أنْ يحبسه ويطرَحَهُ في حديد ، ثم بعث رَجُلاً مِنْ أهل الكوفة يُقال له : شِهابُ بنُ عبدِ رَب ، وكتبَ معه إلى عامله بالمدينة أنْ يفعلَ ما يأمُره به . فدخلَ شِهابٌ على عبد الله بن عثمان بن الأَرقم الحَبْسَ وهو شيخٌ كبير ابنُ بضعٍ وثمانين

(١) في « المستدرك » : لو أشاء أن آخذ قلنسوته لأخذتها .

سنة وقد ضَجِرَ بالحديدِ والحبس ، فقال له : هل لكَ أن أُخلِّصَكَ ممّا أنتَ فيه ؟ تَبيعُني دارَ الأرقم ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يُريدُها ، وعسى إنْ بعته إيّاها أنْ أُكلِّمه فيك ، فيعفو عنك . قال : فإنّهـا صَدَقةٌ ولكن حَقّي منها له ، ومعي فيها شركاءُ إخوَتي وغيرُهم . فقال : إنّما عليكَ بنفسِكَ ، فأعطِنا حقَّك وبَرِئت . فأشهَدَ لهُ ، وكتبَ عليه كتابَ شِراء على سبعة عشر ألفِ دينار ، ثم تتبَّع إخوَتهِ ، ففتَنَهُم بكثرَةِ المال ، فباعوه ، فصارت لأبي جعفر ، ولِمَنْ أقطعَها ، ثمَّ صَيَّرَهـا المهديُّ للخيزران أُمِّ موسى وهارون ، فعُرِفَتْ بها . ثم [صارت] لجعفر بن موسى الهادي . ثم اشترى عامَّتَها أو أكثرها غسانُ بنُ عُبادَةَ مِنْ وَلَدِ جعفر بن موسى [1] .

وقال أبو العلاء بن سليمان :

فيا بَرْقُ ليسَ الكَرْخُ داري وإنّما رَماني إليهِ الدّهرُ منذُ ليالِ [2]

---

(١) الخبر بطوله رواه الحاكم في « المستدرك » ٣/٥٠٢ ، ٥٠٣ وفي سنده الحسين بن الفرج والواقدي، وهما ضعيفان ، وانظر ترجمة الأرقم بن أبي الأرقم في « الاصابة » ١/٤٢ .

(٢) « شروح سقط الزند » ١١٩٥ من قصيدة قالها ببغداد يذكر حنينه إلى وطنه مطلعها :

طربن لضوء البارق المتعالي ببغدادَ وهناً ما لهُنَّ ومالي

قال البطليوسي : أراد أن البرق لما لمع من شق الشام كان كأنه قد استدعاه ـ

فهلْ فيكَ مِنْ ماءِ المعرَّةِ قَطْرَةٌ ... تُرَوّي بها ظَمآنَ ليس بسالِ
فليتَ سَنيراً بانَ مِنْهُ لِصُحْبتي ... بِرَوْقَيْ غزالٍ مثلُ قَرْنِ غزالِ [1]

وقال أيضاً :

متى يَنْزِلِ الحيُّ الكِلابيُّ بالِساً ... يُحيِّيكَ عنَّا ظاعِنونَ وقُفَّالُ [2]
تحيَّةَ وُدٍّ ما الفُراتُ وماؤُهُ ... بأَعْذَبَ منها وهو أزرقُ سَلْسالُ [3]

- إليه بلمعانه ، وعنفه على تركه الرجوع إلى أوطانه ، فقال : لا تحسب أيها البرق أني اتخذت الكرخ داراً ، ورضيته لنفسي قراراً ، وإنما أنا مزمع للرحيل منه ، متوجع لفراق الشام غير سال عنه .

(١) في « شروح سقط الزند » : مثل روق غزال . وسنير : جبل بالشام في طريق العراق ، وقرنا غزال : موضع في طريق العراق على شط الفرات . قال الخوارزمي : تمنى أن يظهر لأصحابه وهم بقرني غزال من هذا الجبل الكائن بقرب الشام مثل قرن الظبي شيء يسير ، فتقر بقرب الوطن عيونهم ، وتهدأ بتولي السفر نفوسهم .

(٢) « شروح سقط الزند » ١٢٢٣ . وفي الخوارزمي : « يحيّيك » بالجزم وهو أفصح . بالس : مدينة على شط الفرات ، والظاعنون : المسافرون ، والقفال: الراجعون من السفر ، قال البطليوسي : يقول : إذا نزل حيك ببالس ، فقربت من ديارنا ، أهدينا إليك التحية مع من ظعن من عندنا نحوك ، ومع من ورد علينا من قبلك ثم قفل إليك .

(٣) في « السقط » بعد البيت :

فان زعموا أن الهجير استَشَفَّهم ... إليها فمنها في المزايد أسمال
أتعلم ذات القُرطِ والشَّنفِ أنني ... يُشَنِّفُني بالزأر أغلبُ رئبالُ

فيا دارَها بالحَزْنِ إنَّ مَزارَها قريبٌ ولكنْ دونَ ذلك أهوالُ

وقال أحمد بن أبي خَيْثَمة [١] :

وليس تنائي الدَّارِ للصَّبِ ضائراً إذا لم يَكُنْ بينَ القُلوبِ بعيدُ [٢]
ولكِنَّ قُرْبَ الدَّارِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ على البُعْدِ مِنْ قلبِ الحبيبِ شديدُ

وقال أبو حكيمة راشد بن اسحاق [٣] :

ومُستَوْحِشٍ لم يُمْسِ في دارِ غُرْبَةٍ ولكنَّـه مِمَّنْ يُحِبُّ غريبُ
طواهُ الهوى واسْتَشْعَرَ الهجْرَ إلْفُهُ وشَطَّتْ نواهُ والمزارُ قريبُ

وقال آخر :

هذا هو الصَّبْرُ لا الصبْرُ الذي سَلَفا لمَّـا دَنتْ دارُ مَنْ يَهوى ومَنْ ألِـفا
قدْ كانَ في البُعْدِ إذْهالٌ لِذي كَلَفٍ لكنَّ في القُرْبِ ما أغْرى به الـكَلَفا

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة بن زهير بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي ، مؤرخ من حفاظ الحديث ، كان ثقـــة ، راوية للأدب ، بصيراً بأيام الناس ، من تصانيفه « التاريخ الكبير » . قال الدارقطني : لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه . « تاريخ بغداد » ١٦٢/٤ .

(٢) ضائراً في الأصل : ضائر .

(٣) أورده ابن المعتز في « طبقات الشعراء » ٣٨٩ ، وقال : كان بينه وبين ابن الزيات مودة عجيبة ، وأنس كثير ، ثم ذكر المختار من شعره . والبيتان في « زهر الآداب » ٦٥٥/٢ .

وقال سعيد بن حُمَيْد [١] :

إذا نائِلٌ شَطَّتْ بها الدّارُ مَرَّةً فلستُ على شيءٍ مِنَ الدَّهرِ أَشْفَقُ
ولم يُبْقِ مِنّي حبُّها غيرَ مُهجَةٍ تذوبُ وقلبٍ خَشْيَةَ الهجْرِ يَخْفِقُ

وقال أبو الفتح الحسنُ بنُ عبدِ الله بن عبد الجبّار بن أبي حُصَيْنَةَ السُّلَمي :

لو أنَّ داراً أَخْبَرَتْ عن ناسِها لسألتُ رامَةَ عنْ ظِباءِ كِناسِها [٢]
بلْ كيفَ تسألُ دِمْنَةً ما عِندَها عِلْمٌ بوَحْشَتِها ولا إيناسِها [٣]
مَمْحُوَّةُ العَرَصاتِ يشغَلُها البِلَى عَنْ ساحِباتِ الرَّيْطِ فوقَ دِهاسِها [٤]
بيضٌ إذا انصاعَ النَّسيمُ مِنَ الصَّبا خِلْناهُ ما ينْصاعُ مِنْ أنفاسِها
يا صاحِبَيَّ سقى منازِلَ جِلَّقٍ غَيْثٌ يُرَوِّي مُمْحِلاتِ طِساسِها
فرواقَ جامِعِها فَبابَ بَرِيدِها فَمشارِبَ القَنَواتِ مِنْ باناسِها [٥]

---

(١) سبقت ترجمته ١/١٨٣ في التعليق رقم ٤ .

(٢) ديوانه : ٣٥٤ ، والأبيات العشره الأول في « تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٤/١٨٧ ، وما عدا الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن في « معجم الأدباء» ١٠/١١٤ ، ١١٥ .

(٣) في « معجم الأدباء » : بل كيف تخبر دمنة . . .

(٤) في « معجم الأدباء » : ممحوة العرصات يشملها ... عن ساحبات المرط ...

(٥) باب البريد : من أبواب مسجد دمشق ، والقنوات : أحد أنهار دمشق أو أقنيتها الكبرى ، وباناس : من أنهار دمشق .

فلقد قَطَعْتُ بها زماناً لِلصِّبى والَّلهْوُ مُخضَرٌّ كخُضْرَةِ آسِها
مَنْ لي بِرَدِّ شَبيبةٍ قَضَّيْتُها فيها وفي حِمصٍ وفي مِيماسِها (١)
وزمانِ لَهوٍ بالمعَرَّةِ مُونِقٍ بسياثِها وبِجانبي هِرْماسِها (٢)
أيامَ قُلْتُ لِذي المودَّةِ سَقِّني مِنْ خَنْدَريسِ حُناكِها أوْ حاسِها (٣)
حَمراءَ تُغْنينا بساطِعِ نُورِها في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ عَنْ نِبْراسِها
رَقَّتْ فما أدْري أَكاسُ زُجاجِها في جِسمِها أمْ جِسمُها في كاسِها

كان هذا الشاعِرُ ابن أبي حُصَيْنَة مدَّاحاً للأمير تاج الأمراء معزّ الدولة أبي العلوان ثُمال بن أسدِ الدّولة صالح بن مرداس (٤)، فامتدحه بقصيدةٍ شكا فيها كَثْرَةَ أولادِه، وكان له أربعة عشر ولداً أوّلُها :

---

(١) في « معجم ياقوت » : الميماس : نهر الرستن وهو العاصي بعينه .

(٢) سياث : بليدة بظاهر المعرة وهي القديمة، والمعرة اليوم محدثة، والهرماس: سيل يجتمع من المطر الذي يصب فوق الجبال والهضاب، ثم ينحدر إلى أودية يضاف بعضها إلى بعض . انظر « تاريخ المعرة » : ٤٢٤ للجندي .

(٣) قال ياقوت : حناك : حصن كان بالمعرة وكان مكيناً، خربه عبد الله ابن طاهر سنة ٢٠٩ فيما خرب من حصون الشام لما عصى نصر بن شبث، وحاس: في أرض المعرة .

(٤) انظر ترجمته وأخباره في « زبدة الحلب » ١/٢٥٥، ٢٨٨ لابن العديم وابن الأثير : ٩/٧٩، وابن خلدون : ٤/٢٧٣ .

سَرى طَيفُ هِنْدٍ والمطِيُّ بنا يَسْري ... فأخفى دُجى ليلٍ وأبدى سَنا فَجْرِ (١)

يقول فيها :

جَنَيْتُ على نفسي بنفسي جِنايَةً ... فأثقَلْتُ ظهري بالذي شَبَّ مِنْ ظَهري (٢)

عِدادُ الثُّريا مِثلُ نِصفِ عِدادِهِمْ ... ومَنْ نَسْلُهُ ضِعْفُ الثُّرَيَّا مَتى يُثْري؟ (٣)

وأخشى اللَّيالي الغادِراتِ عليهم ... لِأَنَّ اللَّيالي غيرُ مأمونَةِ الغَدْرِ

ولي منكَ إِقْطاعٌ قديمٌ وحادِثٌ ... تَقَلَّبْتُ فيه تحتَ ظِلِّكَ مِنْ عُمْري

وما أنا بالمَمْنوعِ منهُ ولا الذي ... أخافُ عليه منكَ حادِثَةً تجري

ولكنَّني أبْغيهِ مُلْكاً مُخَلَّداً ... خُلودَ القوافي الباقياتِ على الدَّهرِ

والقصيدة طويلة ما اقتضى التأليفُ ذِكرَها بأسرها . فلما سَمِعها معزُّ الدَّولة أمرَ بإحضارِ شُهودٍ أَشْهَدَهُم بتمليكه أبا الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبّار بن أبي حُصينة ضيعتين مِنْ أعمال حلب.

---

(١) ديوانه : ٣٥٠ ، وهي في « معجم الادباء » ٩٥/١٠ و « فوات الوفيات » ٢٤٠/١ ، وذكر أنها قيلت في أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس .

(٢) ذكر ابن العديم في « زبدة الحلب » ٢٧١/١ هذه الأبيات الستة ، وقال: إن الشاعر قالها في ثمال بن صالح ، لا في أخيه عطية كما يذكر ياقوت والكتبي.

(٣) نجوم الثريا : سبعة ، وعداد أولاده أربعة عشر ، فعداد نجوم الثريا مثل نصف عداد أولاده .

ومَنْبِج ، فأثرى وحَسُنتْ حاله ، وعَمَّر بحلب داراً عند حَمّام الواساني [١] ، وكتبَ على إزارِ رَوْشَنِها :

دارٌ عَمَرْناها وعِشنا بهَا في نِعْمَةٍ مِنْ آل مِرْداسِ [٢]
قومٌ مَحَوْا بُؤْسي ولم يتْرُكُوا عَليَّ للأَيامِ مِنْ باسِ
قُلْ لبني الدُّنيا أَلا هكذا فليَفْعَلِ النَّاسُ مع النَّاسِ

وقال ابن نباتة [٣] :

---

(١) حمام الواساني : منسوب إلى بني الواساني أو بني واسانة، وهم أسرة قديمة في حلب منهم الشاعر أبو القاسم الحسين بن الحسن بن واسانة بن محمد الوساني (٠٠ - ٣٩٤ هـ) الشاعر الذي ترجمه الثعالبي في « يتيمة الدهر » : ١/٢٩٥ ، وياقوت في « معجم الادباء » : ٩/٢٣٣ ، ٢٦٥ . وذكر الغزي أن هذا الحمام جار في أوقاف الحاج موسى قرب خان الوزير وقد درست اليوم . راجع « نهر الذهب » ٢/١٩١ للغزي ، و « زبدة الحلب » لابن العديم ١/٧٦ ، ٢٧٢ .

(٢) الابيات في « زبدة الحلب » ١/٣٧٢ ، و « فوات الوفيات » ١/٢٤١ ، و « أعلام النبلاء » ١/٣٢٧ .

(٣) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباته التميمي السعدي من شعراء سيف الدولة بن حمدان واتصل كذلك بابن العميد ومدحه ، ولد سنة ٣٢٧ ، ومات ببغداد سنة ٤٠٥ هـ . قال التوحيدي في « الامتاع والمؤانسة » ١/١٣٦ : شاعر الوقت ، حسن الحذو على مثال سكان البادية ، لطيف الائتمام بهم ، خفي المغاص في واديهم ، ظاهر الاطلال على ناديهم ...

يا دارُ بينَ الرَّقتينِ وبابلٍ ... شُقَّتْ عليكِ مِنَ السَّحابِ جُيوبُ
وأطاعَ تُرْبَكِ وابلٌ مُتَعَمِّدٌ ... مِنْ أنْ تُزَعْزِعَهُ صَباً وجَنوبُ
يا حَبَّذا ماءُ الفُراتِ لوَ أنَّهُ ... يَشفي غليلَ الشَّاربِ المشروبُ

وقال آخر :

سقى الله داراً لي وأرضاً تَرَكْتُها ... إلى جَنْبِ داري مَعْقِلٍ وَيسارِ
أبو مالكٍ جارٌ لهـا وابْنُ بُرْثنٍ ... فيالكَ جارَيْ ذِلَّةٍ وَصَغـارِ

وقال آخر :

إنَّ جارَ السَّوْءِ حِمْلٌ فادِحٌ ... فاسْتَعِذْ باللهِ مِنْ سُوءِ الجِوارِ
ما لِجارِ السَّوْءِ عِنْدي حِيلَةٌ ... في جميعِ الأرْضِ إلَّا بَيْعُ داري

وقال عيسى بنُ القانسي في دارِ اسماعيل بن بلبل :

أيا داراً تَفيضُ بكُلِّ خَيْرٍ ... وفيها كلُّ شَهَواتِ المريضِ
تَرَقَّيْ في السَّماءِ وَلا تَمَلِّي ... فكَمْ أبصَرْتُ مِثْلَكِ في الحَضيضِ
وكوني كيفَ شِئْتِ فأنتِ عندي ... وعندَ النَّاس مِنْ دورِ القبوضِ

وقال آخر :

إنَّا رأيْنا حِجاباً مِنْكَ أغْرَضَنا ... فلا يكُنْ ذُلُّنا فيه لكَ الغَرَضا [1]
إسْمَعْ مقالي ولا تَغْضَبْ عليَّ فما ... أبْغي بنُصْحِكَ لا مالاً ولا عَرَضا

---

(١) في « اللسان » : غرض : ضجر وقلق ، وقـد غرض بالمقام يغرض غرَضاً وأغرضه غيره .

فِي هذه الدَّارِ في هذا المكانِ على هذا السَّريرِ رأيتُ العزَّ فانْقرضا

وقال عليُّ بنُ بسَّام (١) في أبيه وقد عَمَّر له داراً :

شِـدْتَ داراً خِلْتَها مَكْرُمَةً سَـلَّطَ اللهُ عليهـا الغَرَقا
وأرانيكَ صَريعاً وَسْطَهـا وَأرانيهـا صَعيداً زَلَقـا (٢)

وقال أبو الهندي (٣) :

(١) هو أبو الحسن علي بن بسام الأديب الكاتب المؤرخ صاحب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، ترجم له ياقوت في « المغرب » ٤١٧/١ ، وفي « معجم الأدباء » ٢٧٥/١٢ ، والمقري في « النفح » ٣٠٩/٢ توفي سنة ٥٤٢ هـ .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ، وزلقا : ملساء ليس بها شيء .

(٣) قد اختلف في اسمه ففي « الكامل » و « الشعر والشعراء » و « السمط »: عبد المؤمن ، وفي « الأغاني » و « الفوات » : غالب ، وفي « طبقات الشعراء » : عبد الله بن ربعي . وهو كما في « الأغاني » غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي : شاعر مطبوع ، جزل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني ، وانما أخمل ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان، وهو أول من تفنن في وصف الخمر من شعراء الاسلام ، واستفرغ شعره في وصفها ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ترجمته وأخباره في « الأغاني » ٢٩٣/٢٠ ، و « الشعر والشعراء » ٦٦٢/٢ ، و « طبقات الشعراء » ١٣٦ ، و « فوات الوفيات » ٢٤٠/٢ .

وَلو أنَّ لي داراً يَحِلُّ دُخولَها ... لَمتَّعْتُكُم بالعَزْفِ فيها وبالخَمْرِ

ولكنَّني في دارِ سَوْءٍ كأنَّها ... بقيَّةُ ناووس على ساحِلِ البحرِ (١)

أؤدي إلى مَنْ عَجَّلَ اللهُ موتَهُ ... لأدْفِنَهُ فيها ثلاثينَ في الشَّهرِ

وقال آخر :

جمالُ الدَّارِ بالإطعا ... مِ لا بالفَرْشِ والنَّقْشِ

وما للدَّارِ مِنْ فَضْلٍ ... وَلو شَيْدَتْ إلى العَرْشِ

وقال معاوية بن قرة المنقَري :

إذا خِفْتَ من أمْرٍ فواتاً فوَلِّهِ ... سِواكَ وعنْ دار الأذى فتَحَوَّلِ (٢)

فما المرءُ إلَّا حيثُ يجعلُ نفسَهُ ... ففي صالح الأعمالِ نفسَكَ فاجْعلِ

وقال ابنُ سارة المغربي :

مُقامُ حُرٍّ بدارِ هُوْنٍ ... عَجْزٌ لعَمْري مِنَ المُقيمِ

إرْحَلْ فإنْ لم تَجِدْ كريماً ... فَمِنْ لئيمٍ إلى لئيمِ

---

(١) الناووس في الأصل : الناورس ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، قال صاحب « شفاء الغليل » : الناووس : بمعنى القبر ، قاله ياقوت ، وفي « اللسان » : مادة نوس : مقابر النصارى ، ان كان عربياً ، فهو فاعول منه .

(٢) البيتان في « الحماسة البصرية » ورقـة ١٤٠ منسوبان لأبي المَيَّاح العبدي وفيها بعد البيت :

ولا تك ممن يُغلِقُ الهمُّ بابَه ... عليه بمِغْلاقٍ من العجز مُقْفَلِ

قال بعضهم : اجتزتُ ببابِ دارٍ وإذا لها حشٌّ مفتوح وفيه كسَّاح وهو يترنَّم :

وإيَّاكَ والسُّكنى بدارِ مَذلَّةٍ تُعدُّ مُسيئاً فيه إنْ كُنْتَ مُحسِنا
ونفسكَ أكْرِمْها فإنْ ضاقَ مَسكَنٌ عليكَ بها فاطْلُبْ لنفسكَ مَسكَنا

قال : فاطَّلَعتُ إليهِ ، وقلتُ : وهلْ فوقَ ما أنتَ عليه مَنْزِلَةٌ للهوان ؟ فقال : نعم مَسأَلَةُ سِفْلَة النَّاس أَهونُ مِمّا أنا فيه ، وأنا أغنى النَّاس . قال : فأفحَمني وأعجبني .

وقال آخر :

إذا قَلَّ إنْصافُ الفتى لصديقِهِ على غير معروفٍ فلا لَوْمَ في الهَجْرِ
وما النَّاسُ إلَّا مُنصِفٌ في مودَّةٍ وإلَّا مُعينٌ للصَّديق على الدَّهرِ
وإنَّ مُقامَ الحُرّ في دارِ ذِلَّةٍ ليَصْرِفَ عنه الفقرَ شرٌّ مِنَ الفَقْرِ

وقال ابن المعتز :

إنِّي غريبٌ بدارٍ لا كِرامَ بها كَغُرْبَةِ الشَّعْرَةِ السَّوْداءِ في الشَّمَطِ [١]
ما أُطلِقُ العينَ في شيءٍ تُسَرَّ به ولستُ أُبدي الرِضى إلَّا على سَخَطِ

وقال بعض العرب في امرأته :

(١) ديوانه : ١٩٤ . والشمط : الشيب .

سقى اللهُ داراً فرّقَ اللهُ بيننا وَبينكِ فيها وابلاً سَبَلَ القَطْرِ
ولا ذَكرَ الرَّحْمنُ يوْماً وليلَةً مَلَكْناكِ فيها لم تكنْ ليلةَ القَدْرِ

وقال آخر :

صَبْرُ الأَديبِ على الهوانِ مذَلَّةٌ ما للأَديبِ يُرى بدارِ هَوانِ
أرضُ الإلهِ لخلْقِهِ مَبسوطَةٌ والرِّزْقُ مَقْسومٌ بكُلِّ مَكانِ

وقال آخر :

وَمِثْلي إذا ما الدّارُ يَوْماً نبَتْ به تَحَوَّلَ عنها واسْتَمَرَّتْ مرائِرُهْ
إذا أنتَ لم تغْبطْ بدارٍ سَكَنْتَها فبِعْها بأُخرى أو بجارٍ تُجاوِرُهْ

وقال آخر :

لأُوْطِنُ الدّارَ إيطانَ البعيرِ إذا كانتْ حوادِثُ فيها لا تُواتِيني
أَكُلَّما أَخْطأَتْ يوماً بذي قدَمي هَوَيْتُ عندَكَ في زَوْراءَ تُرْديني

وقال آخر :

وليسَ اقْتِنائي سَمَرْقَنْدَ مَحَلَّةً ودارَ مُقامٍ لِاخْتيارٍ ولا رِضى (١)
ولكنَّ قلبي حلَّ فيها فعاقَني وأَقْعَدَني بالصغْرِ عن فسحَةِ الفَضا
وإني مِمَّنْ يرْقُبُ الدَّهرَ راضِياً بيومِ سُرُورٍ غيرَ مُغْرىً بما مَضى

---

(١) « لاختيار » : كذا الأصل ، ولعلها باختيار .

وقال آخر :

أُحِبُّ الدَّارَ تسكُنُها سُلَيمى   وإنْ كانتْ تُواديها الجُدُوبُ
وما دَهري بِحُبِّ تُرابِ أرْضٍ   ولكنْ مَنْ يَحُلُّ بها حَبيبُ

وقال عنترةُ بنُ شدَّاد العبسي :

هلْ غادَرَ الشُّعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ   أمْ هلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعد تَوَهُّمِ (١)

ردمت الشيء : إذا أصلحته ، يقول : ما ترك الشعراء من معنى إلّا وقد سُبقوا اليه .

يا دارَ عَبلَةَ بالجِواءِ تَكَلَّمي   وعِمي صَباحاً دارَ عبلةَ واسْلَمي (٢)
ولقد حَبسْتُ بها طويلاً ناقتي   أَشكو إلى سُفْعٍ رواكِدَ جُثَّمِ (٣)

---

(١) الأبيات في « شرح القصائد العشر » ١٧٢ للتبريزي ، و «شرح القصائد السبع» ٢٩٤ لابن الأنباري من معلقته المشهورة . ومتردم : موضع يسترقع ويستصلح لوهنه ووهيه ، ويروى: « مترنم » من الترنم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول : هل تركوا مقالاً لقائل ، أي : فناً من الشعر لم يسلكوه .

(٢) قال ابن الأنباري : الجواء : بلد يسميه أهل نجـــد : جواء عدنة ، والجواء أيضاً : جمع جو ، وهو البطن من الارض الواسع في انخفاض .

(٣) سفع : جمع سفعاء ، أي : سوداء تضرب إلى الحمرة ، ورواكد : جمع راكدة ، وهي المقيمة الساكنة ، وجثم : جمع جاثمة وهي اللاطئة بالارض الثابتة فيها ، يريد بها : الاثافي .

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ ... أقوى وأقفَرَ بعـدَ أُمِّ الهَيثَمِ (١)

وقال جرير بن عطية :

لِمَنْ رَسْمُ دارٍ هَمَّ أَنْ يَتَغَيَّرا ... تَراوَحَهُ الأَرواحُ والقَطْرُ أَعصُرا (٢)

وكُنّا عَهِدْنا الدّارَ والدّارُ مَرّةً ... هيَ الدّارُ إِذْ حَلَّتْ بها أُمُّ يَعمُرا

ذَكَرْتُ بها عَهداً على الهَجْرِ والقِلى ... ولا بُدَّ للمَحزونِ أَنْ يتذَكَّرا

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَفي رَسمِ دارٍ دارِسٍ أنتَ واقِفُ ... بقاعٍ تُعَفّيهِ الرياحُ العواصِفُ ؟ (٣)

وَقفتُ بها لا مَنْ أُسائِلُ ناطِقٌ ... وَلا أنا إِذْ لم تَنطِقِ الدّارُ صادِفُ (٤)

ولا أنا عَمَّنْ يألفُ الدّارَ ذاهِلٌ ... ولا التَّبلُ مردودٌ ولا القلبُ عازِفُ (٥)

وقال حارثة بن بدر الغُداني (٦) :

---

(١) أقوى وأقفر : خلا ممن كان يسكنه ، وأم الهيثم : كنية عبلة .

(٢) ديوانه : ٢٤٠ ، وفي « النقائض » : ربع دار . والاعصر : الدهور ، يريد : أن القطر يتراوحه مرة ، والرياح تتراوحه أخرى .

(٣) ديوانه : ٤٦٤ .

(٤) في الديوان : « ولا أنا إن لم ينطقِ الرسمُ صارف » .

(٥) في الديوان : « يألف الربع » وتبله : أفسد عقله ، وقوله : ولا القلب عازف ، أي : منصرف عنها .

(٦) هو حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني ، قال أبو الفرج : كان ـ

سَلِّمْ على الدَّارِ أقْوَتْ بعدَ آبادِ قَفْراً بطارِفِ أعلى ذاتِ إِمْهادِ
الدَّار لم يَبْقَ منهـا رَيْثما لقيَتْ إلّا مَضـارِبَ أطْيابٍ وأوْتادِ
كأنَّها بالفيافي يَوْمَ مَطلَعِهـا مِنْ بَطنِ ذاتِ السَّنا أخْلاقُ أبْرادِ
فـا تَبَيَّنْتُها حتى وَقَفْتُ بهـا وطالَ بالطَّرْفِ إفراعي وإصْعادي
فانْهَلَّتِ العينُ مِنْ عِرْفانِها سَكَباً نَضْحَ السُّقاةِ لِجَمٍّ ماءَ أعْدادِ
فظَلْتُ كالشَّاربِ النَّشوانِ مُحْتَبِساً يَوْماً طويلاً على عَنْسٍ وأقْتـادِ
أُراسِلُ الطَّرْفَ وَهْناً ثُمَّ أعْطِفُهُ في مُتَشتّى وَمُصْطـافٍ ومُرْتادِ
إذْ لا النَّوى بينَ أهْلينا مُفَرِّقَةٌ ولا المُكتَّمُ مِنْ أسْـرارِنا بادِ

وقال آخر :

دارٌ عَلا دُورَ المُلوكِ بهاؤُها كَعُلوِّ صاحِبِها على الأمْلاكِ
فكأنَّها مِنْ حُسْنِها وَعُلوِّهـا بُنِيَتْ قواعِدُهـا على الأفلاكِ

وقال رجلٌ مِنْ عَبسٍ مِنْ أهلِ الكوفةِ تَحوَّلَ إلى أخوالِهِ جُعف :

ـ من لدات الأحنف بن قيس ، قال ابن حجر : فان يكن كذلك فقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، له أخبار في الفتوح ، وذكر المبرد في « الكامل » أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق وذلك سنة ٦٤ هـ . ترجمته وأخباره في « الاغاني » ٢٣/٤٤٤ ، و « زهر الآداب » ٩١٤ ، و « تهذيب ابن عساكر » ٣/٤٣٠ ، و « الاصابة » ١/٣٧٠ .

لَمَّا نَبتْ داري نَبوْتُ بها   فتركتُها وَنَزَلتُ في جُعْفِ
فحَلَلْتُ في عِزٍّ وتَكرُمَةٍ   بمَحَلِّ بينَ العينِ والأَنفِ

هـذا مِنْ قول النبي صلى الله عليه وسلم : « عمَّارُ : جِلْدَة ما بينَ عيني وأنفي [1] » .

* * *

(١) في الاصل تحت كلمة « عمار » ما نصه : يعني عمار بن ياسر رحمه الله.

فصـــل

في ذكر المساكن والمحل والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات

المساكن

قال أبو العتاهية :

جَمَعوا فما أكَلوا الذي جَمَعُوا ... وبَنَوْا مساكِنَهم فما سَكَنوا [1]

وكأنَّهم كانوا بها ظُعُناً ... لما اسْتراحُوا ساعَةً ظَعنوا

رويَ عن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه : أَنَّه أشْرَفَ على أهل حِمْصَ فقال : أَلَا تَسْتَحيونَ تبنونَ ما لا تسكُنونَ ، وتأْمُلونَ ما لا تُدرِكونَ ، وتَجْمعونَ ما لا تأكُلونَ ، أيْنَ الذينَ بنوا قبلكُم تشييداً ، وجَمَعوا كثيراً ، وأمَّلوا بعيداً ؟ أصبحتْ مساكِنُهُم قُبوراً ، وآمالُهم غُروراً ، وجَمْعُهم بوراً .

وقال أبو العلاء بن سُليمان المعري :

سَكَنْتُكِ يا دُنيا برَغْمي مُكْرَهاً ... وما كانَ لي في ذاكَ صُنْعٌ ولا أمْرُ

وَجرَّبْتُ حتى قد قَتَلْتُكِ خِبْرَةً ... فأنتِ وِعاءٌ حَشوُه الهَمُّ والوِزْرُ

وقال الله تباركَ وتعالى : (وإذْ يَرْفَعُ إبْراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ

(١) تقدم ذكر الفصل ، وشعر أبي العتاهية ، وخبر أبي الدرداء ، وبيتا أبي العلاء ص : ٣٣٩ .

وإسماعيل) [البقرة : ١٢٧] . أوَّلُ مَنْ دَلَّهُ اللهُ عز وجل على مَكان البيت بعد آدم إبراهيم عليهما السلام ، وهو أولُ مَنْ بناهُ معَ إسماعيل عليه السلام ، وأوَّلُ مَنْ حَجَّهُ وإنَّما كانوا قبلَه يُصلُّونَ نحوه ولا يعرفونَ مكانه .

واختلفوا في سبب بنائِهِ عند ابتداء الخَلْق على قولين . أحدُهما : ما رواه محمد بن علي عن أبيه رضوان الله عليهما ، أنَّ الله تعالى وضع تحت العَرْش بيتاً على أربع أساطين ، وسَمَّاه الضُّراحَ ، وهو البيتُ المعمورُ ، وقال تعالى لِلملائِكةِ عليهم السلام : « طُوفُوا به » ، ثمَّ بعثَ ملائِكَتَه عليهم السلام فقال : « ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثالِهِ وقَدْرِهِ » وأمرَ مَنْ في الأَرض مِنْ خلقه أن يطوفوا به .

والثاني ، ما رُوي عن ابن عباس رضوان الله عليهما قال : لَمَّا أُهْبط آدمُ عليه السلَام مِنَ الجَنَّة إلى الأَرض قال له تعالى : « يا آدَمُ اذْهب فابْنِ لي بيتاً فَطُفْ به واذْكُرْني حَولَهُ كما رأيتَ الملائكة يصنعونَ حولَ عَرْشي » فأقبلَ آدم عليه السلام يَتَخَطَّى ، فطُويت لهُ الأَرض ، وقُبِضَتْ له المَفاوِز ، فلم يَقَعْ قدمُه على شيء إلّا صار عُمراناً ، حتى انتهى إلى موضع البيتِ الحَرام ، وانَّ جبريلَ عليهِ السلام ضَرَبَ بجناحِه الأَرضَ فأبْرَزَ عن أُسٍّ ثابتٍ على الأَرض السابعةِ السُّفْلى ، وقَذَفتْ إليه الملائِكة بالصَّخر ،

فما يَطيقُ الصخرةَ ثلاثونَ رجلاً وانَّه بناهُ مِنْ خَمْسةِ أجْبُلٍ مِنْ لبنان وطور سَيناء وطُور زيْتا [١] والجُودي [٢] وحِراء ، فكانَ آدمُ عليه السلام أوَّلَ مَنْ أسَّسَ البيتَ وصلَّى فيه ، وطافَ به ، ولمْ يَزَلْ كذلك حتى بعثَ الله تعالى الطُّوفانَ فدَرَسَ موضعُ البيت ، فبعث الله عزَّ وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلامُ ، فوضَعا قواعِدَ البيتِ وأعْلامَهُ ، ثم بَنَتْهُ قريش بعدَ ذلك ، وهو على حَدِّ البيتِ المَعْمُور لو سَقَطَ ما سَقَطَ إلَّا عليه [٣].

ثم روى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، أنَّ الله تعالى لما أمر ابراهيم عليه السلام بعَمارَةِ البيتِ ، خَرَجَ مِنَ الشَّام ومعه ابنه إسماعيل وأُمُّهُ هاجر ، وبَعثَ معَه السَّكِينَةَ لها لسانٌ تتكلَّمُ به يَغْدو إبراهيمُ معها

---

(١) طور زيتا : جبل في القدس مشرف على المسجد الاقصى .

(٢) الجودي : جبل يطل على دجلة وعلى جزيرة ابن عمر ، وهي قرية من أعمال الموصل .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١/١٢٩ ، ونسبه للأزرقي وأبي الشيخ في « العظمة » وابن عساكر . قال ابن كثير في « البداية والنهاية » ٢/٢٩٨ بعد أن نقل عن البيهقي ما ورد من الاسرائيليات في بناء البيت في زمن آدم : ولا يصح ذلك . فان ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً ، وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتني بها مشرّفة في سائر الأعصار والاوقات .

إذا غدَتْ ، ويَروحُ معها إذا راحَتْ حتى انتهتْ به إلى مَكَّة ، فقالتْ لإبراهيم : ابنِ على موضعي الأساس ، فرفعَ البيْتَ هو وإسماعيل عليهما السلام حتى انتهى إلى موضع الرُّكن ، فقال لِابنه : يابني ابغِني حَجراً أجعلْهُ عَلماً للناس فجاءه بحجرٍ فلمْ يَرْضَهُ فقال : ابغِني غيرَهُ ، فذهبَ يَلْتَمِسُ فجاءَهُ وقد أتى بالرُّكْنِ فوَضَعَهُ مَوْضِعَه وقال : يا أبتِ مَنْ جاءَكَ بهذا الحجر ؟ قال : مَنْ لَمْ يَكِلْني إليكَ يا بُنيّ ، فلما رفعَ إبراهيمُ وإسماعيل عليهما السلام القواعِدَ مِنَ البيتِ جاءَتْ سَحابَةٌ مُرَبَّعةٌ فيها رأسٌ فنادَتْ أنِ ارْفَعا على تَرْبيعي [1] . قال القاضي الماوَرْدي رحمه الله : فهذا ماجاءَتْ به الآثارُ في البيت قبلَ الطوفان وبعدَهُ .

وقال ابنُ إسحاق رَحمه الله : لما بَلَغَ رسولُ الله ﷺ خمساً وعِشرين سنة [2] اجتمعتْ قُرَيْشٌ لبُنْيان الكعبة ، وكانوا يهمُّونَ بذلكَ ليَسْقُفُوها

---

(١) خرجه السيوطي بمعناه في « الدر المنثور » ١/١٢٦ ، دون قوله : «وجاءت سحابة ... » ونسبه إلى ابن أبي شيبة واسحاق بن راهويه في « مسنده » وعبد بن حميد ، والحارث بن أبي أسامة وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والازرقي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في « الدلائل » وأورد القطعة الاخيرة ونسبها للديلمي وانظر « تفسير الطبري » ٣/٥٧ ، ٦٤ .

(٢) في « السيرة » ، و « البداية والنهاية » ، و « المواهب اللدنية » : خمساً وثلاثين سنة . قال الزرقاني : فيما جزم به ابن اسحاق وغير واحد ، وقيل : —

وَيَهابونَ هَدْمَها ، وإنَّما كانت رَضْماً (١) فوقَ القامَةِ فأرادوا رَفْعَها وَتسقيفَها (٢) وذلك أنَّ نفراً سَرَقوا كَنْزَ الكعبة ، وكان يكونُ في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وُجِدَ عنده الكنز دويك مولى ابني مُلَيْح ابن عمرو مِنْ خُزاعَة ، فقطعتْ قريشٌ يدَه . وقيل : إنَّ الذين سَرَقوهُ وَضعوهُ عند دُويك ، وكان البحرُ رَمى سفينة (٣) إلى جُدَّةَ لِتاجرٍ مِن الرُّوم ، فتحطَّمَتْ ، فأخذوا خَشَبَها فأعَدُّوهُ لتسقيفِها وكان بمكَّةَ نَجّارٌ قبطي ، فتهيأَ لهم بعضُ ما يُصلِحُها ، وكانت حَيَّةٌ تَخْرُجُ مِنْ بئر الكعبة ، فتشرَّقُ (٤) على جِدار الكعبة ، فكانوا يهابونها [وذلك أنه كان

ـ خمساً وعشرين سنة . رواه ابن عبد البر عن محمد بن جبير ، وعبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد ، وجزم به موسى بن عقبة في مغازيه ، ويعقوب بن سفيان في تاريخه ، قال الحافظ : والأول أشهر .

(١) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) وقيل : ان الذي حمل قريشاً على بنائها أن السيل أتى من فوق الردم الذي بأعلى مكة فأخربه ، فخافوا أن يدخلها الماء ، وقيل : بل كان الذي حملهم على هذا احتراقها ، وذلك أن امرأة أجمرت الكعبة ، فطارت شرارة في ثيابها فأحرقتها . رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري .

(٣) في « سيرة ابن هشام » : قد رمى بسفينة .

(٤) تشرق ، أي : تتشرق : تبرز للشمس .

لا يدنو منها أحـدٌ إلّا احزألّت وكشَّتْ ، وفتحتْ فاهـا] [١] ، فبعثَ الله تعالى إليها طائراً فاختَطَفَها ، فذهبَ بها ، فقالت قريشٌ : إنَّا نَرْجوا أنْ يكونَ الله تعالى قد رَضِي ما أرَدْنا ، فلمَّا أجْمعوا أمْرَهُمْ في هدْمِها وَبنائِها ، قامَ أبو وَهْب بن عَمرو بن عائِذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ، فتناول مِنَ الكعبة حَجَراً ، فوَثَبَ مِنْ يدِهِ حتى رَجع إلى موضعِهِ ، فقال : يا مَعْشَرَ قريش لا تُدْخِلوا في بنائِها مِنْ كَسْبِكُم إلّا طَيِّباً ، لا يدخل فيه مَهْرُ بَغيٍّ ، ولا بَيْعُ رِبا ، ولا مَظْلَمَةُ أحدٍ مِن النَّاس . وقد نُحِلَ هذا الكلامُ إلى الوَليد بن المُغيرة ، والأَوّل أثبتُ .

وأبو وهب خال [أبي] رسول الله ﷺ ، وكان شريفاً ، ولهُ يقولُ شاعِرٌ مِنَ العرب :

لَو بأبي وَهْبٍ أنَخْتُ مَطيَّتي ... غدَتْ مِنْ نَداهُ رَحْلُها غيرُ خائِبِ
بأبيَضَ مِنْ فَرْعَيْ لُؤيِّ بنِ غالِبٍ ... إذا حُصِّلَتْ أنسابُها في الذَّوائِبِ [٢]
أبيٍّ لِأَخْذِ الضَّيمِ يرتاحُ للنَّدى ... تَوَسَّطَ جَدّاهُ فروعَ الأطايبِ

ثم إنَّ قريشاً تجزَّأَتِ الكعبة ، فكانَ شقُّ الباب لبني عبدِ مناف

---

(١) ما بين المعقفين من السيرة . واحزألت : رفعت رأسها ، وكشت : صوتت باحتكاك جلدها ببعض .

(٢) الذوائب : الأعالي ، وأراد بها الأنساب الكريمة .

ابن زهرة [1] ، وكان ما بين الرُّكن الأسود والرُّكن اليماني لبني مَخْزوم ، وقبائِل مِنْ قريش انضمُّوا إليهم ، وكان ظَهرُ الكعبة لبني جُمَح وسَهْم ابني عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤيّ . وكان شقّ الحِجْر لبني عبد الدّار ابن قُصَي ، ولبني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، ولبني عديّ بن كعب بن لُؤيّ ، وهو الحَطيم مَوْضع الصَّنم ، ثم إنَّ الناس هابوا هدمَها وفَرِقُوا منه ، فقال الوليدبنُ المُغيرة : أنا أَبْدَأُكُم في هدمِها ، فأخَذَ المِعْوَل ، ثم قامَ عليها وهو يقول : اللّهمّ لا تُرَعْ فإنّا لا نُريدُ إلّا الخير ، ثم هدَمَ مِنْ ناحِيةِ الرُّكنين ، فتربَّصَ النَّاسُ تلكَ اللَّيلة ، وقالوا : نَنْظُرُ إنْ أُصيبَ لم نهدِمْ [منها] شيئاً ، ورَدَدْناها كما كانتْ ، وإنْ لم يُصِبْهُ شيء - فقد رضي الله بما صنعنا - هدمْنا [2] . فأصبح الوليدغادِياً على عمله وهدَمَ ، وهَدمَ الناسُ حتى انتهى الهدْمُ بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام ، فأفْضوا إلى حِجارةٍ خُضْرٍ كالأَسِنَّة [3] آخِذٍ بعضُها ببعض . قال ابنُ إسحاق : ثمَّ إنَّ القبائِل مِنْ قريش جَمعت الحِجارَةَ لبنائِها ، كلُّ قبيلة تَجْمَعُ على حِدَة ، ثمَّ بنوها

(١) في « السيرة » عبد مناف وزهرة .

(٢) في « السيرة » : وإن لم يصبه شيءٌ فقد رضي الله صنعنا فهدمنا .

(٣) الأسنة : جمع سنان ، شبهها بأسنة الرماح في الخضرة ، وفي « السيرة » : كالأسنمة ، وهي جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها في بعض كما تدخل عظام السنام بعضها في بعض فشبهها بها .

حتى بلغَ البنيانُ مَوضع الرُّكن [١] فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تُريد أنْ ترفعه إلى موضعهِ دونَ الأُخرى حتى تحاوروا [٢] وتحالفوا وأعدُّوا للقتال فقرَّبت بنو عبد الدَّار جَفْنَةً مملوءَةً دماً ، وتعاقدوا هُمْ وبنو عبد الله بن كعب بن لؤيّ على الموت ، وغمسوا أيديَهم في ذلك الدَّم ، فسُمُّوا لعقَةَ الدَّم ، فمكثت قريش على ذلك أربَع ليالٍ أو خَمْساً . ثم إنَّهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا ، وتناصفوا ، فرُوي أنَّ أبا أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانَ أَسَنَّ قريش كلِّها عامَئذٍ ، قال : يامَعشر قريش اجعلوا بينكُم فيما تختلفون فيه أوّلَ مَنْ يدخل مِن بابِ هذا المسجد يقضي بينكُم فيه ، ففعلوا ، فكان أولَ داخلٍ رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه ، قال ﷺ : « هَلُمَّ إليَّ ثَوْباً » فأُتيَ به ، فأخذ الرُّكنَ فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لِتأخذ كلُّ قبيلةٍ بناحية مِنَ الثَّوْبِ ، ثمَّ ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا موْضِعه ، وَضَعَه هو بيده ، وبُني عليه [٣] .

---

(١) يريد بالركن : الحجر الأسود ، وسمي ركناً لأنه مبني في الركن .
(٢) ويروى : تحاوزوا ، ومعناه : انحازت كل قبيلة إلى جهة .
(٣) الخبر بطوله رواه ابن هشام في « السيرة » : ١٩٢/١ ، ١٩٧ عن ابن اسحاق .

قال أحمد بن يحيى قال رسول الله ﷺ حينَ وضعَ الحجر في الثَّوب : « ليأتِ مِنْ كلِّ رُبْعٍ مِنْ أرباعِ قريش رجلٌ [١] فرفعوه ثم وضعه ﷺ في موضعِهِ ، فلما وضعَ الحجر ، احتاجَ إلى حَجرٍ يسنده به [٢] فذهب رجلٌ مِنْ أهل نَجْدٍ ليأتيَهُ فقال : لا ، وأمرَ العبَّاسَ رضوانُ الله عليه ، فأتاه بحجر ، فأسنَدَه ، فغضبَ النَّجْديُّ وقال : عَمَدْتُم إلى أصغرِكُم سِنًّا ، وأقَلِّكُم مالاً ، فولَّيتموه هذه المَكْرُمَة ، فكانَ يقال : إنَّه إبْليسُ لعنهُ الله ، فقال أبو طالب في وضع الرُّكن :

إنَّ لنـا أوَّلَهُ وآخِرَهْ ... في الحُكْم والحقِّ الذي لن نُنْكِرَهْ
وقد عَمَرْنا خَيْرَهُ وأكْثَرَهْ ... لمَّا وَضعنا إذْ تَمَارَوْا حَجَرَهْ [٣]

وكانت قريش تُسمِّي رسولَ الله ﷺ قبل أنْ يَنْزِل عليه الوَحيُ « الأمين » .

وقال الله تبارك وتعالى : (وإذْ جَعَلْنا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ...)

---

(١) في « طبقات ابن سعد » ١/١٤٤ : فكان في ربع بني عبد مناف عتبة ابن ربيعة ، وكان في الربع الثاني أبو زمعة ، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة ابن المغيرة ، وكان في الرابع قيس بن عدي .

(٢) في « الطبقات » : « حجراً يشد به الركن » .

(٣) الخبر مع الشعر في « طبقات ابن سعد » ١/١٤٦ ، ١٤٧ .

الآية [البقرة : ١٢٥] . يعني بالمثابة : أنهم يُثابُون على حَجّهِ ، وقيل : مُجمعاً لاجْتماع الناس عليه في الحجّ والعُمْرَة ، وقيل : مرْجعاً ، مِنْ قولِهم : ثابَتْ العِلّة : إذا رَجَعتْ [(١)] .

وقال الله تبارك وتعالى : (وٱتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبْراهِيمَ مُصَلّىً) .

في سبب مُقامهِ على الحَجر قولان .

أحدهما : أنهُ لما ارتفَع بنيانُ البيتِ ، وضَعُفَ إبراهيمُ عليه السلام عن رَفْع الحِجارَة ، قامَ على هذا الحَجر ، فهو مَقامُ إبراهيم [(٢)] .

والثاني ، أنهُ حَجَرٌ وَضَعَتْهُ زَوْجَةُ اسماعيل عليه السَّلام تحت قَدَم ابراهِيم عليه السَّلام حِينَ غسلَتْ رَأْسَهُ فوضعَ قَدَمَهُ عليه فغابَتْ قدَمُهُ فيه [(٣)] .

---

(١) في « الطبري » : ١٢٥/٣ : فمعنى قوله : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) : وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاذاً ، يأتون كل عام ويرجعون إليه ، فلا يقضون منه وطراً .

(٢) « الطبري » : ٦٨/٣ ، و « البخاري » : ٢٩٠/٦ دون قوله : « فهو مقام إبراهيم » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) « الطبري » ٣٥/٣ عن السدي ، وفي « زاد المسير » ١٤١/١ : وفي « مقام إبراهيم » ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الحرم كله ، قاله ابن عباس ، والثاني : عرفة والمزدلفة والجمار ، قاله عطاء ، وعن مجاهد كالقولين . وقد روي عن –

أنا مُوردٌ سببَ غسْل ابراهيم صلّى الله عليه رأسه مختصراً ما أوْرَدَه أصحابُ السِّيرَ في ذلك.

لما وَلدَتْ هاجر إسماعيل عليه السلام، أمَرَ الله سبحانه إبراهيم عليه السلام أنْ يُسْكِنَهما مكّة فحملَهما اليها، فلمَّا أرادَ الرُّجوعَ، قالت لهُ هاجَر: يا ابراهيمُ مَنْ أمركَ أنْ تضعني بأرْض لازرْعَ فيها ولا ضَرْعَ، ولا أنيسَ ولا ماءَ ولا زادَ؟ قال: ربي أمرَني. قالت: فإنَّه لن يُضَيّعَنا، فلمَّا مضى ابراهيم، قال: (رَبَّنا إنَّكَ تعْلَمُ ما نُخْفي وَما نُعْلِنُ) يعني مِنَ الحُزْن. فلما ظَمِئَ اسماعيلُ جَعلَ يَدْحَضُ الأَرْض بعَقِبَيْهِ، فذهبتْ هاجَرُ حتى عَلَتِ الصَّفا والوادي يوْمئذٍ عميقٌ فأشْرَفتْ، فلم تَرَ شيئاً، فانْحَدرَتْ في الوادي، فسعَتْ فيه حتى خَرَجتْ منه، فأتَتِ المرْوةَ، فصعِدَتْ واسْتَشْرفتْ فلمْ ترَ شيئاً، ففعلت ذلك سَبْعَ مرّات، ثم جاءَتْ مِنَ المرْوَة الى إسماعيل وهو يدْحَضُ الأَرْض بعقبيه وقد نَبعَتْ العينُ وهي زَمْزَمُ، فجعلتْ تفحصُ الأَرض بيدها عن الماء، فكلَّما اجتمعَ

ـ ابن عباس وعطاء ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم. والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير وهو الأصح. وقد أيد الحافظ ابن كثير في تفسيره: ١٦٩/١ هذا القول، وأورد الآثار على صحته، ثم قال: «فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة...»

ماءٌ أخذَتْهُ بقَدَحِها وأفرغته في سِقائِها . فقال النبي ﷺ : « رَحِمَها الله لو ترَكَتْها لكانتْ عيناً سائِحةً تجري إلى يوم القيامة » ، وكانتْ جُرْهُمْ يَوْمَئِذ بوادٍ قريب مِنْ مَكَّة ، وَلزِمَتِ الطَّير الوادي حين رأَتِ الماءَ ، فلما رأتْ جُرْهُم الطير قد لَزِمَت الوادي ، قالوا : مالزمته إلّا وفيه ماءٌ ، فجاؤوا الى هاجر ، فقالوا : لو شِئتِ لكُنَّا مَعكِ وآنسْناكِ والماءُ ماؤُكِ . قالت : نعم ، فكانوا معها حتى شَبَّ إسماعيلُ عليه السلام ،وَماتتْ هاجر ، فتزوَّجَ امرأةً مِنْ جُرْهُم فاستأذنَ ابراهيمُ عليه السلام سارَةَ أنْ يأتي هاجر فأذِنتْ لهُ وَشرَطتْ عليه أنْ لاينزلَ فقَدِمَ إبراهيمُ وقد ماتَتْ هاجرُ ، فذهبَ إلى بيتِ إسماعيل ، فقال لامْرأَتِهِ : أيْنَ صاحِبُكِ ? فقالت : ذَهبَ يَتصيَّدُ فقال : هل عِندَكِ ضِيافة ? فقالت : ما عِندي طعامٌ ولا شرابٌ . فقال إبراهيم عليه السلام : إذا رَجعَ زَوْجُكِ فأقرئيهِ السلامَ وقُولي لهُ: فلْيُغيِّرْ عَتَبةَ باب داره . وذهب إبراهيم وجاءَ إسماعيلُ فوَجدَ ريحَ أبيه ، فقال لامْرأتِه : هل جاءَكِ أحد ? فقالت : جاءَني شيخٌ كذا وكذا ، كالمُسْتخِفَّة بشأنه . قال : فما قالَ لكِ ? قالتْ : [قال] لي : اقرئي زوجكَ السلام وقُولي له : فلْيُغيِّرْ عتبَة بابه . فطلَّقها وتزوَّجَ أخرى ، فلَبِث إبراهيم عليه السلام ما شاء الله ، ثم اسْتأذنَ سارَةَ في أن يأتي إسماعيل ، فأذِنتْ له ، واشترطت عليه أنْ لا ينزل ، فجاءَ إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ اسماعيلَ عليهما

السلام ، فقال لامرأته : أينَ صاحِبُكِ ؟ قالتْ : ذَهبَ يتصيَّدُ وهو يجيءُ الآن إنْ شاءَ الله ، فانْزِلْ رَحِمَكَ الله . فقال : هل عِندَكِ ضِيافة ؟ فقالت : نعم . فقال : هل عِندَكِ خُبْزٌ أوْ بُرٌّ أو شَعيرٌ أو تمرٌ ؟ [قالت : لا]فجاءَتْ باللَّبن واللَّحم ، فدعا لهما بالبَرَكة . فلو جاءَتْ يومئذٍ بخبزٍ أو بُرٍّ أو شعير أو تمرٍ ، لكانتْ مكَّة أكثَرَ أرض الله بُرّاً وشعيراً وتمراً ، ثم قالت له وقد رَأَتْه أشْعَثَ الرأس : انْزِلْ - يَرْحَمُكَ الله - حتى أغْسِل رأْسَكَ ، فلم ينزِلْ واعتذر ، فجاءَتْه بالمُقام ، فوَضعتهُ تحتَ شِقِّه الأيْمن ، فوضعَ قدمه عليه ، فبقي أثَرُ قدَمِه عليه ، ثمَّ غسلتْ شِقَّ رأْسِهِ الأيْمن ، ثمَّ حوَّلتْ المُقامَ إلى شِقِّ رأْسِهِ الأيسَر ، فغسَلَتْه كما فعلت بالجانِبِ الأيْمن ، فقال لها : إذا جاء زَوْجُك فأقرئيه السلام وقولي له : قدِ استقامَتْ عَتَبَةُ بابِكَ ، فلما جاء إسماعيلُ وجدَ ريح أبيه عليهما السلام ، فقال لامرأته : هلْ جاءَكِ أحدٌ ؟ قالت : نعم شيخٌ أحْسَنُ الناس وَجْهاً ، وأطْيبُهُم ريحاً ، قال لي : كذا ، وقلتُ له كذا ، وغسلتُ رأْسَه ، وهذا موضِعُ قدمه ، وقال لي : قُولي لزوجك إذا جاء : قد استقامَتْ عَتبةُ بابك . فقال : ذاكَ أبي إبراهيمُ خليلُ الرحمن عزَّ وجَلَّ (١) .

---

(١) « الطبري » : ١٣/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ورواه البخاري ٦/ ٢٨٣ ، ٢٩٠ بألفاظ مقاربة ، واختلاف يسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، دون قوله : « ثم قالت له -

إنَّما أَوْرَدتُ هـذا الخبر مُختصراً لئلا يقفَ على ذِكْرِ غَسْلِ ابراهيمَ عليه السـلامُ رأْسه مَنْ لا يكُونُ عرفَ كيفَ كان ذلكَ ، فيتطلَّعُ الى مَعْرِفَتِه .

وقال تباركَ وتعـالى : ﴿ وَعَهِدْنا الى ابراهيمَ واسْماعِيلَ أنْ طَهِّرا بَيْتيَ ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] فيه خَمْسةُ أوْجُـه . أحدُها : مِنَ الأَصنام . والثَّاني : مِنَ الكُفَّار ، والثالث : مِنَ الأَنْجاس ، والرابع : مِنَ الآفات والرِّيَب ، والخامس : أنّه لِمَنْ حَجَّه وطافَ به .

فإنْ قيل : فلم يَكُنْ على عَهدِ ابراهيم عليه السلام قبلَ بناء البيتِ بَيْتٌ مُطَهَّرٌ ؟ فمن هذا جوابان . أحدُهما : أن ٱبْنيا بيتيَ مُطَهَّراً . والثاني : أنْ طَهِّرا مكانَ بيتي للطَّائفين[1] .

وقال تباركَ وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بيتِهِ مُهاجِراً الى اللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوْتُ فقـدْ وَقَعَ أجْرُهُ على اللهِ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً ﴾

ـ وقـد رأيته أشعث الرأس . . . . إلى قوله : كما فعلت بالجانب الأيمن » . وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ١/١٥٤ ، ١٥٦ بعد أن ساق رواية البخاري : وهذا الحديث من كلام ابن عباس ، وموشح برفع بعضه ، وفي بعضه غرابة ، وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الاسرائيليات .

(١) انظر « الطبري » ٣/٣٩ ، و « زاد المسير » ١/١٤٢ .

[النساء : ١٠٠] . فيه وجهان . أَحَدُهما : أنه مَنْ خَرَجَ للهِجْرَةِ مِنْ مكة فماتَ في طريقه قبل وُصولِهِ المدينة ، فقد اسْتحقَّ ثوابَ عمله وجَزاءَ هِجرَتِهِ .

والثاني : فيمن خرجَ غازياً ، فماتَ قبلَ الوقعة ، فلَهُ ثَوابُ جهادِهِ .

واختلف فيمن نَزَلت فيه هذه الآية ، فقيل : إنَّها نَزَلت في أبي أُميَّة ضُمْرَةَ بن جُنْدُب الخُزاعي خرج مِنْ مكَّة مُهاجراً ، فماتَ بالشعب [(١)] .

وقيل : نزلتْ في خالد بن حزام أخي حكيم بن حزام خرَجَ مُهاجراً ، فماتَ في الطريق [(٢)] .

وقال ابن عباس رضوانُ الله عليهما في رواية عطاء : كان عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه يُخْبِرُ أهلَ مكَّة بما يَنْزِلُ مِنَ القُرآن ، فكَتَبَ إليهم بقولِهِ عزَّ وجَل : (إنَّ الذينَ توَفَّاهُمُ الملائكةُ ظالِمي أنْفُسِهِم قالوا فِيمَ كُنْتُم ؟ قالوا : كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْض ، قالوا : أَلَمْ تكُنْ أرضُ اللهِ واسِعةً فتُهاجِروا فيها فأولئكَ مأواهُم جَهَنَّمُ وساءَتْ مَصيراً) [النساء : ٩٧]

---

(١) أورده ابن كثير في « تفسيره » ١/٥٤٣ عن ابن أبي حاتم على أكثر من عشرة أوجه .

(٢) ذكره ابن الجوزي في « زاد المسير » ١/١٨١ ، وابن كثير في تفسيره ١/٥٤٣ عن ابن أبي حاتم .

قال حبيبُ بنُ ضُمْرَةَ اللَّيثي لمَّا قرأها وكانَ شيخاً كبيراً : احملوني فإني لستُ مِنَ المُستضعفينَ وإنّي لأهتدي إلى الطريق ، فحملوه على سرير مُتوجّهاً إلى المدينة ، فلمَّا بَلَغَ التَّنْعيمَ[١] ، أشْرَفَ على الموتِ فصفَّقَ بيمينه على شِمالِهِ وقال : اللَّهمَّ هذه لكَ وهذه لرسولِكَ ، أبايعُكَ على ما بايَعت يد رَسول الله ﷺ ومات ، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : لو كانَ وافى المدينة لكانَ أتَمَّ أجْراً ، فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إلى اللهِ وَرَسُولِهِ ثمَّ يُدرِكْهُ الموْتُ فقدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على الله ... ﴾ الآية [النساء : ١٠٠][٢] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكم تطهيراً ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . قال عطاءُ بنُ أبي رَباح رَحِمَه الله : حدَّثني مَنْ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : تَذْكُرُ أنَّ النبي ﷺ كان في بيتِها ، فأتته فاطِمةُ عليها السلام ببُرْمَةٍ فيها خَزيرَةٌ[٣] فدخلت عليه بها ، فقال ﷺ : « ادعي لي زوجَكِ وابْنَيْكِ » . قالت : فجاء عليٌّ والحسنُ والحسينُ رضوانُ الله عليهم ، فدخلوا عليه ، فجلسوا يأكلون

(١) التنعيم : موضع في الحل بين مر وسرف ، بينه وبين مكة فرسخان ، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة .

(٢) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ١٠٢ بدون سند .

(٣) البرمة : القدر مطلقاً وجمعها برام ، والخزيرة : لحم يقطع صغاراً ، ويصب عليه ماء كثير ، فاذا نضج ذُرّ عليه الدقيق .

مِنْ تِلْكَ الخزيرَة وهو على مَنامَةٍ لهُ على دُكَّانٍ تحته كِساءٌ خَيْبَرِيٌّ ، قالت : وأنا في الحُجرَةِ أُصلّي فأنزَل الله عز وجل : (إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّركم تطهيراً) . فأخَذَ النبي ﷺ فضْلَ الكساء فغشَّاهُم به ، ثمَّ أخذ يديه (١) فألوى بهما إلى السَّماء ، ثم قال : « اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي فأذْهِبْ عنهم الرِّجسَ أهلَ البيتِ وطَهِّرْهُم تطهيرا . قالت : فأدْخلتُ رأسي البيتَ وقلت : وأنا مَعكُم يا رسول الله ، فقال : إنَّكِ إلى خير إنَّكِ إلى خير (٢) .

وقال الله تبارك وتعالى : (يا أيُّها الَّذينَ آمنوا لا تَدْخُلوا بُيوتَ النَّبيّ إلّا أنْ يُؤذَنَ لكُم إلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُمْ فادْخُلوا فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِروا . . .) الآية (٣) [الأحزاب : ٥٣] قال أكثرُ المُفسّرين :

---

(١) في « المسند » : ثم أخرج يده فألوى بها . . . » .

(٢) « المسند » ٦/٢٩٢ و « المستدرك » : ٢/٤١٦ ، وقال ابن كثير بعد أن أورده عن « المسند » ٣/٤٨٤ : في إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء ، وبقية رجاله ثقات ، ثم ساق له طرقاً أخرى عن ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما ، فانظره .

(٣) في « مجاز القرآن » : ٢/١٤٠ : « إلى طعام غير ناظرين إناه » أي : إدراكه وبلوغه ، ويقال : أنى لك أن تفعل يأني أنياً ، أي : بلغ وأدرك ، وقال ابن كثير ٣/٥٥٥ في تفسير الآية : فقوله تعالى: (لا تدخلوا بيوت النبي) حظر على -

لمَّا بنى رسول الله ﷺ بزَيْنب بنتِ جَحْش رضي الله عنها ، أوْلَمَ عليها بتَمرٍ وَسويق ، وذَبحَ شاة . قال أنس بن مالك رحمه الله : وَبعثَتْ إليه أمُّ سليم بحَيْس في تَوْرٍ مِنْ حِجارَة ، فأمرَني النبي ﷺ أنْ أدْعُوَ أصحابه رضي الله عنهم إلى الطعـام ، فجعلَ القومُ يجيئونَ فيأكلونَ وَيخرُجونَ . فقلتُ : يارسولَ الله قد دَعوتُ حتى لاأجِدُ أحداً أدْعُوه . قال : ارْفعوا طعامكم ، فرفعوا ، وخرجَ القومُ ، وبَقيَ ثلاثةُ نفر يتحدَّثون في البيت ، فأطالوا المكْث ، وَتأذَّى بهم رسول الله ﷺ ، وكانَ شديدَ الحَيـاء ، فأنزَل الله عزَّ وجل هذه الآية [1] .

وقوله عزَّ وجل حكايةً عن إبراهيم ﷺ : (رَبِّ إنِّي أسْكَنْتُ مِنْ

ـ المؤمنين أن يدخـــلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى هـــذه الأمة . . . ثم استثنى من ذلك فقال تعالى :(إلا أن يؤذن لـكم إلى طعام غير ناظرين إناه) قال مجاهد وقتادة وغيرهما: أي : غـير متحينين نضجه واستواءه ، أي : لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فان هذا مما يكرهه الله ويذمه . . .

(١) رواه بمعناه «البخاري» : ٤٠٧/٨ ، و «مسلم» ١٠٥١/٢ ، و « الترمذي» ١٥٣/٢ ، و « النسائي » ١٣٦/٦ ، و « الطبري » ٣٧/٢٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ذُرِيّتي بوادٍ غَيرِ ذي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّم) [إبراهيم : ٣٧] ذُريته : إسماعيل ، وأُمُّه هاجر « بواد غير ذي زرع » يعني : مكة ، أسْكنَها بأبْطحِها ولم يكُنْ بهـا ساكِن ، ثِقة بالله تعالى ، وتوَكُّلاً عليه . « عند بيتك المحرَّم » أضافَ البيت إليه سبحانه ، لأنَّه لا يملكه غيرُه . و « المحرم » أنَّه يَحْرُم فيه ما يَحِلُّ في غيره مِنْ جماع واسْتِبْذال .

وقوله عزَّ وجـل : (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) [الطور : ٥] . فيه أربعة أوْجُه . أحدُها : ما رواهُ قتادَة عن أنس بن مالك رحمـه الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُتِيَ بي إلى السَّماءِ السَّابعةِ فرُفِعَ لنا البيتُ المَعْمُورُ فإذا هُوَ حِيالَ الكعبةِ لو خرَّ خرَّ عليها ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ، فإذا خَرَجُوا منه لم يَعودوا فيـه » (١) . والثاني : أنَّ البيتَ المَعْمُورَ هو بَيْتٌ في سِتِّ سَموات ٍ ودونَ السَّابعة يُدْعى الضُّراح يُصَلِّي فيه كل يومٍ سَبعونَ ألفَ مَلَكٍ مِنْ قَبِيلةِ إبْليس لا يعودون إليه أبداً ، وهو بحِـذاء البيت العتيق (٢) . والثالث : ما قاله الرَّبيعُ بنُ أَنَسٍ أنَّه كان في الأرض

(١) « البخاري » ٦/٢١٩ ، و « مسلم » ١/١٥٠ دون قوله : « فرفع لنـا البيت المعمور فاذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها » فقد وردت في « الطبري » ٢٧/١٧ عن قتادة : « ذكر لنـا أن نبي الله ﷺ . . . » وأخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً .

(٢) « الطبري » ٢٧/١٦ عن علي رضي الله عنه ، وليس فيه « من قبيلة –

البيتُ المَعْمورُ في مَوْضِع الكَعْبةِ في زمانِ آدمَ عليه السَّلامُ حتى كانَ زمانُ نُوح عليه السَّلامُ ، فأمَرَهُم نوح أنْ يَحُجّوهُ ، فأبَوْا عليه وعَصَوْهُ . فلمَّا طَغى الماءُ رُفِعَ فجُعِلَ بحِذائِهِ مِنْ سَماءِ الدُّنيـا ، فيَعْمُرُه كل يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ثمَّ لا يَرْجِعونَ إليه حتى يُنْفَخَ في الصُّور . قال : فبَوَّأَ اللهُ تعالى لإبراهيم عليه السَّلامُ الكعبةَ البيت الحرامَ حيثُ يقول سُبحانه : (وَإِذْ بَوَّأْنا لإبْراهِيمَ مَكانَ البيتِ . .) الآية [الحج : ٢٦] . والرّابع : ما قاله الحسن رضي الله عنه أنَّ البيتَ المعمور هو البيتُ الحَرامُ . والمَعْمور : قيل : إنَّه مَعمور بالقصدِ إليه . وقيل : بالمُقام عليه .

وقال تباركَ وتعالى : (في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهـا اسْمُه) [النور : ٣٦] . قيل : هيَ المساجِدُ . وقيل : إنَّها سائِرُ البيوت . « أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ » : أي : تُبنى ، كقولِهِ تعالى : (وإِذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ مِنَ البيت) . أي : يَبني . وقيل : تُرْفَعُ فيهـا الحَوائِجُ إلى اللهِ عزَّ وجل .

وقال تباركَ وتعالى : (يا أَيُّها الذين آمنوا لا تدخلُوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تَسْتأنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلى أَهلِها . . .) الآية [النور : ٢٧] .

ـ ابليس » ، وروي أيضاً عن الضحاك قوله في « البيت المعمور » : يزعمون أنـه يروح إليه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس ، يقال لهم : الجن .

روي عَنْ عَـدِيِّ بنِ ثابت قال : جاءتِ امْرأةٌ مِنَ الأنصار ، فقالت : يا رَسُولَ الله إنِّي أكُونُ في بيتي على حالٍ لاأحِبُّ أنْ يَراني عليهـا أحَدٌ لا والِدٌ وَلا وَلَدٌ ، فيأتي الأبُ فيدْخُلُ عليَّ وإنَّهُ لايزالُ يدخُلُ رَجُلٌ مِنْ أهلي وأنا على تِلكَ الحال ، فكيفَ أصنعُ ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية [1] .

فقال أبو بكر الصِّديق رضوانُ الله عليه : يا رسولَ الله أفرأيتَ الخانات والمساكِنَ في طُرُق الشَّام ليسَ فيها ساكِنٌ ؟ فأنزل الله تعالى : (ليْسَ عليكم جُناحٌ أنْ تَدْخُلُوا بيوتاً غيرَ مَسْكونةٍ ..) الآية [النور : ٢٩] .

وفي قولِهِ تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا لاتَدْخُلُوا بُيوتاً غيْرَ بُيوتِكُم حتى تَسْتَأنِسوا وَتُسَلِّمُوا على أهلِها) ثلاثة أوْجُه . قيل : حتى تَسْتَأذِنُوا . وقيل : حتى تؤنِسوا أهـلَ البيتِ بالتنحنح ، فيعلَمُوا بالدُّخُول عليهم . وقيل : حتى تستأنِسوا : أي : تَعْلَمُوا هل فيها أحدٌ تستأذِنُوا فتُسَلِّموا عليه ؟ ومنه قوله تعالى : (فإنْ آنَسْتُم مِنهُمْ رُشْدا) [النساء : ٦] أي : عَلِمتُم . والإذْنُ : يكونُ بالقَوْلِ والإشارة . عن أبي هُريرة رحمهُ الله قال : قال رسول الله ﷺ : « رَسولُ الرَّجُـل إذْنُه ، فإن استأذَنَ ثلاثاً ، فلم يُؤذَنْ لهُ وَلَّى وَلَمْ يُراجِعْ » [2] .

---

(١) « تفسير القرطبي » : ٢١٣/١٢ .

(٢) الحديث ملفق من حديثين ، فقوله : « رسول الرجل إذنه » رواه ــ

رُوي عن أبي سعيد الخدري [١] عن الأشعري ، أنَّهُ استأذَنَ على عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه ثلاثاً فلم يُؤذَن له ، فرجع ، فأرسل إليه عُمر فقـال : ما رَدَّكَ ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ اسْتأذَنَ ثلاثاً فلَم يُؤذَنْ لهُ فليَرْجِعْ » فقال عُمر رضوان الله عليه : لتَجيئَنَّني ببَيِّنةٍ وإلَّا جعلْتُكَ نَكالاً . فأتى أبو سعيد [٢] رَحمهُ الله ، فشَهِدَ له [٣] .

ـ البخـاري في « الأدب المفرد » ٥١١/٢ ، وأبو داود : ٤٧٢/٤ عن أبي هريرة مرفوعاً واسناده صحيـح ، وقوله « فان استأذن . . . » هو قطعة من حديث ثبت في الصحيح من طريق أبي موسى الأشعري .

(١) في الأصل « عن الحسن البصري » وهو خطأ ، فقد روى الحديث عن أبي موسى ، أبو سعيد الخـدري ، وأبو بردة الأشعري ، وعبيد بن عمير ، وبسر ابن سعيد ، ولم يرد في المصادر التي بين أيدينا ذكر للحسن في هذا الحديث .

(٢) في الأصل : « طلحة » وهو خطأ ، فقـد اتفق الرواة على أن الذي شهد لأبي موسى عند عمر أبو سعيد ، إلا ما عند البخاري في « الأدب المفرد » ٥٠٨/٢ من طريق عبيد بن حنين ، فان فيه : « فقام معي أبو سعيد الخدري أو أبو مسعود إلى عمر » هكذا بالشك . وفي رواية لمسلم من طريق طلحة بن يحيى عن أبي بردة في هذه القصة « قال عمر : يا أبا موسى ما تقول ؟ أقد وجـدت ! قال : نعم أُبيّ بن كعب ، قال : عدل ، قال : يا أبا الطفيل وفي لفظ : يا أبا المنذر ما يقول هـــذا ؟ قال : سمعت رسول الله يقول ذلك يا ابن الخطاب ، فلا تكونَنَّ عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ .قال الحافظ : وطلحة بن يحيى فيه ضعف ، ورواية الأكثر أولى أن تكون محفوظة .

(٣) « الموطأ » ٩٦٤/٢ ، و « البخاري » ٢٣/١١ ، ٢٤ ، و« مسـلم » ١٦٩٤/٣ ، ١٦٩٧ ، وأبو داود ٤٦٨/٤ ، و « الأدب المفرد » ٥٠٣/٢ .

قال الحسن رحمه الله : الأُولى : إذنٌ ، والثانية : مؤامرة ، والثالثة : عَزْمَةٌ ، إنْ شاؤوا أَذِنُوا ، وإنْ شاؤوا ردُّوا .

ولا يستأذنُ وهو مُستقبِلُ البابَ إنْ كانَ الباب مفتوحاً . وإذا أَذِنَ لِأَوَّلِ القوم فقد أَذِنَ لِآخرِهم . ولا يَقعُدُ على الباب بعدَ الرَّدِ ، فإنَّ للنَّاس حاجات .

ثُمَّ قال تعالى : (وَتُسَلِّمُوا على أهلِها) . والسَّلامُ نَدْبٌ ، والاستئذانُ حَتْمٌ (١) .

وفي السلام قولان : [أحدهما] : أنه مسنونٌ بعد الإذْنِ على ما تَضَمَّنَتْه الآيةُ مِنْ تقديم الإذن عليه ، ولأنَّ السلام مِنْ تحيَّاتِ اللِّقاء ، واللِّقاءُ يكونُ بعدَ الإذن . والثاني : أنَّه مَسنُونٌ قبل الإذنِ ، وأنَّه إن تأَخَّر في التلاوَةِ ، فهو مُقَدَّمٌ في الحُكْم ، وتقدير الكلام : حتى تُسَلِّمُوا وتستأذِنُوا ، لما رَوى ربعي بن حراش (٢) رحمه الله أنَّ رَجُلاً استأذَنَ على رسول الله ﷺ أأَدْخُلُ ؟ فقال النبي ﷺ لِرَجُلٍ عنده : « قُمْ فعلِّمْهُ كيف يَستأذِنُ فانَّه لم يُحْسِن »

(١) قال السيوطي في « الاكليل » في هـذه الآية وجوب الاستئذان عند دخول بيت الغير ، ووجوب الرجوع إذا لم يؤذن له ، وتحريم الدخول إذا لم يكن فيها أحد .

(٢) في الأصل : محمد بن سيرين ، والتصويب من كتب الحديث .

فسمعها الرَّجلُ فسلَّم واستأذَنَ [١] . وقـد قيل : إنْ وَقعتْ العينُ على العين قبل الاستئذان ، فالأولى تقديمُ السَّلام على الاستئذان ، وإنْ لم تَقع العَيْنُ على العَيْن قبل الإذْن ، فالأَولى تقديمُ الاستئذان على السلام [٢] .

فأمّا الاستئذانُ على منازِلِ الأهـل ، فإنْ كانوا غيرَ ذوي مَحْرَم ، لَزِمَ الاستئذانُ عليهم كالأَجانِب ، وإنْ كانُوا ذوي مَحـارِم ، وكان المَنْزل مُشترَكاً ، هو فيه وهُم ساكِنون ، لَزِمـه قبل دُخُولِه إنْذارُهم ، إمَّا بوَطْءٍ أو بنَحْنَحةٍ مُفهِمَةٍ ، إلّا الزَّوجة ، فلا يَلْزَمُ ذلك في حقهـا ، لارتفاع العوْرة بينهُما . وإنْ لم يَكُن المنزلُ مُشتركاً ، ففي الاستئذان عليهم وجهان . أحدهما : النَّحنحة أو الحركة ، والثاني : بالقَوْلِ كالأَجانب ، وقد روى عطاء بن يسار رحمه الله أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ أَستأذِنُ على أمي؟ قال : « نعم » قال : فإني أَخدمُها ، قال : « استأذِنْ عليها » فعاوَدَه ثلاثاً ، فقال ﷺ : « أَتُحِبُّ أن تَراها عُرْيانة ؟ » قال : لا . قال : « فاستأذِنْ

---

(١) « المسند » و « أبو داود » ٤/٤٦٨ ، والبخاري في « الأدب المفرد » ٢/٥١٨ ، والبيهقي في « السنن » كلهم من طريق ربعي بن حيراش قال : حدثنا رجل من بني عامر . . . وقـد جود اسناد هذا الحديث الحافظ ابن حجر وابن مفلح المقدسي ، وصححه الامام النووي في « الأذكار » .

(٢) نقل هذه الأقوال الثلاثة النووي رحمـه الله في « الأذكار » عن الامام المـاوردي .

عليها »[١] (فإنْ لم تجدوا فيها أحداً) يعني : يأذَنُ لكم (فلا تَدْخُلوها حتّى يُؤْذَنَ لكُم) .

ولا يجوزُ أنْ يَتطَلّعَ إلى المنزل ليَرى مَنْ فيه فيستأذِنَه إذا كانَ البابُ مُغْلَقاً ، لقول النبي ﷺ : « إنّما جُعِلَ الاستئذان لِأَجْل البصر »[٢] . إلّا أنْ يكونَ البابُ مفتوحاً ، فيجوز أنْ ينظُرَ إذا كان خارِجاً منه ، لِأَنَّ صاحبه بالفتح قد أباحَ النَّظر .

(فإنْ قِيلَ لكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ) وهذا إنْ كانَ بعدَ الدُّخول عن إذْنٍ لَزِمَ الإنصرافُ وَحَرُمَ اللّبثُ . فإنْ كانَ قبل الدُّخول ، فهو رَدٌّ للإذْنِ وَمَنْعٌ من الدُّخول ، وَلا يَلْزَمُه إلّا الانصراف عن مَوْقِفِهِ .

---

(١) « الموطأ » ٢/٩٦٣ قال أبو عمر : مرسل صحيح لا أعلمه يسند من وجه صحيح ولا صالح ، وذكره ابن مفلح في « الآداب الشرعية » ١/٤٤٣ عن سعيد ابن منصور ، وقال : مرسل جيد .

(٢) في الأصل : لأهل البصر . وخرجه «البخاري» : ١١/٢١ ، و « مسلم » : ٣/١٦٩٨ ، و « الترمذي » : ٢/٩٥ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه بلفظ : « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وقال تبارك وتعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) قيل : الخاناتُ المشتركة ذوات البُيوتِ المَسكونة . وقيل : حَوانيتُ التُّجّار ، وقيل : منازِل الأَسفار وَمناخاتُ الرِّحال التي يَرْتَفِقُونَ[1] بها مارَّةُ الطَّريق في أسفارِهم . وقيل : الخَراباتُ المُعطَّلَةُ . وقيل : هي بُيوتُ مَكَّةَ (فيها مَتاعٌ لكُم) فلا يَلْزَمُ الاستئذانُ في هذه المنازِل .

وقال الله تبارك وتعالى : (كَمَا أَخْرَجَك رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ) [الأنفال : ٥] . قِيل : كما أَخرجكَ رَبُّكَ مِنْ مَكة إلى المدينة بالحَقّ مع كَراهَةِ فريقٍ مِنَ المؤمنينَ ، كذلك يُنْجِزُ وَعْدَكَ بنصرِكَ على أَعدائِكَ . وقيل : كما أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بيتك بالمدينة إلى بَدْرٍ بالحَقِّ كذلك جعلَ لك غنيمة بَدْرٍ بالحَقِّ .

وقيل : في قوله تعالى : (بالحق) قولان . أحدُهما : أَنَّكَ خَرَجْتَ وَمعَكَ الحقُّ . وَالثاني : أَنه أَخْرَجَكَ بالحق الذي وَجبَ عليكَ .

وقال الله تبارك وتعالى حكاية عن المشركينَ : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لكَ حَتَّى تَفْجُرَ لنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ... أَوْ يَكُونَ لكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) [الاسراء : ٩٠ ، ٩٣] . قيل : الزُّخرُف : المنقوش . وقيل :

---

(١) جرى المؤلف في هذا التعبير على لغة بني الحارث .

الذّهب . قال مُجاهِد : لَمْ أكُنْ أدري ما الزُّخْرُف حتى سَمِعنا في قِراءَةِ ابن مسعود رضي الله عنه (بيت من ذهب[(١)]) . وأَصلُه مِنَ الزَّخْرَفَة وهو تَحْسينُ الصُّورة ، ومنه ، قولُ الله عز وجل : (حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها وازَّيَنَتْ) [يونس : ٢٤] . والذين قالوا لِرَسول الله ﷺ هذا القَولَ نفرٌ مِنْ قُرَيش . قال ابنُ عباس رضي الله عنه : وَهُم عتبة بنُ ربيعة وشَيبَةُ بنُ ربيعة ، وأبو سُفيان ، والأَسْوَد بنُ المطَّلب بنِ أسد ، وزَمْعَةُ ابنُ الأَسود ، والوليد بنُ المُغيرة ، وأبو جَهْل بن هشام ، وعبد الله ابنُ أبي أُمَيَّة ، والعاصُ بن وائل ، وأُمَيَّة بن خلف ، وَنَبِيه ومُنَبه ابنا الحجَّاج[(٢)] .

وقال الله تبارك وتعالى : (قُلْ : لَوْ كُنْتُم في بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم) [آل عمران : ١٥٤] . فيه قولان : لو تَخَلَّفْتم لبرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهم القتل ولم يُنْجِهِم قعودُهم . والثاني : لو تخلفتم لخَرَجَ

---

(١) في الأصل : « من زخرف » وهو خطأ ، والأثر خرجه الطبري في « جامع البيان » ١٥/١٦٣ ، وفي « تفسير ابن كثير » ٣/٦٤ : وقوله تعالى: (أو يكون لك بيت من زخرف) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود (أو يكون لك بيت من ذهب) .

(٢) « سيرة ابن هشام » ١/٢٩٥ ، و « ابن جرير » : ١٥/١٦٤ .

منكم المؤمنون ولم يتخلفوا بتخلُّفكم . ويكون معنى قول الله عز وجل : (الذينَ كُتبَ عليهم القتل) أي : فُرِضَ عليهم القتال ، فعبَّرَ عنه بالقتل، لأنَّه يؤولُ إليه ، إمّا بالظّفر أو بالشهادة .

وقال الله تبارك وتعالى : (وَيستأذِنُ فريقٌ مِنهمُ النَّبيَّ يَقُولون : إنَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ) [الأحزاب : ١٢] . قال السُّدِّي : الذي اسْتأذَنَهُ صلى الله عليه وسلم مِنهم رجلانِ مِنَ الأَنصار أبو عَرابة بنُ أوْس ، وأوس ابنُ قَيظي ، وَرَجعَ ثمانُونَ رجلاً بغير إذْن (يقولون : بيوتنا عورة) ، أي : قاصِيةٌ مِنَ المدينـة نخافُ على عَوْرَةِ النساء والصِّبيانِ مِنَ السَّبي . وقيل : أي : خالِيةٌ ليسَ فيها إلّا العَوْرَةُ مِنَ النساء ، وقيلَ : مكشوفَةُ الحيطان ، يُخافُ عليها السَّرَقُ والطَّلَبُ ، والعربُ تقولُ : أعْوَرَ مَنزِلُك : إذا ذهبَ سَترُه أو سَقَطَ جِدارُه ، وكُلُّ ما كُرِهَ انكِشافُه عندَهُم ، فهو عورةٌ . (ولَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِهـا) [الأحزاب : ١٦] أي : لو دُخِلَ على المُنافِقين مِنْ أقْطار المدينة ونواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لآتَوْها) قيل : [لو] سُئِلوا القتالَ في العصبية لأسْرَعوا إليه . وقيل : لو سُئلوا الشِّرْكَ لأَجابوا إليهِ مُسْرعين (وما تَلَبَّثُوا) عن الإجابة إلى الفتنة (إلّا يسيراً) وقيل : ما لبِثُوا في المدينة إلّا قليلا حتّى يُعذَّبوا .

وقال الله تبارك وتعالى : (يُخرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وَأيدي المُؤمنين)

[الحشر : ٢] قيل : بأيديهم لِنَقْض المُوادَعة وَأَيْدي المؤمنينَ المُقاتِلَة . وقيل : بأيديهم في تركِها وبأيدي المؤمنين بإجلائِهم عنها . وَقيل : بأيديهم في خَراب دواخِلِها وما فيها ، لئلا يأخُذَهُ المسلمون ، وأيدي المؤمنينَ في خَراب ظواهِرها ليصِلُوا بذلك إليهم . وقيل : كانت منازِلُهم مُزَخْرَفَة ، فحسدوا المسلمين أن يَسكنُوها فخرّبُوها مِنْ داخِلٍ ، وَخرّبها المسلمونَ مِنْ خارِج . وقيل : إنَّهم كانوا كُلَّما هَدَمَ عليهمُ المسلمون مِنْ حُصونِهم شيئاً نَقَضوا مِنْ بُيوتِهم ما يَعْمُرُونَ به ما خَرِبَ مِنْ حُصونِهم . وقيل : تَخْريبهُم لبيوتِهم أنَّهم لمَّا صُولِحوا على حَمْل ما أَقَلَّتهُ إبلُهُم ، جعلوا يَنقُضونَ ما أعْجبهم مِنْ بيوتِهم حتى الأَوتادَ ، ليحمِلوها على إبلهم .

وقال الله تبارك وتعالى : (وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيُوتِكُم سَكَناً) [النحل : ٨٠] . قال مُجاهِد : مَوْضِعاً تسكنونَ فيه (وَمِنْ جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتاً) وهيَ : الخِيامُ (تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُم وَيَوْمَ إقامَتِكُم) فذكرَ تعالى لهم النِّعْمَةَ عليهم فيما جَعَله لهم مِنْ بيوتِ الأَوطانِ الثابتة ، وبيوتِ الأَسفارِ المنقَّلة ، لِتَعُمَّهُم النِّعمة في إقامَتِهم وأسفارِهم .

وقال الله تبارك وتعالى حِكايةً عنْ نُوح عليه السلام : (رَبِّ اغفِرْ لي وَلوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً) [نوح : ٢٨] . قيل : أراد

أباه لمكا وأمه منخيل، وكانا مؤمنين . وقيل : أرادَ أباهُ وَحدَهُ .
(وَلِمَنْ دَخلَ بَيتيَ مُؤمِناً) . قيل : صَديقي الدَّاخِلُ إلى منزلي ،
وَقيل : مَنْ دَخلَ مسجدي [1] . وقيل : مَنْ دخل في ديني .

وقال الله تبارك وتعالى : (ليسَ عَلَيكُم جُناحٌ أنْ تأكُلوا مِنْ بُيُوتِكم أوْ بُيُوتِ آبائِكُم أَوْ بُيوتِ أُمَّهاتِكُم أوْ بُيوتِ إخوانِكم أوْ بُيوتِ أَخواتِكم أوْ بُيوتِ أعْمامِكُم أوْ بُيُوتِ عَمّاتِكم أوْ بُيُوتِ أَخوالِكُم أو بُيُوتِ خالاتِكم) [النور : ٦١] . أباحَ سُبْحانه الأَكلَ في بيوتِ هؤلاء لمكانِ النَّسَبِ مِنْ غيرِ اسْتِئْذانِهِم في الأَكل إذا كان الطعامُ مَبذولاً ، فإنْ كان مُحْرَزاً دُونَهم لم يَكُنْ لهم هَتْكُ حِرْزِهِ . ولا يَجُوزُ أنْ يتجاوزَ الأَكل إلى الادّخار إلى ما ليس بمأكول ، وإنْ كانَ غيرَ مُحْرَزٍ عنهم إلّا بإذنٍ منهم .

وقال الله تبارَكَ وتعالى : (وَأَوْحَينا إلى مُوسى وَأَخيهِ أَنْ تَبوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً) [يونس : ٨٧] . أي : مساكِنَ يسكنونها . وقيل : قوْلُهُ « مصر » : إنَّها الاسكندريَّة ، وقيل : بلْ هيَ مِصر ، وقيل : اتَّخِذوا قُصوراً ، وَقيلَ : مَساجِدَ (واجعَلوا بُيُوتَكم قِبْلَةً) .

---

(١) نقل ابن كثير هذا التفسير عن الضحاك ، وقال : ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن .

قيل : مُقابلَ بعضِها بعضاً ، وقيل : اجعلوا مساجِدَكم قِبَلَ الكعبة .

وقال الله تبارك وتعالى : (وأوْحى ربُّكَ إلى النَّحل أنِ اتَّخِذي مِنَ الجبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجرِ وَمِمّا يَعرِشُونَ) [النحل : ٦٨] . في «أوْحى» ثلاثة أقوال ، أحدُها : ألهمها . والآخر : سَخَّرها ، والثالث : أنَّه سبحانه جعل ذلك في غرائزها مِمّا يَخْفى مِثلُهُ على غيرها . (أنِ اتَّخِذي مِنَ الجبالِ بُيُوتاً) ذكرَ تعالى بُيُوتَها ، لِما ألهَمَها وأوْدَعهُ غرائزَها مِنْ صِحَّة القِسْمَة ، وحُسْنِ الصَّنعة .

وقال الله تبارك تعالى : (مَثَلُ الَّذينَ اتَّخذوا مِنْ دُونِ اللهِ أوْلياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيتاً ، وإنَّ أوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العنكبوت لَوْ كانُوا يَعلَمُونَ) [العنكبوت : ٤١] يعني سبحانه آلهةً مِنْ أصنامٍ وَأوْثانٍ عَبَدُوها (كَمَثَل العَنكبوتِ اتَّخَذَتْ بيتاً) يعني : أنَّهُم عبدوا مالا يُغْني عنهم شيئاً ، كبيتِ العنكبوتِ لايَسْتُرُ الأبصارَ ، ولا يَدْفَعُ الأيدي .

وَعن عَطاءٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما ذَكرَ آلهَةَ المُشركين ، فقال سبحانه : (وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شيئاً لا يَستَنْقِذُوهُ مِنهُ) [الحج : ٧٣] . وَذَكرَ كَيْدَ الآلِهَةِ ، فجعلَهُ كبيتِ العنْكبوتِ ، فقالوا : أرَأيْتَ حيثُ ذَكرَ الله الذُّبابَ والعنكبوتَ فيما أُنزلَ على محمَّد ﷺ أيُّ شيءٍ يصنَعُ

بهذا ؟ فأنْزَلَ اللهُ عزَّ وجل : (إنَّ اللهُ لايستَحيي أنْ يَضْرِبَ مثلاً ما بَعُوضَةً فما فوْقَها ...) الآية [١] [البقرة : ٢٦] .

قال القاضي الماوَرْدي رحمه الله : البَعُوضَة مِنْ صِغار البَقّ ، سُمِّيتْ بذلك ، لأنَّها كبعض البَقَّة في صِغرها . وقيل : نسجت العنكبوت مرَّتين : مَرَّة على داودَ عليه السلام ، ومَرَّةً على النبي ﷺ [٢] . وَجَمْعُ عنكبوت : عناكِب ، وتصغيرهُ : عُنَيْكِبْ .

وقد ذكر علي رِضوانُ الله عليه العنكَبوتَ في كلام لهُ . رُوي أنَّ رَجُلاً أتى عَلِيّاً رضوان الله عليه فقال : يا أميرَ المؤمنينَ إنَّه قُضِيت عليَّ قضيَّةذهبَ فيها مالي وأهلي ، فخرج إلى الرَّحْبة ، فاجتمعَ عليه النَّاسُ ، فقال رضوانُ الله عليه : ذِمَّتي بما أقول رهينةٌ وأنا به زعيم إنَّ مَنْ

---

(١) « أسباب النزول » للواحدي : ١٣ .

(٢) جاء في « طبقات ابن سعد » ٢٢٩/١ : عن أبي مصعب المكي وقال : أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبه ، فسمعتهم يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته . . . » وفي سنده ضعيف ومجهول ، وفي مسند أحمد ٨٧/٥ من حديث ابن عباس « . . . فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت » ، وفي سنده عثمان بن عمرو الجزري ، وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره .

صَرَّحتْ لهُ العِبَرُ عمّا بينَ يديهِ منَ المَثُلات (١) حَجَزهُ التَّقوى عنْ تقحُّم الشُّبهاتِ ، وإنَّ أشقى النَّاس رجلٌ قَمَّشَ (٢) عِلماً في أوْباش الناس بغير عِلْم وَلا دليل ، فاستكْثر ممّا قَلَّ منه خير ، فأكثر حتى إذا ارْتَوى مِنْ آجِنٍ آسِنٍ (٣) غير طائل ، جلس للنَّاس مُفتياً ، ليُخلِّصَ ما ٱلتبسَ على غيره ، فهو في قطَع مِنَ الشُّبُهات في مِثل نسْج العنكبوت ، لايدري أصاب أم أخْطأ ، خبَّاطُ عَشواتٍ ، رَكّابُ جهالاتٍ ، لم يَعَضّ على العِلْم بضِرْس قاطِعٍ فيغنَم ، ولم يسكُتْ فيسلَم ، تَصْرَخُ منه الدّماء ، وتبكي منه المواريث ، ويُستَحلُّ بقضائِهِ الفَرْجُ الحرام ، أولئك الذين حَلّت عليهم النِّياحةُ في أيام حياتهم . أوجَبَ إيراد هذا الحديث ما فيه من ذكر العنكبوت .

عن أنس بن مالك رحمه الله قال : قال النبي ﷺ : « ما مِنْ بيتٍ إلّا وَمَلَكُ الموت يقفُ على بابه في كل يوم خمس مرَّات ، فإذا وَجدَ إنساناً قد نَفِدَ أجَلُه ، وانقطعَ عَمَلُه ، ألقى عليه غمَّ الموت ، فغَشِيتْه كُرُباته ، وغمرتْهُ غمراته ، وَجهرتْ الباكية بشجوِها ، والصَّارخةُ بوَيْلِها ،

(١) المثلات : واحدها : المَثُلة ، وهي العقوبة .

(٢) القمش : جمع الشيء من هاهنا وهاهنا .

(٣) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والآسن : مثل الآجن .

فيقولُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام : وَيْلَكم وَفيمَ الفَزَعُ ، وَفيمَ الجَزَعُ ؟ ما أَذْهَبْتُ لواحِـدٍ مِنكم رِزقاً ، ولا قَرَّبْتُ له أجلاً ، ولا أتَيْتُه حتى أُمِرْتُ ، ولا قَبَضْتُ روحَه حتى استأمرت ، وإنَّ لي فيكم عَوْدَةً ، ثمّ عَوْدَة ثم عَوْدَة حتى لا أبقي منكم أحداً . قال النبي ﷺ : « فوالذي نفسي بيده لو يَرَوْنَ مكانه أو يسمَعونَ كلامه لَذَهِلوا عن مَيّتِهِم ، ولبكوا على أنفُسهم » . حتى إذا حُمِلَ الميّتُ على نعشه رَفْرَفَتِ الرُّوح فوق النَّعْش ، فهو ينادي : يا أهلي ويا وَلَدي ، لا تَلْعَبَنَّ بكمُ الدُّنيا كما لعِبَتْ بي ، جَمَعْتُ المال مِنْ حِلّه ومن غيرِ حِلّه ، ثمّ خَلَّفْته لغيري ، فالهناءةُ له ، والتَّبِعَة عليَّ . فاحذَروا ما حَلَّ بي .

عن أبي موسى الأَشعري رحمـه الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ بيتٍ يُذكرُ الله تعالى فيه ، وبيتٍ لا يُذكرُ الله فيه مثلُ الحيِّ والميت » [1] . وقال ﷺ : « نَوِّروا بُيوتَكم بتلاوةِ القُرآن يَفِرّ منها

---

(١) « البخاري » ١٧٧/١١ ، و « مسـلم » ٥٣٩/١ ، ولفظ البخاري : حدثنا محمد بن العلاء حدثنـا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » قال الحافظ ابن حجر : « هكذا وقع في جميع نسخ البخاري ، وقـد أخرجه مسلم عن أبي كريب ، وهو محمد بن العلاء شيخ البخاري فيه بسنده المذكور بلفظ : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه ، والبيت —

الشيطان » . وقال ﷺ : « نُزُولُ الضَّيفِ في البيتِ بَرَكَة » . وقال ﷺ : « لا تَدْخُلُ الخِيانَةُ بيتاً إلّا خَرِبَ » . وقال ﷺ : « لا تَدْخُلُ السَّرِقةُ بيتاً إلّا أوْرَثَتْهم الذُّل » . وقال ﷺ : « ما مِنْ أحَد يَخْرُجُ مِنْ بيته يطلُبُ العِلْم إلّا وَضعت لهُ المَلائكةُ أجنِحَتها رِضىً بما يصنَعُ »[1] . وقال ﷺ : « ما مِنْ أحَدٍ يَخْرُجُ مِنْ بيته مُجاهِداً في سبيل الله تعالى إلّا لم تزل الملائكة تستغفر له حتى يرجع . وقال الوزير الكاملُ أبو القاسم بنُ المغربي[2] وقد حج :

- الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » وكذا أخرجه الاسماعيلي وابن حبان في صحيحه جميعاً عن أبي يعلى عن أبي كريب ، وكذا أخرجه أبو عوانة عن أحمد بن عبد الحميد ، والاسماعيلي أيضاً عن الحسن بن سفيان عن عبد الله بن براد ، وعن القاسم بن زكريا عن يوسف بن موسى وابراهيم بن سعيد الجوهري وموسى ابن عبد الرحمن المسروقي والقاسم بن دينار ، كلهم عن أبي أسامة . وانفراد البخاري باللفظ المذكور دون بقية أصحاب أبي كريب وأصحاب أبي أسامة يشعر بأنه رواه من حفظه ، أو تجوّز في روايته بالمعنى الذي وقع له . . . »

(١) رواه الترمذي من حديث صفوان بن عسال وصححه . والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وصححه .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف ابن بحر بن بهرام المعروف بالوزير المغربي ، وبابن المغربي : أديب ، ناثر ، شاعر ، من أدهى البشر وأذكاهم ، ولي الوزارة ، وتوفي بميافارقين سنة ٤١٨ . ترجمته في «وفيات الأعيان» ١/٤٢٨ ، و«إرشاد الأريب» ١٠/٧٩ ، و«شذرات الذهب» ٣/٢١٠ .

أَسْتارُ بيتِكَ أَمْنُ الخَوْفِ مِنْكَ وقدْ   عَلِقْتُها مُستجيراً مِنْكَ ياباري

وَما أَظُنُّكَ لمَّا أَنْ عَلِقْتُ بها   خَوْفاً مِنَ النَّارِ تُدْنيني مِنَ النَّارِ

وَها أَنا جارُ بيتٍ أنتَ قُلتَ لنا   حُجُّوا إليهِ وقد أوْصَيتَ بالجارِ

قُرِىءَ على حائطِ قصْرٍ بأعْلى الحِجاز قد خَرِبَ وبادَ أهلُه :

باللهِ رَبِّك كمْ بيتٍ مَرَرْتَ بهِ   قد كانَ يُعمَرُ باللّذاتِ والطَّرَبِ (١)

طارَتْ عُقابُ المنايا في سقائفِهِ   فصارَ مَنْ بعدِهم للوَيْلِ والحَرَبِ

هذانِ البيتانِ لإبراهيم بن المَهدي .

وقال أبو العلاء بن سليمان المعرّي :

كلُّ بيتٍ لِلهَدْمِ ما تَبْتَني الوَرْ   قاءُ والسَّيِّدُ الرَّفيعُ العِمادِ (٢)

واللَّبيبُ اللَّبيبُ مَنْ ليسَ يَغْتَرْ   رُ بكَوْنٍ مَصيرُهُ لِفَسادِ

---

(١) البيتان في « عيون الأخبار » ٢/٣٠٤ ، ونسبها لابراهيم بن المهدي .

(٢) « شروح سقط الزند » ٣/١٠٠٢ من مرثيته الرائية التي رثى بها الفقيه أبا حمزة الحنفي ، ومطلعها :

غير مجد في ملّتي واعتقادي   نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادي

قال البطليوسي : الورقاء : الحمامة ، يقول : بيت السيد الرفيع العماد على حصانته ، وتأنقه في بنيانه ، كبيت الحمامة في ضعفه ووهي أركانه . وخص الحمامة ، لأن العرب تضرب بها المثل في قلة الحذق بالعمل ، فيقولون للرجل الذي لا يحسن أن يعمل : « هو أخرق من حمامة » .

وقال أبو العتاهية :

عِشْ ما بَدا لكَ قَصْرُكَ المَوْتُ   لا مَعْقِلٌ منهُ ولا فَوْتُ (١)

بَيْنَا غِنى بَيْتٍ وساكنُه   زالَ الغِنى وَتَقَوَّضَ البيتُ (٢)

وقال آخر - أظنه أبا العتاهية :

قد آنَ أَنْ يُسْمِعَكَ الصَّوْتُ   أنائِمٌ قَلْبُكَ أمْ مَيْتُ ؟ (٣)

يا بانِيَ البيتِ على غِرَّةٍ   أمامَكَ المنْزِلُ والبَيْتُ

وإنَّما الدُّنيا على طُولِها   ثَنِيَّةٌ مَطْلَعُها المَوْتُ

وقال أبو العلاء بن سليمان مِنْ قَصيدة يَرْثي بها والِده :

---

(١) لم يردا في الديوان ، ولا في تكملته ، وهما في « عيون الأخبار » ٢/٣٠٤ منسوبين للخليل بن أحمد العروضي ، وفي « البيان والتبيين » ٣/١٨٣ ، و « اللسان »: « قصر » بدون نسبة . ورواية البيت الأول في « عيون الأخبار » :

كن كيف شئت فقصرُكَ الموت   لا مرحَلٌ عنه ولا فوتُ

وقصرك : قصاراك وغايتك .

(٢) في « عيون الأخبار » : ... بيت وبهجته .

(٣) لم ترد في الديوان ، وورد فيه : ص ٧٩ بيتان هما :

اسمع فقد آذنك الصوتُ   إن لم تبادرْ فهو الفوتُ

نَلْ كلَّ ما شئت وعش آمناً   آخِرُ هـذا كلِّه الموتُ

هَنيئاً لكَ البيتُ الجديدُ مُوَسَّداً ... يمينَكَ فيـهِ بالسَّعادَةِ واليُمْنِ (١)

مُجاوِرَ سَكْنٍ في دِيارٍ بَعيدَةٍ ... مِنَ الحيِّ سَقْياً للدِّيارِ وللسَّكْنِ (٢)

أُمِرُّ بِرَبْعٍ كنت فيهِ كأنَّمـا ... أُمَرُّ مِنَ الإجلالِ بالحِجْرِ والرُّكْنِ (٣)

وإجلالُ مَغْناكَ اجْتهـادُ مُقَصِّرٍ ... إذا النَّصْلُ أَوْدى فالعَفاءُ على الجَفْنِ (٤)

وقال آخر (٥) :

---

(١) « شروح سقط الزند » ٩٢٤/٢ ومطلع القصيدة :

تَقيمتُ الرضى حتى على ضاحكِ المزن ... فلا جادني إلا عبوسٌ من الدَّجن

(٢) السكن : أهل الدار ، واحدهم ساكن . وبعد البيت :

طلبتُ يقيناً من جُهَيْنة عنهم ... ولن تخبرني يا جُهَين سوى ظنّ

فان تعهدبني لا أزالُ مُسائلاً ... فاني لم أعْطَ الصحيحَ فأستغني

وإن لم تكن للفضل ثمَّ مزيّةٌ ... على النّقص فالويلُ الطويل من الغَبْن

(٣) في «السقط»: أمرّ من الاكرام ، والحجر : ما حواه الحطيم ، وكل ما حجرته من حائط فهو حجر ، وهو فعل بمعنى مفعول ، من الحجر وهو المنع .

(٤) في « السقط » : إذا السيف . المغنى : المنزل ، والعفاء : دروس الشيء وبلاه ، وأودى : هلك ، والجفن : غمد السيف . قال التبريزي : أنا أجل منزلك الذي كنت تحلّه ، وذلك اجتهاد من مقصّر ، لأن السيف إذا فقد ، فلا فائدة في إجلال غمده .

(٥) هو كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي المكي ، روى الحديث عن أبيه ، وسعيد بن جبير وعلي بن عبد الله البارقي وغيرهم ، قال ابن -

أَسْعِدَاني بِعَبْرَةٍ أَسْرابِ   مِنْ دُمُوعٍ كثيرَةِ التَّسْكابِ (١)

إنَّ أهْلَ الحِصابِ قد تَرَكوني   مُوزَعاً مُولَعاً بأهْلِ الحِصابِ (٢)

أهْلِ بيتٍ تَتَايَعُوا لِلمنايا   ما على الدَّهر بَعْدَهُمْ مِنْ عِتابِ (٣)

فارَقُوني وقد عَلِمْتُ يقيناً   ما لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً مِنْ إيابِ

كَمْ بذاكَ الحَجُونِ مِنْ حَيٍّ صِدْقٍ   وَكُهُولٍ أعِفَّةٍ وَشَبابِ (٤)

فلِي الوَيْلُ بعدَهُمْ وعليهِم   صِرْتُ فَرْداً وَمَلَّني أصحابي

عن حَمّاد الرَّاوية قال: حدَّثنا ابنُ أختٍ لنا مِنْ مُراد قال: وَلِيتُ صَدَقاتِ قومٍ مِنَ العرَب، فبيْنا أنا أقْسِمُها في أهلِها، إذْ قال لي رجلٌ

= سعد: كان شاعراً قليل الحديث، وقال أحمد وابن معين: ثقة. مترجم في «التهذيب» ٨/٤٣٦، و«نسب قريش» ٤٠٧، و«معجم الشعراء» ٢٣٩.

(١) الأبيات في «الأغاني» ١/٣٢١، ٢/٣٤٣، والثالث والرابع في «معجم الشعراء» ٢٤٠ للمرزباني، والخامس والسادس في «معجم البلدان» ٥/٣٧١. أسراب: جمع سرب، والسرب: الماء السائل.

(٢) في «الأغاني»: مُوْلَها مولعاً. والحصاب، بكسر الحاء: موضع رمي الجمار بمنى، وأوزع بالشيء وزوعاً كأولع، وفي الحديث: أنه كان موزعاً بالسواك، أي: مولعاً به.

(٣) التتايع: الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه، ولا يكون في الخير، وقيل: التتايع في الشر كالتتابع في الخير.

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

منهم : أَلا أُريكَ عجباً ؟ قلتُ : بلى . فأَدخَلَني في شِعْبٍ مِنْ جَبل . فإذا أنا بسَهْمٍ مِنْ سِهام عاد بن قنا قد نَشِبَ في ذروةٍ مِنَ الجبل مكتوبٍ عليـه :

أَلا هَلْ إلى أَبياتِ شمخٍ إلى اللِّوى ... لِوَى الرَّمل يَوْمـاً للنُّفُوس مَعادُ
بلادٌ بها كُنَّا وكُنَّا مِنَ أَهْلِهـا ... إذِ النَّاسُ ناسٌ والبِـلادُ بلادُ

ثمَّ أخرَجني إلى ساحل البحر ، فإذا أنا بحَجَر يعلوه المـاءُ طَوْراً ، وَيظهَرُ طوراً [وإذ] عليه مكتوبٌ : يا ابنَ آدَم ، يا عَبْدَ رَبِّهِ : اتَّقِ اللهَ ولا تعجَـلْ في أَمْرِكَ ، فإِنَّكَ لنْ تسبِقَ رزقَكَ ، ولا تُرْزَقُ ما ليس لك . ومِنَ البصرةِ إلى دُبيل [1] سِتمائةِ فَرْسَخٍ ، فمن لم يُصَدِّقْ ، فليمْش على الطَّريق على السَّاحِل حتى يتحقَّقَه ، فمنْ لم يقْدِرْ على ذلك فلينْطَحْ برأْسِه هذا الحَجَر [2] . وقال أبو بكْر محمدُ بنُ عيسى الدَّاني مِنْ شُعراءِ الأَندلس يَندُبُ المُعتمِد على الله أبا القاسم محمد بن المُعتضد بالله أبي عَمْرو عبَّاد ابن محمد بن عبَّـاد حينَ تَغلَّبَ على بلادِهِ يُوسف بن تاشـفين المُلَثَّم ،

(١) « دبيل » في الأصل بضم الدال ، وضبطها ياقوت بفتح أوله وكسر ثانيه بوزن : زبيل ، وهو موضع يتاخم أعراض اليمامـــة ، وقيل : رمل بين اليمامة واليمن ، ودبيل أيضاً : مدينة أرمينية تتاخم أرّاك ، ودبيل : من قرى الرملة.

(٢) الخبر مع الشعر في « الأغاني » ٢١/١٠٦ .

وانتزعه من ملكه، وكان أديباً، جواداً، محسناً إلي أهل الأدب:

يا ضَيْفُ أَقفَرَ بيتُ المكرُماتِ فخُذْ في ضمِّ رَحلِكَ وأجْمَعْ فضلَةَ الزّادِ [١]

وَيا مُؤمِّلَ واديهم ليَسكُنَهُ خفَّ القَطينُ وَجفَّ الزّرْعُ بالوادي

ضَلَلْتَ سُبلَ النّدى يابنَ السَّبيل فسِرْ بغير قَصْدٍ فما يَهْديكَ مِنْ هادِ [٢]

إنْ يُخْلَعُوا فبَنُو العبَّاسِ قد خُلِعُوا وَقدخَلَتْ قبلَ حِمْصٍ أرضُ بغدادِ [٣]

سارَتْ سَفاينُهم والنَّوحُ يَتْبَعُها كأنّها إبلٌ يَحْدو بها حادِ [٤]

وأوّلُ هذا الشعر:

تبكي السَّماءُ بدَمْعٍ رائحٍ غادي على البهاليل من أبناء عَبّادِ

---

(١) الأبيات في «قلائد العقيان» ٢٣، و«المعجب في تلخيص أخبار المغرب» ١٤٨، و«نفح الطيب»

(٢) رواية البيت في «المعجب»:

خلّت سبيلُ النّدى بابنِ السبيل فسِرْ لغير قصدٍ فما يهديك من هادي

(٣) في الأصل تحت كلمة «حمص» ما نصه: حمص: بلد بالمغرب. قلت: وفي «معجم ياقوت»: وحمص أيضاً بالأندلس، وهم يسمون مدينة اشبيلية حمص، وذلك أن بني أمية لما حصلوا بالأندلس وملكوها سمّوا عدة مدن بها بأسماء مدن الشام. وقال ابن بسام: دخل جند من جنود حمص - وهي التي بين دمشق وحلب - فسكنوا اشبيلية فسميت بهم.

(٤) في «القلائد»: ... والنوح يصحبها.

عِرِّيسَةٌ دَخَلَتْهـا الحادِثاتُ على أساوِدٍ منهُمُ فيهـا وآسادِ [1]
وكَعْبَةٌ كانتِ الآمالُ تَعْمُرُها فاليومَ لا عاكِفٌ فيها ولا بادِ
كَمْ مِنْ دراري سُعودٍ قد هَوَتْ وَوَهَتْ منهم وَمِنْ دُرَرٍ لِلْمَجْدِ أَفْرادِ [2]

وبعدَهُ الشِّعرُ المقدَّم.

وقال الشَّمَرْدَل بنُ شَريك المَنْقري [3] يرثي أخاهُ وائلاً:

لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ مِنّا لَمُوْلَعٌ بِمَنْ كانَ يُرْجى نَفْعُهُ وفواضِلُهْ [4]
وَما البُعْدُ إلّا أَنَّنا بعدَ صُحْبَةٍ كأَنْ لم نُبايِتْ وائِلاً ونُقايِلُهْ [5]
فأَصْبَحَ بيتُ الهَجْرِ قد حالَ دُونَهُ وَغالَ امْرءاً ما كانَ تُخْشى غوائِلُهْ
سقى الضَّفِراتِ الغَيْثُ ما دامَ ثاوِياً بِهِنَّ وَجادَتْ أهلَ شَوْلٍ مَخايِلُهْ [6]

---

(١) في «القلائد» و «المعجب»: ... النائبات ... أساودٍ لهم، والعِرّيسة: مأوى الأسد.

(٢) في «المعجب»: كم من دراريِّ سعدٍ ...

(٣) هو الشمردل بن شريك بن عبد الملك من بني ثعلبة بن يربوع التميمي، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، عاصر جريراً والفرزدق.

(٤) الأبيات في «الأغاني»: ١٣/٣٥٥، و «أمالي اليزيدي»: ٣٤، وذكر أنها مختارة من «الأصمعيات» ولم ترد فيها. وقال أبو عبيدة: وهي من مختار المراثي، وجيد شعره.

(٥) بايته: بات معه، وكذا قايله: نام وقت القائلة وهي الظهيرة.

(٦) الضفرات في الأصل بالصاد المهملة، وفسر اليزيدي الضّفرات –

وما بي حُبُّ الأرض إلّا جِوارُها صَداهُ وقولٌ ظَنَّ أنّيَ قائِله

عن عُمَير الرِّمّاح قال : رأيتُ مَهْناةَ بنت الذَّيّال اليَشكُرِيَّة وقد أفسدت الدُّموعُ خدَّيْها لِكَثْرَةِ بُكائِها ، فقلتُ لها : إلى كمْ هذه العَبْرَة وشَرَق الحَسْرَة ؟ قالت : إلى أنْ يَضُمَّني ماضَمَّ مَسْعوداً ، تعني : القبر . ومسعود ابنُ عبد الله بن عَوْفٍ زوجُها قتله بنو جعفر بن كلابٍ يَوْمَ الخاصّة ، فقالت لناعيهِ : هلْ قالَ شيئاً وهو يَجُودُ بنفسِهِ ؟ قال : نعم ، قال :

أَتُرى التي خَلَّفْتُها في بيتِها وضَمَمْتُ ساعِدَها إلى نَحْري
ثَبَتَتْ على العهدِ الذي عاهَدْتُها أَمْ أَخْلَفَتْه وأَغْفلتْ أَمْري ؟

فصاحتْ وقالتْ : يامسعود إنْ أغْفَلْتُه فأغفلني الله مِنْ رحمته .

وقال آخر :

لِلّهِ أبياتٌ إذا أوطنتها غَنِيَ الفقيرُ بها وعَزَّ الجاني
قَوْمٌ إذا نَزَلَ الغريبُ بدارِهِمْ مَنَحوهُ سَلْوَتَهُ عن الأَوْطانِ

- بقوله : الضَّفِر والعَقِد من الرمـــل : ما تراكم وتلبّد ، وفي « اللسان » : الضَّفِرة : أرض سهلة مستطيلة منبتة تقود يوماً أو يومين . وقوله : « أهل شول» كذا في الأصل و « أمالي اليزيدي » ، وفي « الأغاني » : أهل شُوك . قال ياقوت: وشوك ، بالضم : ناحية نجدية قريبة من الحجاز .

عن ابنِ جُرَيج قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى لَيُحِبُّ البيتَ الخَصِبَ » ، يعني الكثيرَ الخَيرِ .

حضَرَتْ جَليلةُ بنتُ مُرَّة بن ذُهْل بن شَيبان أُختُ جَسَّاس بن مُرَّة قاتِلِ كُلَيْب - وهيَ امرأةُ كُلَيب بن ربيعة - مأْتَمَ زَوْجِها كليب ، فأخْرَجَتْها أُخته ، وقالت لها : اخرُجي يا هذه عنْ مأْتَمِنا ، فأنتِ أختُ واتِرِنا ، وشقيقتُه . فلما خَرَجتْ لَقِيَها أبوهـا مُرَّة ، فقال : ما وراءَكِ ياجليلة ؟ قالتْ : ثُكلُ الأَبَد ، وقِلَّةُ العَدَدْ ، وَفقْدُ حَليل ، وقَتْلُ أخٍ عنْ قليل ، وبينَ ذَيْنِ غرْسُ الأَحقادِ ، وتَفَتُّتُ الأكباد . فقال لها : أَوَ يَكُفُّ ذلك كَرَمُ الصَّفْح ، وإغْلاءُ الدِّيات ؟ فقالت : أُمنِيَّةُ مَخْدوعٍ وربِّ الكعبة ! أبالبُدْنِ تَدَعُ لكَ تَغْلِبُ دَمَ رَبِّها ! [1] ثم قالت جليلة في ذلك :

---

(١) في « الأغاني » بعد هذا الكلام زيادة وهي : « ولما رحلت جليلة ، قالت أخت كليب : رِحْلة المعتدي ، وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مرة من الكرَّة بعد الكرَّة ، فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سِترِها وترقُّب وترها ! أسعد الله جد أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ، ثم أنشأت تقول ...

يابْنَةَ الأَقْوامِ إنْ شِئْتِ فلا تَعْجَلي باللَّوْم حتى تَسْأَلي (١)
فإذا أنتِ تبيَّنْتِ الذي يُوْجِبُ اللَّومَ فلُومي واُعْذُلي
إنْ تكُنْ أُختُ امْرِئٍ لِيمَتْ على شَفَقٍ منها عليه فافْعلي
جَلَّ عِندي فِعْلُ جسَّاسٍ فيا حَسْرَتا عمّا انْجَلَتْ أوْ تَنْجَلي (٢)
يا قتيلاً قوَّضَ الدَّهرُ بهِ سَقْفَ بيتيَّ جميعاً مِنْ عَلِ (٣)
هَدَمَ البيتَ الذي اسْتَحْدَثْتُه وانْثَنى في هدْمِ بيتي الأوَّلِ
خَصَّني يَوْمُ كُلَيْبٍ بلَظَىً مِنْ ورائي ولظَىً مُستقْبِلي (٤)
ليسَ مَنْ يبكي ليَوْمَيْهِ كَمَنْ إنَّما يبكي ليومٍ قد خَلِي (٥)
يَشْتَفي المُدْرِكُ بالثَّأْرِ وفي دَرَكي ثأريَ ثُكْلٌ مُثْكِلي (٦)

---

(١) الأبيات في « الأغاني »: ٦٢/٦ ، ٦٣ ، و «الوحشيات » : ١٢٨ ، ١٢٩ لأبي تمام و « نهاية الأرب » : ٢١٧/٥ ، وغيرها .

(٢) في « الوحشيات » بعد هذا البيت :

فعل جساس على وجدي به قاطع ظهري ومُدْنٍ أجلي
لو بعين فقئت عيني سوى أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما تحمل الأم أذى ما تفتلي

(٣) في « الوحشيات » : قوضت صرعته .

(٤) في « الاغاني » : خصني قتل .

(٥) في « الاغاني » و « نهاية الأرب » : ينجلي ، وفي « الوحشيات » : بجل .

(٦) في « الوحشيات » : درك الثائر يشفيه وفي .

إنَّـني قاتِلَةٌ مَقْتولَةٌ فلَعَلَّ اللهَ أنْ يرْتاحَ لي

عن إسماعيل بن محمد قال : قلتُ لِأَبي العتاهِية : يا أبا إسحاق كلُّ شِعْرِكَ حَسَنٌ عجيبٌ ، وقد مرَّتْ بي منذُ أيام لك أبياتٌ استحسَنْتُها جداً ، وذاكَ أنَّها مُعادَةٌ مِنْ أنصافِ أوائِلِها على أواخِرِها كأنَّها رِسالَةٌ لو كتبها إنسانٌ إلى صـديق لهُ كانَ حَسَناً ، فدَعْ ما يكونُ مِنْ شِعر ، فقال : وما هي ؟ فأنشدتُه :

المرءُ في تأخيرِ مُـدَّته كالثَّوْبِ يَخْلَقُ بعدَ جِدَّتهِ (١)
وحياتُه نَفَسٌ يُعَـدُّ لهُ ووَفاتُه اسْتِكمالُ عِدَّتهِ
ومصيرُهُ مِنْ بَعْدِ أنسَتِه بالنَّاس ظُلْمَةُ بيتِ وَحْدَتِه (٢)
مَنْ ماتَ مالَ ذوُو مودَّتِه عَنْه وَحالوا عنْ مَودَّتِهِ (٣)
عَجَباً لِمُحْتَجِبٍ يُضَيِّعُ ما يَحْتاجُ فيه ليوم رَقْدَتِهِ (٤)
آزِفَ الرَّحيلُ ونحنُ في لَعِبٍ لا نستعِدُّ لـهُ بِعُـدَّتِهِ
وَلقَلَّما تُبقي الخُطوبُ على أَثَرِ الشَّبابِ وَحَرِّ وَقْدَتِهِ

---

(١) ديوانه : ٨٤ ، والأبيات وقصتها في « الأغاني » : ٤/٨٢ .

(٢) في الديوان : مرته ، وفي « الأغاني » : مدته ، وماهنا أجود .

(٣) في الديوان : « حال ذوو ... »

(٤) في الديوان و « الاغاني » : عجباً لمنتبه .

عن هِشام بن عُرْوَةَ قال : قال ابن عمر بن الخطاب لِعُمَر رضيَ اللهُ عنهما : اخطبْ عليَّ ابنةَ نعيم النَّحام رحمه الله تعالى ، فقال : ليسَ بفاعِل ، إنَّ لهُ ابنَ أخٍ يتيم في حجره ، وإنَّه لنْ يعْدُوَه بها . فقال ابنُ عمر لِأَبيهِ : اِئذَن لي في ذلك ، فأنا أُكلِّمُه . قال : أنتَ وذاكَ . قال : فخرج حتى كلَّمَه ، فقال : يابنَ أخي والله لَأَبوكَ خيرٌ مِنْ أبيها ، وأنتَ خيرٌ منها ، ولكن لي ابنُ أخٍ يتيمٌ في حجري قد زوَّجْتُه إيَّاها وأصْدَقْتُها عنه مِنْ مالي عشرةَ آلاف دِرْهم ، ولستُ بالذي أَنْقُضُ لُحومَ النَّاس وأَتْرُكُ لحمي ترباً ، ثم تمثَّل بشعر قاله خالدُ بنُ واثِلَة اللَّيثي :

ولستُ ببانٍ لِامرىءٍ سَمْكَ بيتِهِ وأَتْرُكُ بيتي خالِياً بجمالي
جعلت بناتي في مواليَّ قصرة وما راعني ذو سَوْرَةٍ وجَمالِ
رأيتُ الأُلى يأتونَ لِلنَّصْر دَعْوتي مَواليَّ والأَقْصَيْنَ غيرَ مَوالِ

* * *

فصل آخر
في ذكر البيت

مِمّا يُنْسَبُ إلى المجنون قيس بن المُلَوّح :

أَلا أَيُّها البيتُ الذي لا أَزُورُهُ ... وَهِجْرانُه مِنّي إليه ذُنوبُ (١)
هَجَرْتُكَ إِشْفاقاً وزُرْتُكَ خائِفاً ... وفيكَ عليَّ الدهرَ منك رَقيبُ
أَرى أهلَكَ الأَدْنَيْن صاروا لنا عِدىً ... وأنتَ لنا سِلْمٌ وفيكَ حبيبُ
سأَسْتعتِبُ الأَيامَ فيكَ لعلَّها ... بيومِ سُرُورٍ في الزَّمانِ تؤوبُ (٢)
فكمْ مِنْ بَعيدِ الدّارِ ساعَفَهُ الهوى ... ومُنقَطِعِ الأَسبابِ وهو قَريبُ

ومِمّا يُنسَبُ إليهِ أيضاً :

لَعمرُكَ إنَّ البيتَ بالظّاهرِ الذي ... مَرَرْتُ فلمْ أُلْمِمْ بهِ ليَ شائِقُ (٣)
وإنَّ مُرُوري لا أُكلِّمُ أَهلَهُ ... أَشَدُّ مِنَ الموْتِ الذي أنا ذائِقُ

---

(١) الاول والثاني والرابع في الديوان : ٥٢ ، و « الاغاني » : ٤٨/٢ ، ٦٣.

(٢) في الديوان : « سأستعطف . . . في هواك تثيب » .

(٣) ديوانه : ٢٠٢ عدا البيت الثاني ، وانظر تخريجها فيه . وفيه : ...بالقبل ولم ألمم عليه لشائق . والقبل : الناحية .

وبالجِزْعِ مِنْ أعلى الجُنَينَةِ منزِلٌ   فسيحٌ شَجا صدري به مُتضايقُ [١]
وماذا عسى الواشون أنْ يتحدَّثوا   سِوى أنْ يقولوا إنَّني لكِ عاشِقُ
أجلْ صدَقَ الواشونَ أنتِ حبيبةٌ   إليَّ وإنْ لمْ تَصْفُ منكِ الخلائقُ
كأنَّ على أنيابها الخَمْرَ شابَها   بماءِ النَّدى مِنْ آخرِ اللَّيلِ غابقُ [٢]
ومَا ذُقْتُه إلّا بعيْني تفرُّساً   كما شِيمَ مِنْ أعْلى السَّحابَةِ بارِقُ

وقال آخر :

ألا أيُّها البيتانِ بالأجرَعِ الذي   بأسفلِ مَنْضاهُ غَضاً وكثيبُ
هجرتُكما هَجْرَ البغيضِ وفيكُما   مِنَ النَّاسِ إنسانٌ إليَّ حبيبُ

وقال آخر :

وإنّي على هِجرانِ بيتِكِ كالذي   رأى نَهلاً ريّاً وليسَ بناهِلِ
رأى بَرْدَ ماءٍ ذِيدَ عنهُ ورَوْضةً   بَرودَ الضُّحى فينانَةً بالأصائلِ

وقال قيسُ بنُ ذريح :

---

(١) في الديوان : « شجا حزن » والجنينة : روضة نجدية ، وفي « الحماسة البصرية » : من أعلى الثنية .

(٢) في الديوان : « شجها بماءسحاب آخر» وشج الخمر : فرجها بالماء ، والغابق: الذي يسقي الشراب بالعشي .

أرى بيتَ لُبنى أصبحَ اليومَ يُهجَرُ ... وهِجْرانُ لبنى - يالكَ الخيرِ - مُنْكَرُ [١]

فإنْ تكنِ الدُّنيا بلُبْنى تقلَّبتْ ... فللدَّهر والدُّنيا بُطونٌ وأظْهُرُ [٢]

أتبكي على لبنى وأنتَ تركْتَها ... وأنتَ عليها بالمَلا كنتَ تقدِرُ [٣]

وقال كُثيِّر :

ما بالُ ذا البيتِ الذي كنتَ آلِفاً ... أنارَكَ فيه بعدَ إلفِكَ نائرُ

تزورُ بيوتاً حولَهُ ما تُحِبُّها ... وتَهجُرُهُ سَقْياً لِمَنْ أنتَ هاجرُ

قال بعضُهم : خَرَجْتُ والأَحْوص بن محمد الأنصاري مع عبد الله ابن الحسن إلى الحج ، فقلنا لعبد الله : لو أرْسَلْتَ إلى سُليمان بن أبي دَباكل فأنشدَنا مِنْ شِعرِهِ ، فأرسل إليه فأتانا ، فاستنشدْناه ، فأنشدَنا قصيدته التي أوَّلُها :

يا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّبُ ... ذهبَ الشبابُ وحُبُّها لا يَذهبُ [٤]

---

(١) ديوانه : ٨٦ ، و « الاغاني » : ٢٨/٧ .

(٢) في الديوان : عليّ فللدنيا بطونٌ وأظهر .

(٣) في الديوان : « بالملا أنت أقدر » وفي « الاغاني » : وأنت عليها بالحرا كنت أقدر . والحرا : جناب الرجل وما حوله ، يقال : نزل بحراه وعراه : إذا نزل بساحته .

(٤) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » ١٠٨/٢١ ، ١١٣ ، و «جمع الجواهر» ٧١ ، ٧٣ ، و « خزانة الأدب » ٢٤٨/١ ، ٢٥٠ .

أصبحتُ أمنحُكِ الصُّدودَ وإنَّني قَسَماً إليكِ مع الصُّدودِ لأَجْنُبُ
مالي أَحِنُّ إذا جِمالُكِ قُرِّبتْ وأَصُدُّ عنكِ وأنتِ مِنّي أقْرَبُ
وأرى البعيدَ يُحِبُّكُم فأُحِبُّهُ إنْ كانَ يُنسَبُ منكِ أو يَتنسَّبُ (١)
للهِ درُّكِ هلْ لَديكِ مُعوَّلٌ لِمتيَّمٍ أمْ هلْ لودِّكِ مَطلَبُ ؟ (٢)
تبكي الحمامَةُ شَجْوها فتهيجُني ويَرُوحُ عازِبُ هَمّيَ المتأوِّبُ
وتَهُبُّ جارِيَةُ الرّياحِ مِنْ أرضِكُم فأرى البلادَ لها تُطَلُّ وتُخصِبُ (٣)
وأرى السَّمِيَّةَ باسْمِكُمْ فيَزيدُني شَوْقاً إليكِ سَميُّكِ المُتَنسِّبُ (٤)
وأُخالِقُ الواشِينَ فيكِ تَجمُّلاً وَهُمُ عليَّ ذَوُو ضَغائِنَ دُرَّبُ (٥)
ثُمَّ اتخذتُهُمُ عليَّ وليجَةً حتى غَضِبْتُ ومثلُ ذلكَ يُغْضِبُ

---

(١) رواية البيت في « الأغاني » :

وأرى العدو يودُّكم فأودُّه إن كان ينسب منك أو لا ينسب

وفي « جمع الجواهر » : إن كان ينبىء عنك أو يتنسب ، وفي « الخزانة » : وأرى الصديق . وقوله : تنسب ، أي : أدعى أنه نسيبك .

(٢) في « جمع الجواهر » : وهل إليك ...

(٣) في « جمع الجواهر » ، و « الخزانة » : وتهب سارية الرياح .

(٤) في « جمع الجواهر » : سميُّك المتقرِّب .

(٥) في « الأغاني » و « جمع الجواهر » : وأحالف الواشين ... دُؤَّب .

قال : فلما كانَ مِنْ قابلٍ حَجَّ أبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان ، فقَدِمَ المدينة ، فدخل عليه الأحوص فاستصحَبَهُ - أي طلبَ منهُ أنْ يصْحَبَهُ إلى دمشق - فوَعَدَهُ أبو بكر بذلك ، فلَّما خَرجَ الأحوصُ ، قال لهُ بعضُ جُلَسائِهِ : تقدمُ بالأحوص الشَّام وفيه مَنْ يُناسِبُكَ مِنْ بني أبيكَ[1] ، وهو مِنَ السَّفَهِ على ما قد عَلِمْتَ !

فلَّما أرادَ أبو بكر الرُّجوعَ مِنَ الحجّ ، دخلَ عليه الأحوَصُ مُسْتَنْجِزاً لما وَعدَهُ مِنَ الصَّحابة . فدعا له بمائة دينار وأثوابٍ ، وقال : ياخالُ إنّي نَظَرْتُ فيما سَأَلْتَني ، فكَرِهْتُ أنْ أَهْجُمَ بكَ على أميرِ المؤمنين مِنْ غير إذنٍ فيَحْجُبَك ، فيشْمَتَ بي عَدُوّي مِنْ أهل بيتي ، ولكن خُذْ هذه الدّنانير والثّياب ، وأنا أستأذنُ لكَ أميرَ المؤمنين ، فإنْ أذنَ لكَ ، كَتبتُ إليكَ فقَدِمْتَ . قال : لا ، ولكنّي قدْ سُبِعْتُ[2] عندَكَ ، ولا حاجَةَ لي بعَطِيَّتِكَ .

ثمَّ خرجَ مِنْ عندِه وبلغَ ذلكَ أخاه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يوْمَئِذٍ أميرُ المدينة ، فأرسلَ إلى الأَحوص ، فأتاه ، فلَمَّا دَخل عليه ،

(١) في « الأغاني » : وبها من ينافسك من بني أبيك . وفي «جمع الجواهر» : وفيها من تبعك من بني أبيك . وفي « الخزانة » : وفيها من ينفسك من بني أبيك .

(٢) في « اللسان » : وسبعه يسبعه سبعاً : طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح . وفي « الأغاني » و « الخزانة » : شيعت ، ولعله تحريف .

أعطاهُ مائة دينار وَكساه ثياباً ، فأخذ ذلكَ منه ، ثمَّ قال لهُ : ياخال هَبْ لي عِرْضَ أبي بكر ، قال : هُو لكَ . ثمَّ خرجَ الأحوصُ ، فقال في عِراض قصيدةِ سُليمان بن أبي دَبا كل قصيدةً مَدَحَ بها عمر بن عبد العزيز . أولها :

يا بيتَ عاتِكةَ التي أتعزَّلُ ⁽¹⁾ حذرَ العِدى وبهِ الفُؤادُ مُوكَّلُ ⁽¹⁾
إنّي لأَمْنحُكِ الصُّدودَ وإنّني قسماً إليكِ مع الصُّدودِ لأَمْيَلُ ⁽²⁾
هل عَيشُنا بكِ في زمانكِ راجعٌ فلقدْ تفاحَشَ بعدَكِ المُتعلَّلُ ⁽³⁾
وَتجنُّبي بيتَ الحَبيبِ أَوَدُّهُ أرْضى البغيضَ به حديثٌ مُعْضِلُ
ولئِنْ صَدَدْتِ لأنتِ لولا رِقْبتي أهوى مِنَ اللّائي أزورُ وأدْخُلُ ⁽⁴⁾
أينَ الشَّبابُ وعيشُنا اللّذُّ الذي كُنَّا بهِ زمناً نُسَرُّ وَنُجذَلُ ⁽⁵⁾
ذهبتْ بشاشَتُهُ وأصبحَ ذِكْرُهُ حُزْناً يُعَلُّ بهِ الفُؤادُ ويُنهَلُ

---

(١) عاتكة : هي بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية . أتعزل : أتجنبه وأكون بمعزل عنه ، وقوله : « وبه الفؤاد موكل » من وكلته بأمر كذا : فوضته إليه .

(٢) يريد : أنه يظهر هجر هذا البيت ومن فيه وهو محب لهم خوفاً من أعدائه .

(٣) تفاحش : من فحش الشيء : إذا قبح ، والمتعلل : اسم مفعول من تعلل بالشيء : إذا تلهّى به .

(٤) الرقبة ، بكسر الراء : اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

(٥) في « الأغاني » : إن الشباب ... ، واللذ : اللذيذ .

إلّا تذكّرُ ما مضى وَصَبابَةً مُنِيَتْ لِقلبِ مُتَيَّمٍ لا يَذْهلُ
أوْدى الشَّبابُ وأخْلفتْ أيامُهُ وَأنا الحزينُ على الشَّبابِ المُعْولُ

والقصيدة طويلة ، ثمّ خرج فيها إلى مدح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وشكره ، ثمّ ختمها بقوله :

وأراكَ تَفْعَلُ ما تقولُ وبعضُهم مَذِقُ اللِّسانِ يقولُ ما لا يفعلُ
وأرى المدينةَ حينَ صِرْتَ أميرَها أَمِنَ البريءُ بها ونامَ الأعزَلُ

فلما أنشدَها ، قال له عمر رضي الله عنه : ما أراكَ أعْفيْتَني مِمّا اسْتعْفَيْتُكَ منه ، وذلكَ أنّه مَدَحَ عمر ، وعرَّضَ بأخيه أبي بكر .

وقال الأحوص وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأَفْلَح :

أدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعْفَرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أدُورُ [1]
وما كُنتُ زَوّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سيزورُ
أزورُ على أنْ ليسَ يَنفكُّ كلّما أتَيْتُ عَدُوٌّ بالبَنانِ يُشيرُ [2]
فقد أنكرَتْ بعدَ اعترافٍ زيارَتي وقد وُغِرَتْ فيها عليَّ صُدُورُ

(١) الأبيات في « الأغاني » : ٦/٢٥٥ وترتيبها يختلف عما هنا .
(٢) في « الأغاني » : ليس أنفك ... عدواً ، وما هنا أجود .

وقال أيضاً :

وإني لآتي البيْتَ مـا إنْ أُحِبُّهُ وَأُكْثِرُ هَجْرَ البيْتِ وهوَ حبيبُ (١)

وأُغضي على أشياءَ منكِ تَسوؤني وَأُدعى إلى ما سَرَّكم فأُجيبُ (٢)

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

وَلَهنَّ بالبيْتِ العَتيقِ لُبانَـةٌ وَالرُّكنُ يَعرفُهُنَّ لو يَتكلَّمُ (٣)

لو كانَ حيًّى قَبْلَهُنَّ ظَعائناً حَيَّى الحَطيمُ وُجوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

لَبِثُوا ثلاثَ مِنىً بأنعَمِ عِيْشةٍ وَهُمُ على سَفَرٍ لَعَمْرُكَ ما هُمُ

مُتجاوِرَيْنِ بغيرِ دارِ إقامَـةٍ لَوْ قدْ أَجَدَّ رحيلُهُم لم يَنْدَمُوا

وكأنَّهُنَّ وقد حَسَرْنَ لَوَاغِباً بيضٌ بأكنافِ الحَطيمِ مُرَكَّمُ

وقال يزيد بنُ الطثريَّة (٤) :

---

(١) « الأغاني » : ٢٥٦/٦ .

(٢) في « الأغاني » : على أشياء منكم .

(٣) لم ترد في الديوان .

(٤) الأبيات عـدا السادس والثامن والتاسع في « أمالي المرتضى » : ٤٣٢/١ للحسين بن مطير الأسدي ، والسادس والسابع في « أمالي ابن الشجري » : ١٥٠ له أيضاً ، والثلاثة الأولى في « الأمالي » : ٧٧/١ لابن الدمينة ، والثالث والسادس في « ديوان المجنون » : ١٤٣ ، وانظر « الزهرة » : ص ٣٨ .

أَلا أَيُّها البيْتُ الذي أنا هاجِرُهْ ... وإنّي بتَلْماحٍ مِنَ الطَّرْفِ ناظِرُهْ (١)

لَهِنَّكَ مِنْ بيْتٍ إليَّ لَمونِقٌ ... وآنَقُ في عيني مِنَ البيْتِ عامِرُهْ (٢)

أُصدُّ حياءً أنْ يَلِجَّ بيَ الهوى ... وأنتَ المُنى لولا عدُوٌّ أُحاذِرُهْ (٣)

وفيكَ حبيْبُ النَّفْسِ لو نستطيعُهُ ... لَماتَ الهوى والشَّوقُ حينَ نُجاوِرُهْ

فإنْ يكُنِ الأَعداءُ أَحْمَوا كلامَهُ ... علينا فلمَّا تُحْمَ عنَّا مناظِرُهْ

أَتهجُرُ بيتاً بالحِجازِ تَلَعَّبَتْ ... به الحربُ والأَعداءُ أمْ أنتَ زائِرُهْ (٤)

فإنْ آتِهِ لاأُنْجُ إلّا بظِنَّةٍ ... وإنْ يَأْتِهِ غيري تُنَطْ بي جرائِرُهْ (٥)

(١) في « الأمالي » : ألا حُبَّ بالبيت ... وأنت ... زائره . وفي « أمالي المرتضى » و « معجم الأدباء » : ألا حبذا . والتلماح : اختلاس النظر .

(٢) في « اللسان » أنن : ومن العرب من يبدل همزة « إن » هاءً مع اللام، كما أبدلوها في « هرقت » فتقول : لهنك لرجل صدق ، قال سيبويه : وليس كل العرب تتكلم بها . في « الأمالي » : فانك ... لعيني معجب وأحسن ... ، وفي « أمالي المرتضى » و « معجم الأدباء » : لأنك . . . وأملح ، وفي « اللآلي » : وإنك من بيت إليّ لمعجب .

(٣) في « الأمالي » : وفيك المنى ... وفي « أمالي المرتضى » : أن يلم بي الهوى .

(٤) في «أمالي ابن الشجري» : بالحجاز تكنفت ... جوانبه الأعداء ... ، وفي « ديوان المجنون » : للحبيب تعلقت به الحب ، ولا معنى لهذه الرواية ، والأشبه أن تكون محرفة .

(٥) في « أمالي المرتضى وابن الشجري » : لم أنج ...

وَمُسْتَخْبِرٍ عنها ليعلمَ ما الذي ... لَها في فؤادي وَدَّ أني أحاوِرُهْ
تَرَكْتُ على عَمْياءَ ظنٍ ولم أكُنْ ... إذا ما وَشَى واشٍ بليلى أُناظِرُهْ

وقال آخر :

أُمرُّ مُجَنّباً عنْ بيتِ ليـلى ... وَلَم أُلْمِمْ بِهِ وبيَ الغَليلُ (١)
أُمرُّ مُجَنّباً وَهوايَ فيـهِ ... وَطَرْفي عنهُ مُنكسِرٌ كَلِيلُ
وَقلبي فيهِ مُرْتَهَنٌ فهلْ لي ... إلى قلـبي ومالـكه سبيلُ (٢)
فآمُلُ أنْ أُعَلَّ بشِرْبِ ليلى ... ولم أُنْهَلْ فكـيفَ ليَ العُلُولُ (٣)

وقال آخر :

وإني وإنْ لَمْ آتِ أبياتَ بَجْدَلٍ ... إلى أمِّ يَحْيى مِنْ مَدَى العَيْنِ ناظِرُ
بنَفْسيَ مَجْرى الطَّوْقِ مِنها وحبَّذا ... إلينا غشاشاً طرْفُهـا المتَشازِرُ

وقال أبو ذُؤَيب الهُذلي واسمُهُ خُوَيْلِد بن [خالد] محرِّث :

لعَمْري لأَنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَهُ ... وأقْعُـدُ في أفْيائـهِ بالأصائلِ (٤)

---

(١) الأبيات غير منسوبة في « أمالي القالي » ١/٨٤ .

(٢) في « الأمالي » : مقتتل ... وساكنه سبيل .

(٣) في « الأمالي » : أؤمل أن أعِل ... فكيف لي العليل ، والشِّرب : الماء بعينه يشرب .

(٤) « شرح أشعار الهذليين » : ١/١٤٢ على اختلاف في ترتيب الأبيات . والأفياء : جمع فيء، وهو : الظل ، والأصائل : العشيات ، وتصغيره : أصيلال وأصيلان.

وإنَّ حَديثاً منكِ لو تبذُلينهُ　　جَنى النَّحل في ألبانِ عُوذٍ مَطافِلِ (١)

فتِلْكَ التي لا يُذهِبُ الدّهرُ حُبَّها　　وَلا ذِكْرَها ما أرْزَمتْ أُمُّ حائِلِ (٢)

فلوْ أنَّ ما عِندَ ابنِ بُجْرَةَ عندَها　　مِنَ الخَمْرِ لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِلِ (٣)

وقال آخر :

أَلا يا بَيْتُ بالعَلْياءِ بَيتُ　　وَلولا حُبُّ أهلِكَ ما أتَيْتُ

أَلا يا بَيتُ أهْلُكَ أوْعَدوني　　كأنّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

أيا جارَةَ البيتِ المُمَنَّعِ جارُهُ　　رَحَلتُ ومَنْ لي عِندَكم بمَقيلِ (٤)

---

(١) العوذ : الحديثات النتـاج ، والواحدة : عائذ ، قال أبو عبيدة : أولادها تعوذ بها ، فولدهـا : عائذ ، وهي معوذ بها . والمطافل : الصغـار الأولاد ، والواحدة مطفل .

(٢) في « شرح أشعار الهذليين » : ... لا يبرحُ القلبَ حبُّها ولا ذكرُها . وأرزمت : حنت وصوتت ، والحائل : الأنثى من أولاد الابل ، والذكر : سقب .

(٣) ابن بجرة : خمار كان بالطائف ، والناطل : مكيال تـكال به الخمر .

(٤) « شروح سقط الزند » ٣/١٠٤١ قال البطليوسي : وصفها بالعزة والمنعة ، وأن من استجار بيبتها عز جانبه ، ولم يطمع في اهتضامه عدوه وطالبه ، والمقيل : الموضع الذي ينام فيه ، أو يتودع في القائلة ، وهذا يحتمل معنيين ، أحدهما : أن يريد ان الدهر قد أزعجني للسفر ، وحال بيني وبين الأمنية والوطر ، ولم -

نسيتِ مكانَ العِقْدِ مِنْ دَهَشِ النَّوى ... وَعلَّقْتِهِ في وَجْنَةٍ وَمَسيلِ (١)

وأرسلْتِ طيفاً خانَ لما بَعَثْتِهِ ... فلا تَثِقي مِنْ بعدِهِ برسولِ (٢)

أَسَرْتِ أخانا بالخِداع وإنَّهُ ... يُعَدُّ إذا اشتدَّ الوَغى بقبيلِ (٣)

فإنْ تُطْلِقيهِ تَرْتَجي شُكرَ قومِهِ ... وإنْ تَقْتُليه تُؤخَذي بقتيلِ (٤)

وإنْ عاشَ لاقى ذِلَّةً واخْتيارُهُ ... وفاةُ عزيزٍ لا حَياةُ ذَليلِ

- يوجدني سبيلاً إلى التمتع بوصلكم والمقيل عندكم ، والآخر أن يريد : من لي بأن يساعدني الزمان بالعودة إليكم بعد فراقكم حتى أقيل عندكم ، وأنال البغية منكم .

(١) قال البطليوسي : الوجنة : عظم الخد المشرف ، والمسيل : مجرى الدمع من خدها . أراد : أنها بكت عند الوداع ، فسال دمعها على خدها شبيهاً باللؤلؤ ، فكأنها دهشت حين فاجأها الفراق ، فأرادت أن تعلق عقدها في جيدها ، فأخطأت وعلقته في خدها ، وهذا من معانيه التي اخترعها ولا أحفظ فيه شيئاً لغيره .

(٢) في « السقط » بعد هذا البيت :

خيالٌ أرانا نفسه متجنباً ... وقد زار من صافي الوداد وصول

وترتيبها فيه قبل البيت الخامس هنا .

(٣) قال البطليوسي : العرب تستعمل الأخوة على أربعة معان ، أحدها : النسب ، الثاني : الصداقة ، والثالث : المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا الثوب ، وهذا الدينار أخو هذا الدينار ، والرابع : الملازمة للشيء والمواصلة له ، كقولهم : فلان أخو الحرب وأخو الليل : إذا كان ملازماً لحضور الحرب والمشي بالليل .

(٤) في « السقط » : فان تطلقيه تملكي شكر ...

وقال أبو نواس :

أَجارَةَ بيتَيْنا أبوكِ غَيورُ ... ومَيسُورُ ما يُرْجى لديكِ عَسيرُ [١]

فإنْ كُنتِ لا خِلْماً ولا أنتِ زوجَةٌ ... فلا بَرِحتْ دوني عليكِ سُتُورُ [٢]

وجاوَزْتُ قوماً لا تَجاوُرَ بينَهُم ... ولا وَصْلَ إلّا أنْ يكونَ نُشورُ [٣]

يقول فيها :

تقولُ التي مِنْ بيتِها خَفَّ مَرْكبي ... عَزيزٌ علينا أنْ نَراكَ تَسيرُ [٤]

أما دونَ مِصْرٍ لِلغِنى مُتطَلَّبٌ ؟ ... بلى إنَّ أبوابَ الغِنى لَكثيرُ [٥]

فقلتُ لها واسْتَعْجَلَتْها بَوادِرٌ ... جَرَتْ فجرى في جَرْيِهِنَّ عَبيرُ

ذَريني أُكَثِّرْ حاسِديكِ برِحْلَةٍ ... إلى بَلَدٍ فيه الخَصِيبُ أميرُ

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخَصيبِ رِكابُنا ... فأيَّ فتىً بعدَ الخَصيبِ تَزُورُ

رَوى الفَرَزْدَق قال : أَبَق غلامانِ لرَجُل منَّا ، فخرَجَ في طلبِهما ، فلمَّا صارَ في ماء لبني حنيفة ، ارتفعتْ له حِلَّةٌ [٦] . قال : فعدلتُ إلى

---

(١) ديوانه : ٣٢٧ .

(٢) الخلم : الصديق أو الصاحب .

(٣) في الديوان : « لا تزاور بينهم » .

(٤) في الديوان : « ... عن بيتها ... » .

(٥) في الأصل فوق كلمة « أبواب » أسباب . قلت : وهي رواية الديوان .

(٦) الحلة : جماعة بيوت الناس ، لأنها تحل ، وفي «الأغاني» : ارتفعت سحابة .

بعض دِيارِهم وسألتُ القِرى ، فأجابوا ، فدخلتُ الدّار ، وأنَخْتُ النّاقَةَ ، وجلستُ تَحْتَ ظُلَّةٍ لهم مِنْ جَريد النَّخْل ، وفي الدّارِ جارِيَة سوداء ، إذْ دخلت جاريةٌ كأنَّها سَبيكَةُ فِضَّة [وكأنَّ عينيها كوكبان دُرِّيَّان] فقالت للسوداء : لِمَنْ هذه النّاقة ؟ قالت : لضَيْفكُم [هذا] ، فعدَلتْ إليَّ ، فسلَّمتْ ، فرَدَدْتُ السلام ، وقالت : مَنِ الرَّجـل ؟ (١) قلتُ : رَجُلٌ مِنْ بني حَنْظَلَةَ . قالت : مِنْ أيِّهم ؟ قلتُ : مِنْ بني نَهْشَل ، فتبسَّمَتْ ، ثم قالت : أنتَ إذاً مِمّنْ عَناهُ الفرزدق بقوله :

إنَّ الذي رفعَ السَّماء بنى لنا ... بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ (٢)
[بيتاً بناهُ لنا المليكُ وما بَنى ... مَلِكُ السَّماء فإنَّه لا يُنْقَلُ]
بيتاً زُرارَةُ مُحتَبٍ بفنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفوارِس نَهْشَلُ (٣)

---

(١) في « الأغاني » : ممن الرجل .

(٢) في « الأغاني » و « النقائض » : سمك السماء ، وسمك ورفع بمعنى ، ودعائم البيت : العيدان التي تقيمه ، وقوله : « أعز وأطول » أراد : أعز وأطول من بيتك فلما صار في موضع الخبر استغنى عن «من» لقوّة الخبر ، وخرج مخرج: « الله أكبر ، الله أعلى وأجل » .

(٣) قوله : زرارة لبني زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك ، ومجاشع ابن دارم ، ونهشل ابن دارم .

فضحكتْ وقالت : فإنَّ ابنَ المَراغَةِ [1] قد نَقَضَ عليكم بيتَكم هذا [الذي فخرتم به] حيثُ يقول :

أَخزى الذي رَفعَ السَّماءَ مُجاشِعاً ... وَبنى بناءَكَ بالحَضيضِ الأَسْفَلِ
بَيْتاً تيمَّمَ قَيْنُكم بفنائِـهِ ... دَنِسٌ مقاعِدُه خبيثُ المأْكلِ [2]

قال : فوجمْتُ ، فلمَّا رأتْ ذلكَ في وجهي ، قالت : لا عَليك ، فإنَّ النَّاسَ يقولون ويُقال لهم . ثم قالت : أيْنَ تؤمُّ ؟ قلتُ : اليمامة . فتنفَّسَتِ الصُّعَداء ، ثمَّ قالت :

تُذَكِّرُني بلاداً خيْرُ أهلي ... بها أهْـلُ المُروءَةِ والـكَرامَهْ
ألا فسَقى الإِلهُ أَجَشَّ صَوبٍ ... يَسُحُّ بدَرِّهِ بـلدَ اليَمامَـهْ [3]
وَحيِّـا بالسَّلام أبا نُجَيْدٍ ... وقَلَّ لهُ التَّحِيَّةُ والسَّلامَـهْ [4]

---

(١) في « الأغاني » : قال ابن الخطفي .

(٢) في « الاغـاني » و « النقائض » والديوان : يحمم ... خبيث المدخل ، ويحمم : يدخن فيه فيسوده ، والقين : الحداد . يشير إلى أن مجاشعاً قبيلة الفرزدق كانت قيوناً لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيراً ، فنسب جرير غالباً أبا الفرزدق إلى القين .

(٣) في « الأغاني » : أجش صوباً . يقـال : سحاب أجش : إذا كان شديد الصوت .

(٤) في « الأغاني » : فأهل للتحية والسلامة .

قال : فأنِسْتُ بها وقُلتُ : أخالِيَةٌ ، أمْ ذاتُ بَعْل ؟ فقالت :

إذا رَقَـدَ النِّيامُ فإنَّ عَمْراً تُؤرِّقُـهُ الهمومُ إلى الصَّباحِ
تُقَطِّـعُ قلبَهُ الذِّكرى وقلبي فلا هو بالخَلِيِّ ولا بصـاحِ
سَقى اللهُ اليَمامَةَ دارَ قَوْمٍ بهـا عَمْرو يحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : وَمَنْ عَمْرو ؟ فأنشأتْ تقول :

سَأَلتَ ولو عَلِمْتَ بحالِ عَمْروٍ وَمَنْ لكَ بالجوابِ سِوى الخَبيرِ (١)
فإنْ تَكُ ما عَلمْتَ فإنَّ عَمْراً لكالقَمَرِ المُضيءِ المُستنيرِ (٢)
ومـا لي بالتَّبَعُّلِ مُستراحٌ ولو رَدَّ التبعُّـلُ لي أسيري

ثمَّ سَكَتَتْ سَكْتةً كأنَّها تَسْمَعُ إلى كلام ، ثم تَهافَتَتْ وقالتْ :

يُخَيَّلُ لي هَيا عَمْرُو بن كَعْبٍ كأنَّكَ قد حُمِلْتَ على السَّريرِ
[يسيرُ بكَ الهُوَيْنى القوْم لما رَمـاكَ الحُبُّ بالعَلَق العَسيرِ]
فإنْ تَكُ هـكذا يا عَمْرُو إنّي مُبَكِّرَةٌ عليـكَ إلى القُبورِ

ثم شَهِقَتْ شَهْقَةً ، فخَرَّت مَيْتَةً . فقلتُ : مَنْ هـذه ؟ قالوا : هذه

(١) في « الأغاني » : ولو علمت كففت عنه .

(٢) في « الأغاني » :

فان تك ذا قبول إن عمراً هو القمر المضيء المستنير

وفيه إقواء .

عَقيلة بنتُ الضَّحَّاك بن عمْرو بن مُحرّقِ بن النُّعمانِ بن المُنذرِ بن ماء السَّماء . فقلت لهم : مَنْ عمْروٌ هذا ؟ قالوا : ابنُ عمِّها عمْرو بن كعب بن مُحرِّق . قال : فارْتحلتُ مِنْ عندِهم ، فلما دخلتُ اليمامة ، سألتُ عن عمْروٍ [هذا] فإذا هو قد دُفِنَ في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت [1] .

وقال مهيار :

أَسْتوْدِعُ اللهَ في أبياتِكم قمراً ... تَراهُ بالشَّوْقِ عيني وهوَ مَحْجُوبُ [2]

أَرْضاه أَسْخَطُ أوْ أَرْضى تَلوُّنَهُ ... وكلُّ ما يَفْعَلُ المحبوبُ مَحْبُوبُ [3]

وقال آخر [4] :

لِلهِ أبياتٌ إذا أُوطِنْتَهـا ... غنيَ الفقيرُ بهـا وَعزَّ الجاني

قومٌ إذا تُرِكَ الغَريبُ بدارِهم ... مَنَحُوهُ سَلوْتَهُ عنِ الأوطانِ

وقال البحتري :

مُقامُ الفتى في الحيِّ حَيّاً مُسَلَّماً ... مُعافىً مُقـامُ ذِلَّةٍ بالفتى تُزْري [5]

---

(١) الخبر بطوله في « الأغاني » : ٨/٤٤ ، ٤٦ ، وما بين معقفين منه .

(٢) ديوانه : ١/٢٤ من قصيدة كتب بها إلى الرئيس أبي الحسن الهَماني مطلعها:

أستَنْجِدُ الصَّبر فيـكم وهو مغلوبُ ... وأسأل النومَ عنـكم وهو مسلوب

(٣) في الديوان : « أرضى وأسخط » .

(٤) سبق ذكر البيتين .

(٥) ديوانه : ٢/١٠٨١ من قصيدة يفتخر بها مطلعها :

لدُنْ هجرَته زَحزَحته عن الصبر ... سواءٌ عليه الموتُ أو لوعة الهجر –

مَتى ما تَنمْ في ظِلِّ بيتِكَ عاجزاً تُصِبْكَ خُطُوبُ الدَّهرِ بالنَّابِ والظُّفْرِ (١)

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

لَزِمْتُ بيتاً بَناهُ الجَدُّ مِنْ مَدَرٍ كأنَّهُ بيتُ شِعْرٍ ليس يَـتَّزِنُ (٢)

إذا شَتَوْتُ فَمِنْ توْكافِه عَنَتي وَبالحَرُورِ إذا ماصِفْتُ يَقْتَرِنُ (٣)

عُدْمٌ فحسبي وَعَيْنٌ غيرُ مُبْصِرَةٍ وَشِقْوَةٌ وحليفُ الشِّقْوةِ اليَفَنُ (٤)

لَوْلا القَناعَـةُ جاءَتْني بِمَلَـكَةٍ لَهُتِّـكَتْ دُونِيَ الأَستارُ والجُنَنُ

وقال آخر :

وَلَيْلَةِ واكِفٍ لا نَوْمَ فيهـا سَهِرْتُ بها إلى الصُّبحِ الفَتيقِ (٥)

— وهذه القصيدة من أوائل شعره ، وقد نظمها وهو في السادسة عشرة من عمره ، يدل على ذلك قوله فيها :

وقائلةٍ والدمع يصبغُ خدَّها رويدك يا ابن السِّت عشرة كم كسري

فقلت أحقُّ الناس بالعزم والسُّرى طلابَ المعالي صاحب السِّت والعَشْرِ

(١) في الديوان : « ومهما تنم ... خطوب الدهر من حيث لا تدري »

(٢) لم نجد هذه الأبيات في « اللزوميات » ولا في غيره من كتب أبي العلاء.

(٣) وكف البيت وكفاً ووكيفاً ووكوفاً ووكفاناً وتوكافاً وأوكف وتوكف : هطل وقطر وكذلك السطح . والحرور : استيقاد الحر ولفحه .

(٤) اليفن : الشيخ الكبير الفاني .

(٥) يقال : صبح فتيق ، أي : مشرق .

تَرِقُّ قُلوبُ جيرَتِنا علينا　　إذا نَظروا إلى الغَيْمِ الرَّقيقِ
حَماني النَّوْمَ فيه سَقْفُ بيتٍ　　كأَنَّ سماءَهُ عَينُ المَشُوقِ
تَواصَلَتِ السَّحائِبُ وهو بيتٌ　　وَصَدَّتْ وهو قارِعَةُ الطَّريقِ

وقال آخر :

وبَيتٍ تساوى والغمامُ وإنّه　　لَأَغْزَرُ منها دَمْعةً حينَ تَذرِفُ
إذا السُّحْبُ عنه أَقْلَعتْ فلِوَكْفِهِ　　سَحابٌ هَتُونٌ ماؤهُ ليس يَنْزِفُ [1]
فثوْبيَ مِنْ تَوْكافِ أسودِ سَقْفِه　　وَتُرْبَتِه الحمراءِ بُرْدٌ مُفَوَّفُ
فدَعْهُ ونَمْ تحتَ السَّحابِ فإنّه　　سَحابٌ ولكنْ صَيِّبُ الجوِّ أنظَفُ

وقال آخر :

بيتي سُتُورُ العنكبوتِ سُتُورُهُ　　وَمَطارِحُ الغَبْراءِ فيهِ مَطارِحي
وإذا أصابَتْهُ السماءُ بطَلِّها　　فسماؤهُ تَهْمي بِوَكْفٍ سافِحِ
وكأنّني مِنْ ضِيقِهِ وظَلامِهِ　　مَيْتٌ دفينٌ في ثرىً وصَفائِحِ

وقال آخر :

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وَهَنٍ　　تأوي إليهِ وما لي مِثْلَها وَطَنُ
والخُنْفُساءُ لها مِنْ جِنْسِها سَكَنٌ　　وليسَ لي مِثْلَها إلْفٌ ولا سَكَنُ

---

(١) سحابة هتون : هطول ، وليس ينزف : لا يفيض ولا ينضب .

وقال آخر :

إذا نحنُ جئنا لِلسَّلام ورُفِعَتْ سُتورُكَ فانْظرْ ما بِهِ أنا خارجُ
فسِيَّانِ بيتُ العنكبوتِ وجَوْسَقٌ على الشَّطِ ما لم تُقْضَ فيه الحوائجُ (١)

وقال أبو القاسم أسعد بنُ إبراهيم ، وتروى لابن الشقَّاق :

رأيتُ لِيُوسُفَ في بيتِهِ فخرّبه اللهُ بينَ البيوتْ
حَصيرَ صَلاةٍ عَلاهُ الغُبارُ وقد نسَجَتْ فوقَهُ العنكبوتْ
فقلتُ له كم لِهذا الحصير وكم لكَ لمْ تَقْرَ فيه القُنُوتْ
فقال هُنالكَ أَلْفَيْتُهُ وَثَمَّ يدومُ إلى أنْ أَمُوتْ

وقال آخر :

لمَّا رأيتُ الزَّمانَ نَكْساً وَليسَ في أهلِهِ انتفاعُ
لَزِمتُ بيتي وَصُنْتُ نفساً لَها عن الذِّلَّةِ امْتناعُ
أَشْرَبُ مِمَّا اقتَنَيتُ راحاً لَها على راحَتي شُعاعُ
لي مِنْ قواريرِها ندامَى ومِنْ قَواقِيزِها سَماعُ
وأجْتَني مِنْ ثِمارِ قَوْمٍ قد أوْحشَتْ منهم الرِّباعُ

(١) قال الجواليقي: الجوسق : فارسي معرب ، وهو تصغير قصر «كوشك» أي : صغير ، وفي «اللسان» : الجوسق : الحصن ، وقيل : هو شبيه بالحصن معرب ، وأصله كوشك بالفارسية ، والجوسق : القصر أيضاً .

قال الأحنف بنُ قيس : جِزْيَةُ المُسْلِمِ كرى بيته وذلُّ رَقَبته ، وعذابُ الرَّجل سُوءُ خُلُق امرأتِهِ .

وقال آخر :

وبيتٍ خَلا مِنْ كلِّ خيرٍ عَلِمْتُه ... وضاقَ علينا وهو رَحْبُ المساكِنِ
كأنَّا مع الجُدْرانِ في جَنَباتِهِ ... دُمىً في انقطاعِ الرِّزقِ لا في المحاسِنِ

وقال ابن المرعزّى النصراني :

نزلتُ في آل مَكحولٍ وضَيْفُهُمُ ... كنازِلٍ بينَ سَمْعِ الأَرض والبَصَرِ
لا تَستَضِيءُ بضَوْءٍ في بيوتِهِمُ ... إنْ لمْ يكن لكَ تطفيلٌ على القَمَرِ

وقال آخر :

تُريدُ إهالَ النَّحضِ والنَّحْضُ مُعْوِزٌ ... وليسَ لنا نابٌ يُكَبُّ ولا بَكْرُ
ولا ضأْنُ يُغْنينا ولا ماعِزٌ لنا ... ويقبحُ أنْ يُشكى إلى جارِنا الفَقْرُ
ونحنُ أُناسٌ مُنفِضُونَ بمَعْزِلٍ ... عَن الخيرِ لا بُرٌّ لدينا ولا تَمْرُ[1]
وَلو كانَ في الأَرضِ العريضةِ نابتٌ ... رَعَيْنا ولكنْ لا نباتٌ ولا قَطْرُ
فدونكِ هذا البيتَ فاستتري بِهِ ... وأَسْتَرُ منه إنْ رَضيتِ به القَبْرُ

رُوِيَ أَنَّ رجلاً تعاهَدَ هوَ وامرأَتُهُ أَيُّهُما مات لا يَتزَوَّجُ الآخرُ

(١) يقال : انفض القوم : نفذ طعامهم وزادهم مثل أرملوا .

بعده ، فمات الرجل ، فلمَّا أوْفَتِ الامرأةُ العِدَّةَ ، خُطِبتْ فامتنعتْ فما زِلنَ بها النساءُ يُسهِّلْنَ عليها الأَمر ، ويُشِرْنَ عليها بالزَّواج حتى أجابَتْ ، وحُمِلَ إليها الصَّداقُ ، فرأَتْ قبلَ دُخولِها بليلةٍ كأَنَّ زوجَها قد وَقَفَ ببابها ، ومدَّ يدَيه ، فأخذ عُضادَتي البابَ وقال :

حُيِّيتَ ساكِنَ هذا البيْتِ كُلَّهُمُ إلَّا الرَّبابَ فإنِّي لا أُحَيِّيها
اِستبدَلَتْ بدلاً مني وقد عَلِمَتْ أنَّ القبورَ تُواري مَنْ ثَوى فيها

فاستيقظت مرعوبةً وقد حفِظتِ الأَبياتَ ، فردَّتْ ما قُدِّمَ لها ، وقالت : والله لاضَمَّني وبَعلاً بيْتٌ أبداً .

وقال مهيار :

نَعَمْ سقى اللهُ بُيوتاً بالحِمى مُسْدَلَةً على الدُّمى أَسْتارُها[(١)]
وأَوْجُهاً يشِفُّ مِنْ أثْوابِها عُنصُرُها الكريم ونِجارُها[(٢)]

وقال الفرزدق :

عزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعزِفُ وأنكَرْتَ مِنْ حَدْراءَ ما كُنتَ تَعْرِفُ[(٣)]

---

(١) ديوانه : ٨٨ ، من قصيدة كتب بها إلى عميد الدولة أبي سعد بن عبد الرحيم وهو مقيم بسرَّ من رأى ، يستوحش لبعده ، ويهنئه بالنيروز .

(٢) النجار : الأصل ، وفي الديوان : أو نجارها .

(٣) ديوانه : ٢/٥٥١ ، و « النقائض » : ٢/٢٤٢ ، و « معجم البلدان » : –

وَلجَّ بكَ الهِجْرانُ حتى كأنَّمـا   تَرى الموتَ في البيتِ الذي كُنتَ تَيْلَفُ[1]

وقال جميل بن معمر العذري :

ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أُحبُّه   وبيتانِ لَيسا مِنْ هَوايَ ولا شَكْلي[2]

أَلا أيُّها البيتُ الذي حِيلَ دونَهُ   بنا أنتَ مِنْ بيتٍ وأهلُك مِنْ أهلِ

بنا أنتَ مِنْ بيتٍ دُخولُكَ لَذَّةٌ   وظِلُّكَ لو يُسْطاعُ بالباردِ السَّهْلِ

وقال آخر :

أَلاهلْ إلى الأَبياتِ بالحَبْلِ ذي الغَضى   ذُراهُنَّ أو أظلالُهُنَّ سبيـلُ

بنفسي مَنْ قد حِيلَ دُونَ لِقائِهِ   وَمَنْ حُبُّهُ حُبٌّ عليَّ ثقيـلُ

وقال إبراهيم بن خَفاجَة في الحَمَّام :

أَهْلاً ببيتِ النَّارِ مِنْ مَنْزِلٍ   شِـيدَ لِأَبرارٍ وفُجَّـارِ[3]

ـ أعشاش . يقول : عزفت نفسك عمـا كنت فيه من باطلك ، وحدراء : امرأة الفرزدق ، وأعشاش : موضع في ديار بني يربوع . وفي « اللسان » : أراد عزفت عن أعشاش ، فأبدل البـاء مكان عن ، ويروى: بأعشاش، أي: بكره ، يقول : عزفت بكرهك عمن كنت تحب ، أي : صرفت نفسك .

(١) قال أبو عبيدة : تيلف : لغة تميم ، يقول : هجرت فلججت في الهجر حتى صار صرماً صحيحاً .

(٢) ديوانه : ١٧٥ وانظر تخريجها فيه .

(٣) ديوانه : ٣٧٣ .

نَقْصِدُهُ مُلْتَمِسي لَـذَّةٍ فندخلُ الجَنَّـةَ في النَّـارِ

نزلَ حَمّـاد عَجْرَد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، واشتدَّ جُوعُ حمّاد فقال :

زُرْنا امرءاً في بيتهِ مَرَّةً لهُ حَيـاءٌ ولـهُ خِـيْرُ [1]
يَـكرَهُ أنْ يُتخِمَ أضيافَهُ إنَّ أذى التُّخْمَةِ محـذورُ
وَيَشْتَهي أَنْ يُؤجَروا عِندَه بالصَّومِ والصَّـائِمُ مأْجُورُ

فقال لهُ محمد : عليكَ لعنةُ الله ، ما حَمَلَكَ على هذا ؟ قال : الُجوعُ وحَياتِكَ وإن زِدْتَ في الإِبطاء زِدْتُ في القول . فبادَرَ بإِحْضارِ المائدة .

وقال صخر بن الَجعْد [2] :

مَرَرْتُ على أَبياتِ كأسٍ فأَسبلَتْ مدامِعُ عيني والرياحُ تُميلُهـا [3]

---

(١) الخـــبر مع الأبيات في « الأغـاني » : ٣٥١/١٤ ، والخير : الكرم والشرف والأصل .

(٢) هو صخر بن الجعد الخضري ، شـــاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان مغرماً بفتاة تدعى كأس بنت بجير ، وأشهر شعره ما قاله فيها . ترجمته في « الأغاني » ٣٨/٢٠ ، و « شرح شواهد المغني » ١٥٣ .

(٣) الأبيات في « الأغاني » ٤٣/٢٢ .

وفي دارهم قومٌ سِواهُم فأسبلَت   دُموعٌ مِنَ الأجفانِ باقٍ مَسيلُها
كذاكَ اللّيالي ليسَ فيها بسالِمٍ   صَديقٌ ولا يبقى عليها خَليلُها

★ ★ ★

(★) جاء في نهاية هـــذا الفصل بخط مغاير الأصل ما نصه : قرأ فيه العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن اسماعيل بن علي بن محمـد المصري الساكن يومئذ بدير عطية غفر الله له ولوالديه ، ولمن علّمه ، ولمن أحسن إليه ، ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

فصــل

في بكاءِ الأهلِ والإخوان

قلتُ : هذا الفَصْلُ كانَ موضِعَه صدرُ الكتابِ ، إذْ كانت المنازِلُ والدِّيارُ إنَّما تُبكى لِسكَّانِها مِنَ الأهل والإخوانِ والأَحباب ، لكني أخَّرْتُه لِأَخْتِمَ به الكتاب .

رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه أنَّه كان كثيراً ما يتمثَّلُ بهذا الشعر :

أَلا قد أرى واللهِ أنْ لستُ منكمُ ... ولا أنتُمُ منّي وإنْ كنتمُ أهلي [1]

وانّي ثَوِيٌّ قد أحَمَّ انطلاقُهُ ... يُحيِّيه مَنْ حيّاهُ وهو على رَحْلِ [2]

وَمنطلقٌ منكم بغير صَحابَةٍ ... وتابعُ إخواني الذينَ مضوا قَبْلي

أَلَمْ أَكُ قدْ صاحَبْتُ عَمْراً وما لِكاً ... وَأَدْهَمَ يعْدو في فوارِسَ أوْ رَجْلِ

وَصاحَبْتُ شيباناً وصاحبتُ ضابئاً ... وصاحَبَني الشُّمُّ الطِّوالُ بنو شِبْلِ

أُولئِكَ إخواني مَضَوْا لسبيلِهِم ... يَكادُ يُنسّيني تذكُّرُهم عَقلي

---

(١) الأبيات في « أمالي اليزيدي » : ٨٤ .

(٢) قال اليزيدي : وروى إسحاق : قد أجم .

يقولُ أُناسٌ أَخِليـاءُ تَناسَهُمْ   وَليسَ بناسٍ مِثلَهُم أبداً مِثلي [1]
أُلاكَ أَخلّائي إذا ما ذَكَرْتُهُم   بكَيتُ بعينٍ ماءُ عَبرَتِها كُحْلي
وكانُوا إذا ما القُرُّ هَبَّتْ رياحُهُ   وَضَمَّ سَوادُ اللَّيلِ رَحْلاً إلى رَحْلِ
يُدِرُّونَ بالسيفِ الوريدَيْنِ والنَّسا   إذا لم يَقُمْ داعي أُناسٍ إلى رِسْلِ
إذا ما لَقُوا أَقْرانَهم قَتلُوهُمُ   وإنْ قُتِلُوا لم يَقْشَعِرُّوا مِنَ القَتْلِ
فكَمْ مِنْ أَسيرٍ قد فكَكْتُمْ قيودَهُ   وَسَجْلِ دَمٍ أَهْرَقْتُموهُ على سَجْلِ

وقال يزيد بن ضَبَّة بن مُقْسِم [2] :

لَمْ يَنْسَ سَلْمى فُؤادُكَ السَّدِكُ   وكَيفَ تَصبُو وأنتَ مُحتَنِكُ [3]
لو كانَ ما واحداً هَواكَ لَقَدْ   أَقْصَرْتَ لكنْ هَواكَ مُشتَرَكُ [4]
تقولُ سَلْمى واستَنكَرَتْ عَجَباً   ما بالُ أَشياءَ مِنكَ تُنْتَهَكُ

---

(١) في « أمالي اليزيدي » : يقول رجال . . .

(٢) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ، لأن أباه مات وخلفه صغيراً ، واسمه يزيد ابن مقسم الثقفي مولى ثقيف ، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيـه متصلاً به لايفارقه ، فلما ولي هشام الخلافة ، وتنكر له، صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً بها إلى أن ولي الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأدناه وضمه إليه وأكرمه .

(٣) السدك : المولع بالشيء ، والمحتنك : الرجل المتناهي عقله وسنه، واحتنك الرجل ، أي : استحكم .

(٤) « ما » في قوله : لو كان ما واحداً : زائدة .

فقلتُ مِنْ تَرْحَةٍ ومِنْ أَسفٍ   أَنْباءُ عَوْفٍ ومالكٍ هلكوا
خَلّوا فِجاجاً عليَّ فانخَرَقَتْ   لَمْ يَستطِعْ سَدَّهُنَّ مَنْ تَرَكوا

وقال وُعَيْل العبسي :

أَلَمْ تَرَني بعـد الذينَ تتـابَعوا   وكانُوا الأُلَى أُعْطي بهم وأُمانِعُ
كَذيْ وقراتٍ كِدْنَ يَكسِرْنَ عَظْمَهُ   ولن تُلْبِثَ العظمَ الصحيحَ القوارِعُ
فإنّي وتأميلي الحياةَ وقد مَضَوْا   كَمحتبسٍ عن مَطْلَعٍ وهو طالِعُ

وقال مَقّاسُ بن شَريك بن عمرو حَليفٌ لبني شيبان (١) :

بكيت شَريكاً في الغُوارِ وأسوَداً   وذو العَلْق حتى ما بعَيْنَيَّ مِنْ بَلَلْ (٢)

---

(١) مقاس : لقب لُقّبَ به ، لأن رجلاً قال : هو يمقس الشعر كيف شاء، أي : يقوله . وقال ابن الكلبي : سمي مقاساً بقوله :

مقست لهم ليــل التمام بفتية   إلى أن بدا خيط من الفجر طالع

واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو من بني خزيمـة من لؤي بن غالب ، لأنهم عائذة قريش ، وعائذة أمهم . قال الآمـدي في « المؤتلف والمختلف » : ١٠٧ : ومقاس : شـاعر محسن كان مجاوراً لبني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو القائل يرثي شريك بن عمرو بن قيس . . . ثم ذكر الأبيات . وفي « الأمالي » ٥٦/١ خبر له مع هشام بن عبد الملك . ترجمته في « السمط » ٢١٢ و « معجم المرزباني » ٣٣١ ، و « المؤتلف والمختلف » ١٠٧ .

(٢) في « المؤتلف والمختلف » : في المغار ... وذا العلق .

رجالاً لهم رِبْعيَّةُ المجْدِ لم يَخَفْ ... مُجاوِرُهم ريبَ الحوادِثِ والزَّلَلْ

وكُنَّا بهم نَرْعَى الجميعَ ونأكل الـ ... رَّبيعَ ونكفي حامِلَ الغُرْمِ ما حَمَلْ [1]

وقال ابن المعتز :

لِلهِ أَقْوامٌ فَقَـدْتُهُمُ ... سَكَنُوا بُطونَ الأَرضِ والحُفَرا [2]

مَرِدَ الزَّمـانُ عليَّ بعدَهُمُ ... وَعرَفْتُ طولَ الهمِّ والسَّهَرا

وقال نَهارُ بنُ تَوْسِعَةَ [3] يرثي أخاه عِتْبان :

---

(١) في « المؤتلف والمختلف » : ونكفي حامـل الأصل ما احتمل . ومـا هنا أجود .

(٢) البيت الأول في « زهر الآداب » ٧٧٨/٢ ضمن قصيدة مطلعها :

أخنى عليك الدهرُ مقتدراً ... والدهرُ ألأم غـالب ظفرا

(٣) هو نهار بن توسعة بن تمـيم بن عرفجة بن عمرو بن حنتم بن عدي بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة أحد شعراء بكر بن وائل هو وأبوه توسعة ، وهو شاعر أموي ، قال التبريزي : وكان أشعر بكريٍّ بخراسان ، وهو القائل :

أبي الاسلام لا أبَ لي سواه ... إذا هتفوا ببكر أو تمـيم

دعيُّ القوم ينصر مدَّعيـه ... فيلحقه بذي النَّسب الصميم

وما كرمٌ ولو شَرُفت جدودٌ ... ولكنَّ التقيَّ هو الكريم

ترجمتـه في « الشعر والشعراء » ٥٢١ ، و « المؤتلف والمختلف » ٢٩٦ ، و « السمط » ٨١٧ .

عِتْبانُ قد كنتُ امرءاً ليَ جانبٌ ... حتى رُزِئتُكَ والجُدُودُ تَضعضَعُ (١)
قد كنتُ أَشْوَسَ في المَقادَةِ سادِراً ... فنظَرْتُ قصدي واستقامَ الأَخْدَعُ (٢)
وفقَـدْتُ إِخْواني الذينَ بعيشِهِم ... قد كنتُ أُعطي ما أَشاءُ وأَمْنَعُ
فلِمَنْ أقولُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّـةٌ ... أَرِني برأْيكَ أوْ إلى مَنْ أَفْزَعُ (٣)

وقال البَراء بنُ رِبْعيّ :

أَبَعْـدَ بنيّ أُمِّي الذينَ تتابَعُوا ... أُرَجِّي حياةً أو مِنَ الموتِ أَجْزَعُ (٤)
ثمانيـةٌ كانوا ذُؤابةَ قَوْمِهِم ... بهم كنتُ أُعطي ما أَشاءُ وأَمْنَعُ
وكانوا كنَبْلِ المُرْتَمى في كِنانةٍ ... فأَضْحَتْ وما فيها مِنَ النَّبْلِ أَهزَعُ (٥)

---

(١) الأبيات في « الحماسة » ٣/٩ بشرح التبريزي .

(٢) في « الحماسة » : في المقامة ، والشوس : النظر في اعتراض كنظر الغضبان والكاره للشيء المعرض عنه ، والسادر : الذاهب عن الشيء ترفعاً ، وقوله: « فنظرت قصدي » أي : حيث أقصد ومكان قصدي ، والأخدع : عرق في العنق ، يقال للمتكبر : لأقيمن أخدعيك ، أي : لأذهبن كبرك .

(٣) في « الحماسة » : أم إلى من أفزع .

(٤) الأول والثاني في « الحماسة » ٢/١٦٧ بشرح التبريزي ، و « المؤتلف والمختلف » ١١٩ ، و « شرح المضنون به على غير أهله » ٣٤٤ .

(٥) في « اللسان » : والأهزع من السهام : الذي يبقى في الكنانة وحده، وهو أردؤها ، وقيل : الأهزع : خير السهام وأفضلها تدخره لشديدة ، وقيل : هو آخر ما يبقى من السهام في الكنانة جيداً كان أو رديئاً .

وقال أبو كبير الهذلي :

وَلُرُبَّ مَنْ طَأْطَأْتُهُ في حُفْرَةٍ مِنْ كلِّ مُقْتَبَلِ الشَّبابِ مُحَبَّرِ (١)

ثم انْثَنَيْتُ فلا أَبُثُّكَ خَيْبَتي رَعِشَ القِيامِ أَمِيسُ مَيْسَ الأَصْوَرِ (٢)

وقال آخر :

أصبحتُ بعدَ مُضَرِّسٍ ومُغَلِّسٍ غَرَضاً بِصَرْدَحَةٍ لِمَنْ رَاماني (٣)

فلأَرْمِيَنَّهُمُ بِرَغْمِ أنوفِهِم أبداً على عَدَمٍ مِنَ الفِتْيانِ

أنشد أبو زيد عن المفضل :

أَخٌ لا أخا لي غيرَهُ غيرَ أنّني كراعي الخَيالِ يستطيفُ بلا فِكْرِ

فإنَّ حَراماً أَنْ أرى الدَّهرَ باكِياً على إِلْفِهِ إلّا بَكَيْتُ على عمرو

وقال هُذَيْلَةُ بنُ سَماعة بن أشْوَلَ (٤) :

---

(١) البيتان في « ديوان الهذليين » ٢/١٠٢ وفيه : ولرب من دليته ... كالسيف . ومقتبل الشباب : مستأنفه ، ومحبر : محسَّن مزيَّن .

(٢) سبق أن استشهد المصنف بهذا البيت في مقدمته ، وهو في « ديوان الهذليين »: ثم انصرفت فلا أبثك حيبتي ... رعش الجنان أطيش فعل ... وحيبته : سوء حاله، والرجل الأصْوَر : الذي فيه صور إلى أحد شقيه ، وذلك أنه انشناج في أخادعه فيصور .

(٣) الصردحه : الصحراء التي لا تنبت ، وهي غلظ من الأرض مستو .

(٤) لم نقف له على ترجمة ، وقد أورد ياقوت في « معجمه » : قنا : البيت الخامس ، ونسبه لمسلمة بن هذيلة .

وعـاذلةٍ باتتْ بليْلٍ تلومُني   فبتُّ كأنَّ الهمَّ قِرنٌ أجاذِبُهْ
ذكرْتُ بني سَهْلٍ وبيني وبينَهُم   شِراجُ الحِمى أرْكانُه ومناكِبُهْ
أجدِّيَ لنْ ألقى زياداً ولا أرى   قناناً يقُودُ الخيلَ شُعْثاً ذوائبُهْ
ولا مِثلَ فِتيانٍ توَلَّوْا لِمَنعِجٍ   عَجالى إذا ما الخوفُ أوْضعَ راكِبُهْ
رِجالاً لو أنَّ الصُّمَّ مِنْ جانبي قَناً   هَوَتْ مِثلَهُم منه لزَلَّتْ جوانِبُهْ

وقال الفرزدقُ همَّامُ بن غالب يرثي همام بن ناشرة أحد بني عامر (١) :

وَقَتْنَ فأبكتني بدارِ عشيرتي   على رُزْئِهِنَّ الباكِياتُ الحَواسِرُ (٢)
غدَوا كسُيُوفِ الهِنْدِ وُرَّادَ حوْمَةٍ   مِنَ المَوْتِ أعْيا ورْدُهُنَّ المَصادِرُ
مُحامينَ حامَوا عن حَريمٍ وحافَظوا   بدارِ المنايا والقَنا مُتشاجِرُ (٣)
كأنَّهُمُ تحتَ الخَوافِق إذْ غدَوا   إلى الموتِ أُسْدُ الغابَتَيْنِ الهَواصِرُ
ولو أنَّ سلمى نالها مِثلُ رُزْئِنا   لَهُدَّتْ ولكنْ تَحمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ

عن الشَّعبي قال : كنتُ عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضوانُ الله عليهما ، فأنشدْتُه قوْلَ حارثة بن بدر الغُداني :

---

(١) في الديوان : وقال في عبد الله بن ناشرة أحد بني عامر من بني زيد مناة وهم في بني مجاشع .

(٢) ديوانه : ١/٢٦٧ .

(٣) في الديوان : فوارس حاموا .

وكانَ لنا نَبْعٌ يَقيناً فُروعُهُ ... فقدْ بَلَغَتْ إلّا قليلاً عُرُوقُها [1]

وشَيَّبَ رأسي واسْتَخَفَّ حُلومَنا ... رُعودُ المنايا حولَنا وبُرُوقُها

وإنّا لتَسْتَحلي المنايا نُفُوسَنا ... وتُتْرَكُ أُخرى مُرَّةً ما تَذُوقُها

رأَيتُ المنايا بادِياتٍ وَعُوَّداً ... إلى دارِنا سَهْلاً إلينا طَريقُها

وَقدْ قُسِّمَتْ نفسي فريقَينِ منهما ... فريقٌ معَ الموتى وعندي فريقُها

فقال لي ابن جعفر رضي الله عنهما : نحنُ كنّا أحقَّ بهذا الشِّعر ، وجاءَه غلامُه بدراهِمَ في منديل ، فقال : هذه غَلّةُ أرضكَ بمكانِ كذا وكذا ، فقال : أَلْقِها في حِجْرِ الشَّعبي ، فرمى بها إليَّ .

وقال أبو دُوادُ الإيادي :

لا أُعُدُّ الإقْتارَ عُدْماً ولكنْ ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُه الإعدامُ [2]

مِنْ رِجالٍ مِنَ الأَقارِبِ فادُوا ... مِنْ خِذامٍ هُمُ الرُّؤوسُ العِظامُ [3]

---

(١) الأبيات مع الخبر في « الأغاني » ٢٣/٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) ديوانه : ٣٣٨ ، و « الأصمعيات » ٢١٥ . الاقتار : قلة المال وضيق العيش ، والعدم والاعدام : الفقر .

(٣) في الأصل تحت كلمة : « فادوا » ما نصه : يريد ماتوا ، وتحت قوله : خذام : قبيلة ، وفي « الاصمعيات » : من حـذاق ، وحذاق : قبيلة من إياد كما في « الشعر والشعراء » : ١٩٠ ، والذي في « الاشتقاق » : ١٦٩ حـــذاقة ، -

مِنْ رجالٍ أَبُوهُمُ وأبي عَمْروٌ وكعبٌ بِيضُ الوُجوهِ وِسامُ (١)
وشَبابٍ كأنَّهم أُسْدُ غِيلٍ حالفَتْ فَرْطَ حَدِّهـا الأَحلامُ (٢)
وكُهُولٍ بَنى لهـمْ أوّلُوهُمْ مَأثُراتٍ يهابُهـا الأقوامُ
فيهِمُ لِلْمُلاينِـينَ أَناةٌ وعُرامٌ إذا يُرَادُ العُرَامُ (٣)
وَسماحٌ لدى السِّنينَ إذا ما قَحَطَ القَرُّ واسْتَقَلَّ الغَمامُ (٤)
سُلِّطَ المَوتُ والمَنونُ عليهمُ فلَهُم في صَدى المقابرِ هـامُ (٥)
وكذاكُم يصيرُ كلُّ أُناسٍ سوفَ حقّاً تُبليهِمُ الأَيّامُ

- ونص عليها في « القاموس » و « اللسان » ، وزاد في « اللسان » أنه ورد في شعر أبي دواد « حذاق » بغير هاء .

(١) في « الأصمعيات » : ورجالٌ أبوهم ...

(٢) في « الاصمعيات » : خالطت فرط حدِّهم أحلام . والغيل : الأجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف ، والحد : الحدة والغضب ، وفرطها : غلبتها وإسرافها. وفي الاصل تحت قوله : « حالفت ... » : يريد خالط حدتهم حلم .

(٣) في « الاصمعيات » : فيهم للملائمـين ، والملائم : الموافق ، وأناة : تأنٍّ ورفق وصف بالمصدر ، والعرام : الشدة والقوة والشراسة .

(٤) القر : البرد ، واستقل : ارتفع . وفي « الاصمعيات » : قحط القطر واستقل الرِّهام . والرهام : الامطار الضعيفة ، الواحدة : رهمة ، بكسر الراء .

(٥) الهام : جمع هامة ، وكانوا يزعمون أن عظام الميت - وقيل : روحه - تصير هامة فتطير ، ويسمونه الصدى ، فنفاه الاسلام ، ونهاهم عنه ،

فعلى إثْرِهم تَساقَطُ نفسي ... حَسَراتٍ وذِكْرُهم لي سَقامُ

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

بني أبي قد رمى فيكم بشِكَّتِهِ ... ونالَ ما شاءَ هذا الأَزْلَمُ الجَذَعُ [(١)]

كُنْتُم نُجوماً لَدى الدَّهْناءِ زاهِرَةً ... تُضيءُ منها الدَّياجي السُّودُ والدُّرَعُ [(٢)]

إنْ تَخْبُ أنوارُكم مِنْ بعدِ ما صَدَعَتْ ... ثَوْبَ الدُّجى فَلِضَوْءِ الصُّبحِ مُنْقَطَعُ

أرْسى النَّسيمُ بنادِيكُم ولا بَرِحَتْ ... حَوامِلُ المُزْنِ في أجداثِكُم تَضَعُ

وقال زَبَّانُ بن منظور بن سيَّار :

لئنْ فُجِّعْتُ بالقُرناء يوماً ... لقد مُتِّعْتُ بالأملِ البعيدِ [(٣)]

وما تجدُ المنيَّةُ فوقَ نفسي ... ولا نَفْسِ الأحبَّةِ مِنْ مَزيدِ [(٤)]

---

(١) ديوانه : ٦٤٦/١ ، ويقال للدهر الشديد الكثير البلايا : الأزلم الجذع ، أي : الحدث الذي لا يهرم .

(٢) الليالي الدُّرَع : هي الثلاث التي تلي البيض ، وهي ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة ، وذلك لان بعضها أسود وبعضها أبيض .

(٣) الأبيات في « ذيل الأمالي » ٥١ ، و « تهذيب ابن عساكر » ٣٦٦/٢ . وفي الذيل : « لئن فجِّعتُ بالقرباء مني » .

(٤) في الذيل : « وما تبغي المنية حين تأتي .. على أدنى الأحبة .. » وفي « تهذيب ابن عساكر » : وما تجد المصيبة ..

أَلسنا أنْفُساً وبني نُفُوسٍ ولسنا بالسِّلام ولا الحديدِ (١)

قال الأَصمعيُّ : أنشدني المذحجي لأمِّ معدان الأنصاريَّة :

لا يُبْعِدِ اللهُ فِتياناً رُزِئْتُهم بانُوا لِوَقْتِ مناياهُم فقد بَعُدُوا

أضحتْ قُبورُهم شتَّى ويجمعُهم رَوُّ المنونِ ولم يَجْمَعْهُمُ بَلَدُ (٢)

مَيْتٌ بمِصْرٍ ومَيْتٌ بالعراقِ ومَيْ تٌ بالحِجازِ منايا بينَهم بَدَدُ

دَعَوْا من المجدِ أكْنافاً إلى أجلٍ حتى إذا بلغت أظماؤهم وردوا

كانتْ لهم هِمَمٌ فَرَّقْنَ بينَهُمُ إذا القَعاديدُ عَنْ أمثالِها قَعدوا

فِعْلُ الجميلِ وتفريجُ الجَليلِ وإعْ طاءُ الجزيلِ إذا لم يُعْطِهِ أحدُ

قلتُ : لي أبياتٌ تشبهُ معنى هذه الأبيات ، وهي شَرْحُ حالٍ صحيحةٍ ، لا على مذهب الشُّعراء ، وذلك أنني مَرَّ بي قولُ رسول الله ﷺ « مَنْ زارَ قَبْرَ أبَوَيْهِ أوْ أحَدَهُما في كل جُمُعَة غُفِرَ لَهُ ، وكُتِبَ بَرّاً »(٣) فآسفني ما حُرِمْتُه مِنْ زيارتِهما وشَتاتِ شَمْلِنا أَحياءً وأمواتاً ، فقلت :

نافستني صُروفُ دهريَ في الفو ز ببِرِّ الآباء في الرَّجَمِ

لوْ كُنتُ أَسْطِيعُ أنْ أَزُورَهُما مَشْياً على الرأس لا على القَدَمِ

(١) في « الذيل » و « التهذيب » : خلقنا أنفساً وبني نفوس .

(٢) في الأصل تحت قوله : رو المنون ، مانصه : الرو : الهلاك واختلاف المنية.

(٣) رواه الحكيم الترمذي والطبراني عن أبي هريرة ، قال الهيثمي : فيه عبد الكريم أبو امية : ضعيف .

بادَرْتُ أمشي إلى ثَرَى جَدَثي أعزّ أهلي عليَّ كالقلم
لكنْ بمصر قَبْرٌ وفي شَيْزَرٍ قَبْرٌ وداري بمنْتأى العَجَمِ
والظُّلْمُ في الأرض مانِعي كلّ ما أبغيهِ حتى زيارة الرِّمَمِ
وما ظَنَنْتُ الذي لقيتُ مِنَ الدْ دُنيا تَراهُ عيناي في الحُلُمِ

وقال آخر :

وكانوا بني كنٍّ كنينٍ فأصبحوا بني الأرض قد وارتْهُم غيرَ واحدِ
وقد خُطَّ لِلباقي المُخَلَّفِ أنَّهُ لِما وَردوا مِنْ حَوْمَةِ الموتِ وارِدِ

وقال أبو ذُؤَيب الهذلي واسمُهُ خُوَيلد بن خالد ، وهَلَكَ له بَنُون خمسة في عام واحد أصابهم الطّاعون ، وكانوا توجّهُوا إلى مصر :

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتوجَّعُ والدَّهرُ ليسَ بمعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ [1]
قالتْ أُمَيْمَةُ ما لجِسمِكَ شاحِباً مُنذُ ابْتَذَلتَ ومِثلُ مالِكَ يَنْفَعُ [2]

---

(١) « ديوان الهـذليين » ١ ، و « المفضليات » ٤٢١ ، و « جمهرة أشعار العرب » ٢٤١ ، قال الشعبي : المنون : الدهر ، سمي منوناً ، لأنه يذهب بالمنة ، بضم الميم وتشديد النون ، أي : القوة . وريبه : ما يأتي به من الفجائع ، وقيل : المنون : هي المنية ، وعلى التفسير الأول روي « وريبه » بتذكير الضمير ، وعلى الثاني روي « وريبها » بمعتب ، أي : ليس الدهر بمراجع من جزع منه ما يحب ، والعتبى : المراجعة .

(٢) الشاحب : المتغير المهزول ، ويروى : « ما لجسمك سائياً » أي : يسوء

أَمْ ما لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً ... إلّا أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ (١)

فأَجَبْتُها أنْ ما لِجِسمي أنَّهُ ... أَوْدى بَنيَّ مِنَ البِلادِ فودَّعوا (٢)

أَوْدى بَنيَّ وأعقَبوني حَسْرَةً ... بعدَ الرُّقادِ وعَبْرَةً ما تُقْلِعُ (٣)

سَبقوا هَوَيَّ وأعنَقوا لِهواهُمُ ... فَفُقِدْتُهم ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ (٤)

= من نظر إليه . و « ابتذلت » بالبناء للفاعل ، أي : امتهنت نفسك في الأعمال لموت من كان يكفيك أمر ضيعتك من بنيك « ومثل مالك ينفع » : أي : مثل مالك كثير يكفي صاحبه البذلة والامتهان ، فتشتري من العبيد من يكفيك أمر ضيعتك ويقوم عليها .

(١) أقض عليك : أي : صار تحت جنبك مثل القضض ، أي : الحصى ، يقول : كأن تحت جنبك حصى يقلقك ويمنعك النوم ، ويروى : أم ما لجسمك .

(٢) قال الأخفش : « ما » صلة إنما هو : أن لجسمي ، و « أن » الأولى في معنى خفض ، والثانية : في موضع رفع ، والمعنى : فأجبتها أن الذي بجسمي إيداء بنيّ ، والايداء : الهلاك ، وقال الأصمعي : « أن ما لجسمي » في موضع الذي ، يقول : إن الذي بجسمي غميّ لذهاب ولدي ونفادهم ، فهذا الذي تريْن بجسمي لذلك .

(٣) في « المفضليات » : وأعقبوني غصة . وقوله : بعد الرقاد : يريد أن حزنه يمنعه النوم حين ينام الناس .

(٤) في « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : فتُخُرِّموا . وهوي : هواي بلغة هذيل ، أي : ماتوا قبلي ، وكنت أحب أن أموت قبلهم ، أعنقوا : أسرعوا ، وجعلهم كأنهم هووا الذهاب ولم يهووه ، وإنما ضربه مثلا .

وَلبِثْتُ بعدَهُمُ بعيشٍ ناصِبٍ   وأخالُ أني لاحِقٌ مُسْتَتبَعُ (١)

ولقد حَرَصْتُ بأنْ أدافِعُ عنهمُ   وإذا المنيَّةُ أَقبلَتْ لا تُدْفَعُ

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظفارَها   أَلْفَيت كلَّ تَميمةٍ لا تَنْفَعُ

فالعينُ بعدَهُم كأنَّ حِداقَها   كُحِلَتْ بشوْكٍ فهيَ عُوْرٌ تَدْمَعُ (٢)

حتى كأنّي لِلْحوادِثِ مَرْوَةٌ   بصَفا المُشَقَّرِ كل يومٍ تُقْرَعُ (٣)

وتَجَلُّدي للشامِتينَ أُريهِمُ   أنّي لِرَيْبِ الدَّهرِ لا أتَضَعْضَعُ

وقال أبو ذُؤَيب أيضاً :

فإنَّكَ حقاً أيَّ نظرَةِ ناظِرٍ   نظرْتَ وَقُفٌّ دونَها ووَقيرُ (٤)

---

(١) في « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : فغبرت . وناصب ، أي : ذي نصب بالتحريك وهو الجهد والتعب ، ومستتبع : مستلحق ، استتبع فلان فلاناً ، أي : ذهب به ، يقول : أنا مذهوب بي وصائر إلى ما صاروا إليه .

(٢) في « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : سملت بشوك . والحداق : جمع حدقة بالتحريك ، وهي واحدة ، وإنما جمعها باعتبارها وما حولها .

(٣) المروة : حجر أبيض براق تقتدح منه النار ، ويقال لمن كثرت مصائبه : قرعت مروته . وصفا المشقر : حصن بالبحرين بهجر ، وفي « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : بصفا المشرق ، والمشرق : مسجد الخيف بمنى ، وإنما خصه لكثرة مرور الناس به ، فهم يقرعون حجارته بمرورهم . يقول : أنا من كثرة المصائب كمروة يقرعها مرور الناس بها .

(٤) « شرح أشعار الهذليين » ١/٦٥ ، القف : موضع غليظ مرتفع لا يبلغ —

دِيارُ التي قالت غَداةَ لَقِيْتُها صَبَوْتَ أبا ذيبٍ وأنتَ كبيرُ
تَغَيَّرْتَ بعدي أو أصابكَ حادِثٌ مِنَ الدَّهر أمْ مَرَّتْ عليكَ مَرُورُ (١)
فقلتُ لها فَقْدُ الأَحِبَّةِ إنَّني حَديثٌ بأرْزاء الكرامِ جَديرُ (٢)
فِراقٌ كنَغْضِ السِّنِّ فالصَّبْرَ إنَّهُ لِكُلِّ أُناسٍ عَثْرَةٌ وَجُبُورُ (٣)

نَغْضُ السِّن : تحريكُها ، قال الله تعالى : (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُم) [الاسراء : ٥١] ، أي : يُحَرِّكُونها . ويُروى « كقيض السِّن » وقيضُها : انشقاقُها .

فأصبحتُ أمشي في دِيارٍ كأنَّها خِلافَ دِيارِ الكاهِلِيَّةِ عُورُ (٤)

ـ أن يكون جبلا ، وفي « أشعار الهذليين » : أي نظرة عاشق ... وقدس ... وقدس : جبل عظيم بنجد ، ووقير : ذكره ياقوت ولم يعين موضعه .

(١) قال السكري : مرور : مثل قتول : حال بعد حال ، ما يمر على الناس من الحوادث . قلت : الذي في « اللسان » و « التاج » : مُرور بضم الميم .

(٢) في « شرح أشعار الهذليين » : حري بأرزاء ، قال السكري : خليق بأن أرزأهم ، ويروى : خليق ، ويروى : حديث بأرزاء ، أي : أنا حديث العهد بأن رزئت قوماً جدير بأن أرزأهم .

(٣) قوله : الصبر ، أي : الزم الصبر على الاغراء ، وقوله : عثرة وجبور ، أي : يعثرون ثم يجبرون .

(٤) الكاهلية : من بني كاهل من هذيل .

يُقال : خَلَفٌ أعوَرُ : إذا كان فاسِداً ، يقول : هذه الدّارُ خَلَفٌ أعْوَرُ مِنْ هاتيك .

أُنادي إذا أُوْفي مِنَ الأَرض مَرْبَاً   لِأَني سميعٌ لو أُجابُ بصيرُ (١)

وقال إبراهيمُ بن هَرْمَة :

تَفانَوا ولم يبقَوا وكلُّ قبيلةٍ   سَريعُ إلى وِرْدِ الفَناء كِرامُها
وكَيفَ وقد صاروا عِظاماً وأقْبُراً   يَصِيحُ صَداها بالعَشِيِّ وهامُها

وقال أبو العيص بن حزام :

وكمْ مِنْ صاحِبٍ قـد ناءَ عنّي   رُميتُ بفَقْدِهِ وهو الحبيبُ
فلمْ أُبدِ الذي تُخْفي ضُلوعي   عليـه وإنَّني لَأَنا الكئيبُ
مَخافـةَ أنْ يَراني مُستكيناً   عَـدُوٌّ أو يُساء بهِ قريبُ
فيشْمَت كاشِحٌ ويَظنّ أني   جَزوعٌ عنـد نائبةٍ تنوبُ
فَبَعْدَكَ مدّت الأَعداءُ طَرْفاً   إليَّ ورَابـني دهرٌ مُريبُ
وأنكرْتُ الزّمانَ وكلَّ أهْلي   وهَرَّتني لغَيْبَتِـكَ الكَليبُ (٢)

---

(١) مربأ : أي أعلو شرَفاً ، والشرف : الارتفـاع حيث ينظر الربيئـة ، يقول : أنادي كلما أشرفت على مربأٍ من الأرض : يا دار أين أهلك ؟

(٢) في « اللسان » : الكليب والكالب : جماعة الكلاب ، فالكليب كالعبيد ، وهو جمع عزيز .

وكنتُ تَقَطَّعُ الأَبصارُ دوني   وإنْ وَغرَتْ مِنَ الغيظِ القُلُوبُ
وَيَمْنَعُني مِنَ الأعداءِ أَنّي   وَإنْ رَغِموا لَمَخْشِيٌّ مَهيبُ
فلمْ أرَ مثلَ يوْمِكَ كان يوماً   بَدَتْ فيهِ النُّجومُ فما تَغيبُ
وليلٍ ما أنامُ به طويلٍ   كأني للنُّجوم بـه رَقيبُ
وما يَكُ جائياً لا بُدَّ منـهُ   إليكَ فسوفَ تَجْلِبُهُ الجُلُوبُ

وقال كَثيرُ بنُ عبد الله ، وهو ابنُ الغُريرة وهي أمه[1] :

أَلا مَنْ لِشَوْقٍ آخرَ اللَّيل شائقٍ   وَقلْبٍ كَمكْسورِ الجناحَينِ خافقِ
وَصَبٍّ حَزينٍ كُلَّما جَنَّ ليلُـهُ   تَذَكَّرَ ذِكرى مِنْ حَبيبٍ مُفارِقِ
فلا تَعْذُليني يابْنَةَ الخَيْرِ إنَّمـا   تَخَرَّمَتِ الأيامُ مِني أَصادِقي[2]
فاصبحْتُ رَهْناً بَعْدَهُمْ في دِيارِهم   كَمُستَوْثَقٍ منهُ وليسَ بآبِقِ

وقال الحرثُ بنُ عَوْف الجُشَمي :

---

(١) هو كثير بن عبد الله بن مالك بن هبيرة بن صخر بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، مخضرم ، بقي إلى أيام الحجاج . والغريرة : أمه ، ويقال: جدته ، وقد ورد ضبطها في الأصل وفي « الخزانة » ٤/١١٨ كما أثبتنا ، وهي في مصادر ترجمته : ابن الغَرِيزَة . انظر « الأغاني » ط الدار ١١/٢٧٨ و « ذيل السمط » ٢٨ ، و « معجم الشعراء » ٢٤٠ .

(٢) أصادق : جمع صديق . تخرّمتهم : استأصلتهم .

فإنْ تَكُنِ الحوادِثُ غيَّرَتْني ... فلمْ أرَ هالِكاً كابْني زِيادِ

هُما رُمْحانِ خَطِّيَّانِ كانا ... مِنَ السُّمْرِ المُثَقَّفَةِ الجِلادِ

تُهالُ الأرضُ إنْ يطآ عليها ... بمِثلِهِما تُسالِمُ أو تُعادي

وقال تميمُ بن أُبيّ بن مُقبل العَجْلاني :

تذكَّرْتُ إخواني الذينَ عهِدْتُهُمْ ... كأنْ لمْ يكُنْ شكْلي لهمْ مرّةً شَكْلا (١)

هَجرْتُهُمُ مِنْ غيرِ بُغْضٍ ولا قِلىً ... ولكنَّ مرَّ الدّهرِ كان لهم شُغْلا

وقال محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة (٢) :

هلْ في الخُلودِ إلى القيامَةِ مَطْمَعُ ... أمْ لِلمَنونِ عنِ ابنِ آدمَ مَدْفعُ

هيهاتَ ما للنّفْسِ مِنْ مُتأخَّرٍ ... عنْ وقتِها لوْ أنَّ عِلمَكَ ينْفعُ (٣)

أيْنَ المُلوكُ وَعيشُهُمْ فيما مَضى ... وَزمانُهُمْ فيهم وما قدْ جمّعوا (٤)

ذَهبوا ونَحْنُ على طريقةِ مَنْ مَضى ... مِنهم فمَفْجوعٌ به ومُفَجَّعُ

---

(١) « ديوان ابن مقبل » ٢٠٣ وفيه : ... الذين هجرتهم . والشكل : الشبه والمثل .

(٢) قال المرزباني في ترجمته « المعجم » ٣٤٥ : محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، يتهم في دينه ، وهو القائل يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى . ثم أورد الأبيات .

(٣) في « معجم الشعراء » : لو أن علماً ينفع .

(٤) في « معجم الشعراء » : وزمانهم فيه .

عَثَرَ الزَّمانُ بنا فأوْهى عَظْمَنا　　　إنَّ الزَّمانَ بمـا كرِهتَ لَموَلعُ [١]

وقال إبراهيم بن كَنَف [٢] :

تَعزَّ فإنَّ الصَّبْرَ بالُحرِّ أَجْمَلُ　　　وليسَ على رَيب الزَّمانِ مُعوَّلُ

فلَوْ كانَ يُغْني أنْ يُرى المرءُ جازِعاً　　　لِحادِثـةٍ أو كانَ يُغني التَّذَلُّـلُ [٣]

لـكانَ التَّعَزّي عند كل مُصيبةٍ　　　وَنائبةٍ بالُحرّ أوْلى وأجْمَـلُ [٤]

فـكيفَ وكلٌّ ليسَ يعدو حِمامَهُ　　　وما لامرىءٍ عَمّا قَضى اللهُ مزْحَلُ [٥]

فإنْ تـكُنِ الأَيّامُ فينا تَبدَّلتْ　　　ببُؤسىٰ ونُعْمى والحوادِثُ تَفعَلُ [٦]

فمـا ليَّنَتْ منَّا قناةً صَليبةً　　　ولا ذَلَّلَتْنا لِلّتي ليسَ تَجْمُلُ [٧]

---

(١) في « معجم الشعراء » : إن الزمان بما كرهنا مولع .

(٢) في « السمط » ٤٣٠ : إبراهيم بن كُنَيف ، شاعر إسلامي . وذكر الميمني أن الأصل كنف . قلت : والأبيـات مع آخر في « الأمالي » ١٦٨/١ ، و « زهر الآداب » ٩٨٨/٢ ، والبيت الأول والخامس والسادس والسـابع في « شرح الحماسة للمرزوقي » ٢٥٨/١ .

(٣) في « الأمالي » و « زهر الآداب » : جازعاً لنازلة أو ..

(٤) في « الأمالي » و « الزهر » : ونازلة بالحرّ ..

(٥) في « الزهر » : مما قضى الله مزحل .

(٦) في « الأمالي » : ببؤس ونعمى .. وفي « الزهر » بنعمى وبؤسى .

(٧) في « الأمالي » و « الزهر » : للذي ليس يجمل .

ولكن رَحَلْناها نفوساً أَبيَّةً ... تُحَمَّلُ ما لا تَستَطيعُ فتَحْمِلُ (١)

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

هَبْني بَقيتُ على الأيام والأَبَـدِ ... وَنِلْتُ ما شِئْتُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ
مَنْ لي برُؤيةِ مَنْ قد كُنتُ آلَفُهُم ... وَبالزَّمانِ الذي وَلّى فلمْ يَعُـدِ
لا فارَقَ الُحزْنُ قلبي بَعْدَهُمْ أَبَداً ... حَتى يُفرِّقَ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ

وقال آخر :

صَبرْتُ ابْتغاءَ الأَجر بعدَ جُوَيْلِدٍ ... وبعدَ رِزامٍ والنُّفُوس تَوالِفُ
وبعدَ الفتى فَجْرٍ ولَيْثٍ تتابَعا ... فلمْ يَبْقَ بَعْدَ الإلفِ إلّا المَعارِفُ
فقد جعلَتْ نفسي تلَذُّ اتّباعَهُمْ ... كما لَذَّ بَرْدَ الماءِ حَرَّانُ صائِفُ

غاب شبيبُ بن البَرْصاء (٢) عن أهله غيبةً ثمَّ عاد بعدَ مدةٍ وقد مات جماعةٌ من أهله وبني عمه فقال :

---

(١) في « الأمالي » و « الزهر » :

ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تُحمّل ما لا يستطاع فتحمل

وبعـــده :

وقينا بعزم الصبر منا نفوسنا ... فصحّت لنا الأعراض والناس هُزّل

(٢) شبيب بن يزيد بن جبرة ، وأمه: قِرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، لقبت البرصاء لشدة بياضها ولم يكن بها برص . وقيل : إنما سميت ـ

تَخَرَّمَ الدّهرُ إخواني وغادرَني كما يُغادَرُ ثورُ الطاردِ الفَرِدُ (١)
إني لباقٍ قليلاً ثمَّ لاحقُهُمْ وَوارِدُ مَنْهَلَ الحوْضِ الذي وَرَدوا (٢)

وقال العتبي (٣) :

ينامُ المُسْعَدونَ ومَنْ يَلومُ وتُوقِظُني وأُوقِظُها الهُمومُ
صَحيحٌ بالنَّهارِ لِمَنْ يَراني وليْلي لا ينامُ ولا يُنيمُ

ـ بذلك لبرص حدث بها ، وذلك أن النبي ﷺ ، خطبها إلى أبيها فقال: إن بها وضحاً ، فأصابها ذلك ، ولم يكن بها . وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، بدوي ، لم يحضر إلا وافداً أو منتجعاً . ترجمته في « السمط » ٦٣٠ و « الأغاني » ط الدار ٢٧١/١٢ والخبر فيه ص ٢٧٧ .

(١) في « الأغاني » ٢٧٧/١٢ : الطارد الفئد . والفئد : الذي يشكو فؤاده.

(٢) في « الأغاني » : ثم تابعهم ووارد منهل الحوض ..

(٣) أبو عبد الرحمن العتبي ، محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان . قال المرزباني : بصري علامة ، راوية للأخبار والآداب وكان حسن الصورة جميل الأخلاق ، وبلغ سناً عالية ، وكان حسن الخضاب ويلبس الطيالسة الزرق ، فلقب الشقِرّاق للون خضابه وشدة حمرة وجهه وتلون طيالسته . وتتابعت على العتبي مصائب بالذكور من ولده في الطاعون الكائن بالبصرة سنة تسع وعشرين ومئتين وقبل ذلك ، فمات منهم ستة ، فرثاهم بمراثٍ كثيرة . ترجمته في « معجم الشعراء » ٣٥٦ و « تاريخ بغداد » ٣٢٤/٢ و « وفيات الأعيان » ٣١/٤ و « شذرات الذهب » ٦٥/٢ .

كأنَّ اللَّيلَ محبُوسٌ دُجاهُ وأوَّلُهُ وآخرُهُ مُقيمُ
لمهلِك فِتْيَةٍ تَركوا أباهُمْ وأصغَرُ ما بهِ منهم عظيمُ
يُذكِّرُنيهمُ ما كُنْتُ فيهِ فسِيَّانِ المَساءةُ والنَّعيمُ
فبالخدَّينَ مِنْ دَمْعي نُدوبٌ وبالأحْشاء مِنْ وَجْدي كُلُومُ
فإنْ يَهلِكْ بَنيَّ فليس شيٌ مِنَ الدنيا على أحَدٍ مُقيمُ

وقال أبو زُبَيْد الطائي [١] :

مَنْ رأى العيرَ لابن أزوى على ظَهرِ المَرْوَرى حُداتُهنَّ عِجالُ [٢]
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ـبٍ خَلاءٌ تَهبُّ فيهِ الشَّمالُ

---

(١) هوالمنذر بن حرملة الطائي القحطاني ، أبو زبيد (٠٠ ـ نحو ٦٢ هـ) : شاعـــر معمّر ، من نصارى طيىء ، عاش زمناً في الجاهليـــة ، وكان يزور الملوك ، ولا سيما ملوك العجم لعلمه بسيرهم ، وأدرك الاسلام وقيل انه أسلم ، وكان يدخل مكة متنكراً ، مات في الكوفة أو في باديتها في زمن معاوية . ترجمته في « الأغاني » ١٢/١٢٧ ط الدار . و « الشعر والشعراء » ٢٦٠ ، و « الخزانة » ٢/١٥٥ و « المعمرين » ٨٦ ، و « اللآلي » ١١٨ ، ورجح صاحب « الأغاني » أن اسمه حرملة بن المنذر .

(٢) البيت في « الأغاني » ط الدار ٤/٣٢٦ ، و « الشعر والشعراء » ٢٦١، وهو من قصيدة أورد أبياتاً منها ابن قتيبة ، قالها المنذر عندما عزل عثمانُ الوليدَ بن عقبة عن الكوفة ، وحدَّه في الخمر ، وكان المنذر ينادمـه . وابن أروى : هو الوليد، وأروى : أمه وأم عثمان بن عفـان . المرورى : جمع مروراة ، وهي الصحراء . وفي « الشعر والشعراء » : المُروّى ، وهو موضع .

يَعرِفُ الجاهِـلُ المُضَلَّلُ أنَّ الدْ دَهرَ فيهِ النَّكراءُ والزِّلزالُ
لَيتَ شِعْري كذاكُمُ العهدُ أمْ كا نوا أُناس كمنْ يَزولُ فزالوا
بَعْدَ مـا تعلَمينَ يا أُمَّ زيدٍ كانَ فيهم عِزٌّ لنـا وجَمالُ
مِنْ وجوهٍ بوُدِّنـا مُشرِقاتٍ ونَوالٍ إذا أُريـدَ النَّوالُ

وقال البُرَيْقُ بن عياض الهذلي [1] :

ما إنْ أبو زَيْدٍ برَثٍّ سِلاحُهُ جَبانٍ وما إنْ وَجْهُهُ بدَميمِ
وكُنتُ إذا الأَيَّامُ أَحدَثْنَ نكبةً أَقولُ شَوىً مالمْ يُصِبْنَ صَميمي [2]

يقـال : رمى فأصمى : إذا أصابَ مَقْتَلاً . ورمى فأشوى : إذا لمْ يُصِبْ مقتلا .

أَصبْنَ أبا زَيْدٍ ولا حَيَّ مِثلُهُ وكانَ أبو زَيْدٍ أخي وحَميمي [3]

---

(١) هو البُرَيق بن عيـاض بن خويلد الخُناعي ، ورد شعره في « شرح أشعار الهذليين » ٧٤١/٧٦٠ والأبيات فيه ص ٧٤٤ – ٧٤٥ . وفي « ديوان الهذليين » ٣/٦٠ . وجاء فيه : البريق – واسمه عياض بن خويلد .

(٢) في « شرح أشعار الهذليين » : أحدثن هالكاً . قال السكري : إذا هلك هالك قلت : هـــذا أمر شوىً ، أي : يسير هيّن ، ما لم تقع المنية بالصميم وتقصد له .

(٣) في « شرح أشعار الهذليين » : أخي ونديمي .

فأصبحْتُ لا أدعو مِنَ النَّاسِ واحداً سِوى وِلْدَةٍ في الدّارِ غيرَ حَكيمِ

يقول : لم يبق الموت إلا الأطفال .

كأنَّ عجوزي لمْ تَلِدْ غيرَ واحدٍ وماتَتْ بذات الشَّري غيرَ عقيمِ[١]

يقول : كانت كبيرةَ الولد فماتوا وبقيتُ أنا وحدي ، فكأنها لم تلِدْ غيري .

وقالَ وَضّاحُ اليمَن ، واسمُهُ عبدالرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال[٢] :

كأنيَ إذْ أُكَفْكِفُ دَمْعَ عَيْني وأنْهاها أَقُولُ لها هَريقي[٣]
سأصبرُ للقَضاءِ فكلُّ حيٍّ سَيلقى سَكْرَةَ الموتِ المَذُوقِ

---

(١) كتب في الأصل تحت قوله : « ذات الشري » ما نصه : موضع ، والشري: الحنظل .

(٢) شاعر أموي ، رقيق الغزل ، كان جميل الطلعة يتقنّع في المواسم ، له أخبار مع عشيقة له اسمها روضة . من أهل اليمن ، قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبد الملك ، فرأى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد، فتغزّل بها ، فقتله الوليد . ترجمته في « الأغاني » ٦/٢٠٩ و « الفوات » ١/٢٥٣ و « تهذيب ابن عساكر » ٧/٢٩٥ .

(٣) الابيات من قصيدة رثى بها أخاه وأباه ، وهي بتمامها في « الأغاني » ٦/٢٢٨ — ٢٢٩ ومطلعها :

أراعك طائر بعد الخفوق بفاجعة مشنّعة الطروق

فما الدُّنيا بقائِمةٍ وفيها ... مِنَ الأَحياء مِنْ عَيْنٍ رَمُوقِ (١)
فأغناهُمْ كأعْدَمِهِمْ إذا ما ... تَقَضَّتْ مُدَّةُ العيشِ الرَّقيقِ
كذلكَ يُبْعَثونَ وَهُمْ فُرادى ... لِيوم فيهِ تَوْفِيَةُ الحُقوقِ

وقال أبو سعيد مولى فائد (٢) :

أثَّرَ الدَّهرُ في رجالي فقَلُّوا ... بَعْدَ جَمْعٍ فراحَ عَظْمي مهيضاً (٣)
ما تذَكَّرْتُهُمْ فتَمْلِك عيني ... فَيْضَ دَمْعي وحُقَّ لي أنْ تفيضا

وقال أيضاً :

أولئكَ قومي بعدَ عِزٍّ وَثَرْوَةٍ ... تَفانَوا فإلّا تَذْرِفِ العَيْنُ أكْمَدِ (٤)
أرى أُسْرَتي في كلِّ يَوْمٍ وليلَةٍ ... يَروحُ بهم ريبُ المنونِ وَيَغْتدي
كأنَّهم لا ناسَ لِلْموتِ غيرُهمْ ... وإنْ كانَ فيهم مُنصِفٌ غيرُ مُعتَدِ (٥)

---

(١) في « الأغاني » : من الأحياء ذو عين .

(٢) هو أبو سعيد مولى فائد ، وفي الأصل قائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان ابن عفان رضي الله عنه . ترجمته في « الأغاني » ط الدار ٤/٣٣٠ .

(٣) البيتان في « الأغاني » ط الثقافة ٤/٣٥٥ . قال أبو الفرج : ومما قاله فيهم — أي : في قتلى بني أمية — وغني فيه ، على أنه قد نسب إلى غيره ، ثم ذكر الصوت الذي فيه البيتان .

(٤) البيتان ، الأول والأخير في « الأغاني » ٤/٣٥٥ .

(٥) في « الأغاني » : وإن كان فيهم منصفاً غير معتدي .

وقال نُصيب يرثي عبد العزيز بن مروان :

عَرَفْتُ وجَرَّبْتُ الأُمورَ فما أرَى كماضٍ تَلاهُ الغابِرُ المُتأَخِرُ (١)
ولكنَّ أهل الفَضْل مِنْ أهلِ نِعْمتِي يَمُرُّونَ أرْسالاً أمامي وَأَغْبُرُ (٢)
فإنْ أبْكِهِم أُعْذَرْ وإنْ أَغْلِبِ الأسى لِصَبْرٍ فمِثْلي عندما اشْتَدَّ يصْبِرُ (٣)

دخل نُصَيب على عبد الملك بن مروان فاستَنْشَدَهُ ما قال في أخيهِ عبد العزيز ، فلما أنشده هذه الأبيات بكى وقال : أنا كُنتُ أولى منك بهذا القول .

وقال عُصَيْمَة التميمي تيم الله بن ثعلبة :

وَلو أنَّ قومي مثلُ قومِ عُباعِب وإخْوَتِهم ما اسْتيقَ ظُلْماً رِكائِبي
ولكنْ أصابَتهمْ خُطوبٌ وأَخْطأَتْ رِجالاً أَرَوْني بالنَّهار كواكِبي

وقال أبو عبد الله القَزّاز وهو محمَّد بن جعفر النَّحوي من أبيات (٤) :

---

(١) الأبيات في « الأغاني » ١/٣٦١ مع خمسة أخرى تلتها .

(٢) في « الأغاني » : يمرون أسلافاً . الغابر : الباقي ، قال تعالى : « إلا عجوزاً في الغابرين » وغبر من الأضداد يستعمل بمعنى ذهب وبقي .

(٣) في « الأغاني » : فان أبكه .

(٤) هو محمد بن جعفر التميمي ، أبو عبد الله القزاز (٣٤٢ - ٤١٢ هـ) : أديب عالم باللغة من أهل القيروان مولداً ووفاة ، والقزاز نسبة إلى عمل القز . له عدة -

وَاحَسْرَتا ماتَ إخواني وأَقْراني ... وَشَتَّتَ الدَّهرُ خُلَّاني وأَعْواني [1]
وَغَيَّرتْ غِيَرُ الأَيَّامِ خالِصتي ... والمُصطفى الحُرَّ مِنْ أَهْلي وجِيراني
وَصارَ مَنْ كُنتُ في السَّراءِ أذكُرُهُ ... بلْ لستُ أنساهُ في الضَّراءِ ينساني

وقال الفقيه أبو طاهر إبراهيم بن خَفاجة المغربي :

أَإخواني ولا إخوانَ صِدقٍ ... أُصافي بَعدكم إلّا الصفاحُ
لِحُسْنِ الصَّبْرِ دُونكمُ حِرانٌ ... وَلِلعَبَراتِ بعدَكمُ جِماحُ
فدَيْتُكمُ بنفسي مِنْ كِرامٍ ... يَهُزُّ بهمْ مَعاطِفَهُ السَّماحُ
أرى بهمُ النُّجومَ وَلا ظَلامٌ ... وأوضاحَ النَّهارِ ولا صباحُ
لهمْ هِمَمٌ كما شَمَخَتْ جِبالٌ ... وأَخْلاقٌ كما دَمِثَتْ بطاحُ

قيل : إنَّ الرَّشيد استحضَرَ بعضَ جواري البرامكة بعد نَكْبَتِهِمْ وقال لها : غني فغَنَّتْ :

لَهفي على فتيةٍ ذَلَّ الزَّمانُ لهمْ ... فما يُصيبُهُمُ إلَّا بما شاؤوا [2]

– مؤلفات وشعر رقيق . ترجمته في « وفيات الأعيان » ٤/٩ ، و « بغية الوعاة » ٢٩ ، و « إرشاد الأريب » ١٨/١٠٥ .

(١) البيت والذي يليه في « إرشاد الاريب » ١٨/١٠٨-١٠٩ وروايته فيه :
واحسرتا مات أحبابي وخِلّاني ... وشيَّبَ الدهر أترابي وأخداني

(٢) الأبيات عدا الأخير في « الأغاني » ١/٦٥ ، وهي مما غناه معبد للوليد ابن يزيد . وقد ورد البيت الاول في الجزء ٧/١٩٩ من « الاغاني » مع أبيات أخرى من قصيدة لأبي نواس ، وروايته : دارت على فتية .. فما أصابهم ..

أبكى فِراقُهم عيني وأرَّقها … إنَّ التَّفرُّقَ للأحبابِ بكَّاءُ

مازالَ يَعدُو عليهم رَيبُ دَهرِهِمُ … حتى تفانوا ورَيْبُ الدَّهر عدَّاءُ

فظلْتُ أبكيهم طَوْراً وأندُبُهُمْ … حتى انْثَنيتُ وما في مُقلتي ماءُ

وقال آخر :

مَضوا بَدَداً عني وَخلَّفَ بعدَهُمْ … بما سرَّني في العيش قادِمَتا نَسْرِ[1]

فما أُغمِضُ الأجفانَ إلّا على قذىً … ولا أُقلبُ الجَنْبَيْن إلّا على جمْر

وأصبحتُ أعفُو عن ذُنوبٍ كثيرةٍ … وأحمِلُ زَلّاتِ الصَّديقِ على الدَّهرِ

وأعذرُ قوماً لو أُحاكِمُ بعضَهُمْ … إلى نَفسِهِ أغْضى حياءً مِنَ الغَدْرِ

وقال آخر :

نَقَّبوا في البلادِ مِنْ حَذَرِ المَوْ … تِ وَجالُوا في الأرضِ كلَّ مَجالِ

ثمَّ صاروا إلى التي خُلِقُوا فيـ … ـها وكلٌّ مَصيرُهُ لِزوالِ

وقال آخر :

ثَوَى بينَ الجُرَيش وتلِّ مَحرى … فوارسُ مِنْ نُمارَةَ غيرُ مِيلِ[2]

---

(١) بدداً : متفرقين .

(٢) البيتـان مع قصة لهما في « معجم البلدان » ٢/٤٠٧ - ٤٠٨ . وفيه : « الجَرْيش » بالجيم المعجمة . الميل : جمع أميل ، وهو الذي يميل على السرج في جانب ولا يستوي عليه ، وقيل : هو الذي لا سيف معه . وتل محرى : قال

فلا فَرِحينَ إنْ نعْماءُ وَافَتْ ولا جَزِعينَ للخَطْبِ الجليلِ [1]

وقال ابن الرومي :

قد كنتُ أبكي على مَنْ ماتَ مِنْ سَلَفي
وَأهـلُ وُدِّي جَميعٌ غيرُ أشْتاتِ
فاليومَ إذْ فَرَّقتْ بيني وَبينَهُمُ نَوىً بكيتُ على أهـلِ الموَدّاتِ
وما حياةُ امرىءٍ أضْحتْ مدامِعُهُ مَقْسُومَـةً بينَ أحياءٍ وأمْواتِ

وقالت عِنان جارية النَّطاف [2] :

نفسي على حَسَراتِها موقُوفةٌ فوَدِدْتُ لو خَلَصَتْ مِنَ الحَسَراتِ
لو في يديَّ حسابُ أيّامي إذاً خطْرَفْتُهُنَّ تَعَجُّلاً لِوَفـاتي [3]
لاخيرَ بعدَكَ في الحياةِ وإنَّمـا أبكي مخافَةَ أنْ تطول حياتي

ـ ياقوت : بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والراء والقصر ، وهو تل بحري ـ بالباء الموحدة ـ وتل البليخ ، وهي بليدة بين حصن مسلمة بن عبد الملك والرقة .

(١) رواية البيت في « معجم البلدان » :

فلا جزِعونَ إن ضَرّاءُ نابت ولا فرحون بالخـير القليلِ

(٢) عنان جارية مولدة من مولدات اليمامـة ، وبها نشأت وتأدبت ، فاشتراها الناطفي ورباها . انظر ترجمتها في « الأغاني » ط الثقافه ٢٢/٥٢١ .

(٣) في « اللسان » : تخطرف الشيء : إذا جاوزه وتعدّاه .

وقال الحُسينُ بن الضحَّاك [1] :

تخوَّنَ الدّهرُ منّا إذْ تخوَّنهم ... ما لا يعودُ علينا آخرَ الأبدِ

ياليتَ شعري إذا ما بَرْمكٌ دَرَجتْ ... وأصبحَ الفرِحُ المسْرورُ ذا كَمَدِ

هل يستَقِلُّ كيحيى بعدَهُ بشَرٌ ... أمْ هلْ يجودُ كجودِ الفضْلِ منْ أحَدِ

وقال شُقران [2] :

ذكرْتُ أبا أرْوى فبِتُّ كأنّني ... بِرَدِّ الأُمورِ الماضياتِ وَكيلُ [3]

وإنَّ افْتقادي واحداً بعدَ واحدٍ ... دليلٌ على أنْ لا يدُومَ خليلُ

لكُلِّ اجتماعٍ مِنْ خليلَين فُرقةٌ ... وكلُّ الذي دونَ الفِراقِ قليلُ

وقال أبو العتاهية [4] :

كمْ مِنْ أخٍ ليَ لا يُرى ... مُتصرِّفاً فيمنْ تَراهُ [5]

---

(١) هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، من مواليهم ، أو هو منهم ، أبو علي (١٦٢ - ٢٥٠ هـ) : شاعر من ندماء الخلفاء ، قيل : أصله من خراسان ، ولد ونشأ في البصرة وتوفي ببغداد ، ونادم الأمين . ترجمته في « الأغاني » ١٤٦/٧ و « وفيات الأعيان » ٤٢٤/١ و « تهذيب ابن عساكر » ٢٩٧/٤ و « تاريخ بغداد » ٥٤/٨ .

(٢) لعله شُقران مولى بني سلامان بن سعد ، عاصر ابن ميادة ، وكان بينهما هجاء . انظر « الأغاني » ٢٦٦/٢ ، ٢٦٩ .

(٣) كتب في الأصل فوق كلمة أروى : أوفى .

(٤) ديوانه : ٤٠٧ .

(٥) في الديوان : كم من أخ لك لا ترى .

أمْسى قريبَ الدارِ في الـ أجداثِ قد شَحَطَتْ نَواهُ
قَـد كانَ مُغتَرّاً بيو م وَفاتِـهِ حتى أتاهُ
الناسُ في غَفَـلاتِهِمْ والموتُ دائرَةٌ رَحاهُ
فالحمـدُ للهِ الذي يبقى ويَهْلكُ مَنْ سِواه (١)

وقال آخر :

أخِلّايَ مِنْ أهل القُبُورِ عليكُمُ السـ لامُ أمَا مِنْ دَعوَةٍ تسمَعُونَهـا
وَلا مِنْ كلامٍ تَرْجِعونَ جوابَهُ إلينا وَلا مِنْ حاجـةٍ تَطلُبُونَهـا
سَكَنتُمْ ظُهُورَ الأَرْضِ في الدّهرِ بُرْهَةً فلمْ تَلْبَثُوا حتى سكنتُمْ بُطُونَهـا
وَقد كانَ في الدُّنيا قرونٌ كثيرةٌ وَلكنَّ رَيبُ الدهر أفنى قُرُونَها

وقال أصْرَمُ بنُ حُمَيْد : وقيل : هي لمفضل العمّي .

عـاداتُ قومي مِنْ بني أَسَدٍ رِيُّ القَنا وخِضابُ كلِّ حُسامِ
لَهفي على قَتْلى النُّباجِ فإنّهمْ كانوا الذُّرى ورواسِيَ الأَعْلامِ (٢)
كانوا على الأعداء جَمْراً مُحْرِقاً وَلقومِهِمْ حَرَماً مِنَ الأَحْرامِ
لا تَهْلكي أسَـفاً فإنّيَ واثِقٌ برماحِنـا وعواقِبِ الأَيّامِ

---

(١) في الديوان : ويهلك ما سواه .

(٢) النباج : موضع ، وهو في الأصل بضم أوله ، وضبطه ياقوت بالكسر .

وَصفَ أعرابيٌّ قومَـهُ فقال : كانوا واللهِ لُيوثَ حَرْبٍ ، وَغُيُوثَ جَـدْبٍ . إنْ قاتَلُوا أبْلَوا ، وإنْ أَعْطَوْا أَغْنَوْا ، ثمَّ عَجَّلَ لهمُ الدّهرُ ما أخَّرَ لغيرِهِمْ .

قال أمير المؤمنينَ عمر بن الخطـاب ، رضوانُ الله عليه ، لعَمْرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيدي : صِفْ لي قومَكَ . فقال : نِعْمَ القومُ عند السيفِ المَسْلُول ، والخير المسؤول ، والطعام المأكول .

وقال آخر :

أَبعْدَ بني بَكْرٍ أُؤَمِّلُ مُقْبلاً ... مِنَ الدَّهر أوْ آسى على فَقْدِ مُدْبِرِ
وليسَ وراءَ الفَوْتِ شيءٌ يَرُدُّهُ ... عليكَ إذا ولّى سوى الصَّبْرِ فاصبرِ

وقال ابن المعتز :

أشكو إلى الله أحداثاً مِنَ الزَّمنِ ... بَرَيْنَني مثلَ بَرْيِ القِـدْحِ بالسُّفُنِ
لم يَبقَ في العيشِ لي إلّا مَرارَتُهُ ... إذا تذوقْتُهُ والُحلْوُ منـه فني
يانفسُ صبراً وإلّا فاهلكي جزعاً ... إنّ الزمانَ على ما تكرهينَ بُني

وقال الأستاذ أبو اسماعيل الطغرائي [1] :

---

(١) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو اسماعيل ، مؤيد الدين الأصبهاني ، الطغرائي (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) : شـاعر من الوزراء الكتاب ، كان ينعت بالأستاذ ، ولد بأصبهان ، واتصل بالسلطان مسعود بن محمـد السلجوقي —

أَثْبَتُ بالَحظِّ لو نادَيْتُ مُسْتَمِعاً ... والَحظُّ عنّيَ بالُجهّالِ في شُغُلِ [١]
تَقَدَّمَتْني رجالٌ كانَ شَوْطُهُمُ ... وراءَ ظَهريَ لو أمشي على مَهَلِ [٢]
هذا جزاءُ امرئٍ أقرانُهُ دَرَجوا ... مِنْ قبلِهِ فتمنّى فُسْحَةَ الأَجَلِ [٣]
فإنْ عَلانيَ مَنْ دُوني فلا عَجَبٌ ... ليأُسْوَةٌ بانْحِطاطِ الشَّمْسِ عنْ زُحَلِ [٤]

وقال بَيْهَس ويُلقَّبُ نَعامَة [٥] وقد قُتِلَ إخْوَتُه :

صاحب الموصل — فولاه وزارته ، ومات قتلاً . أشهر شعره لامية العجم التي منها هذه الأبيات . انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » ١/٤٣٧ ، و « الأنساب » للسمعاني ٥٤٣ .

(١) البيت في « شرح لامية العجم » ٢/٦٩ : أهبت بالحظ .. وأهاب الراعي بغنمه : إذا صاح بها لتقف أو لترجع .

(٢) في « شرح اللامية » ٢/١٢١ : تقدمتني أناس .. وراء خطوي .

(٣) « شرح اللامية » ١/١٢٨

(٤) « شرح اللامية » ١/١٤٣ .

(٥) هو بيهس بن هلال بن خلف بن جمحة بن غراب بن ظالم بن فزارة ، وهو الملقب بنعامة ، لقب بذلك لطوله ، وكان أهوج ، وكان على هوجه شاعراً مجيداً . وهو القائل : « مُكرَه أخوك لا بطل » في قصة كانت له مع أشجع ، وقتلت إخوة كانت له سبعة ، فألح عليهم حتى أدرك ثأره . انظر في ترجمته « المؤتلف والمختلف » ٨٥ .

أَرُقاداً أَرَدْتَ أمْ تَهْوِيماً   أمْ عَرَتْكَ الهُمومُ فانْفِ الهُموما
لا بلِ الحادثُ الجليلُ مِنَ الخطْـ   ـبِ أتاني فبِتُّ أرْعى النُّجوما
عينُ فابكي الحُماةَ للمَجْدِ وابكي   مَنْ يُجيرُ الجاني ويحمي الحريما

وقال ابن المعتز [١] :

أُسْدُ الوَغى وبدورُ أَنْـ   ـدِية وفرسانُ المنابِرْ
خاضُوا غديرَ الموتِ مُنْـ   ـجَرِداً مِنَ الأقذاء حاسِر
فمضَوْا وأبقَوا آجِناً   مُرّاً تُقَسِّمُهُ الخناجِرْ

وقال أيضاً :

لا يُهنِىء الدَّهرَ الخؤو   نَ وَلا أساغَ فكمْ أكلْ
فتكَ الزمانُ بمثلِهِ   بَطَلٌ أُتيحَ لـهُ بَطَلْ
مَنْ لِلْمَجامِدِ لا أقو   لُ عسى يَكونُ وَلا لعَلْ

أَنْشدَ ابنُ دُرَيْد عن أبي حاتِم :

أَلا في سبيل الله ماذا تَضَمَّنَتْ   بُطونُ الثَّرى واسْتُودِعَ البَلَدُ القَفْرُ [٢]
بدورٌ إذا الدُّنيا دَجتْ أشرَقتْ بهم   وإنْ أَجدَبتْ يوماً فأيديهمُ القَطْرُ

---

(١) ليست في ديوانه .
(٢) الأبيات عدا الأخير وبزيادة بيت آخر في « زهر الآداب » ٧٩٦ ، وفيه : « قال أبو إسحاق : وأنشد أبو حاتم ولم يقل قائله » ثم ذكر الأبيات .

فيا شامتاً بالموْتِ لا تَشْمَتَنْ بهمْ ... حياتُهُمْ فخْرٌ ومَوتُهمْ ذِكْرُ (١)

حياتُهُمُ كانتْ لِأَعْدائِهِمْ عَمىً ... وموتُهُمُ للفاخِرين بهمْ فخْرُ

وقال مُنْقذُ بنُ عبد الرحمن الهلالي (٢) :

الدَّهرُ لاءَمَ بينَ أُلْفَتِنا ... زَمناً وفَرَّقَ بيننا الدَّهرُ (٣)

وكذاكَ يفعلُ في تصرُّفِهِ ... والدَّهرُ ليس ينالُهُ وِتْرُ (٤)

كُنتُ الضَّنينَ بمَنْ فُجِعْتُ بهِ ... وسَلوْتُ حينَ تقادَمَ الأَمْرُ (٥)

وَلَخيْرُ حظِّكَ في الرَّزيَّةِ أنْ ... يَلْقاكَ عندَ نُزولِها الصَّبْرُ

وقال السيد بن مدّك الأسدي ؟ :

أَبَعْدَ أبي حِصْنٍ حُصَيْنٍ ومالكٍ ... وَعَبْدَةَ أبكي الهالكينَ وأَجْزَعُ

---

(١) وبعد هذا البيت في « زهر الآداب » :

أقاموا بظهر الأرض فاخضرّ عودها ... وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

(٢) قال المرزباني في « المعجم » ٣٣٠ : بصري خليع ماجن ، متّهم في دينه يرمى بالزندقة . كان في صدر الدولة العباسية ، ثم أنشد له الأبيات عدا الثاني منها . قلت : والأبيات في « شرح الحماسة » للمرزوقي ١٠٥٢ .

(٣) في الأصل : الدهر لأمّ ... ، وفي « الحماسة » و « المعجم » : وكذاك فرق بيننا الدهر .

(٤) قال المرزوقي : قوله : « والدهر ليس يناله وتر » يريد أنه يتر غيره فلا يوتر ، وينكي فلا يجازى ، فليس معه إلا الاستسلام لحكمه والرضا بمحتومه .

(٥) في الأصل : تفاقم ، وقد صحّحت فيه كما أثبتنا .

أولئكَ إخوانُ الصَّفاء رُزِئتهُمْ ... وَما الكفُّ إلّا أُصبُعٌ ثم أُصبُعُ

كانَ الشَّمرْدَل بن شـريك المنقري خرجَ هو وإخوتُهُ حكَمٌ ووائِلٌ وقدامُة في جَيشٍ مع وَكيع بن أبي سُود، فبعثَ كلَّ واحدٍ منهم في جيش، فأتاهُ الشمردَل فقال: أيُّها الأَمير إنْ رأيتَ أن تَبعَثَنا معاً في وجهٍ واحد، فإنّا إذا اجْتمعنا تعاوَنَّا وتواسَينا وتناصَرْنا، فأبى عليه، وبعثَ كلَّ واحدٍ منهم في جيش، فقُتِلَ إخوتُهُ وأتاهُ نَعيُّهُم فرثاهمْ وقال:

أَعاذِلُ كمْ مِنْ روْعَةٍ قدشَهِدْتُها ... وغُصَّة حُزنٍ مِنْ فِراق أخٍ جزْلِ (١)

إذا وَقَعتْ بينَ الحيازِيمِ أَسْدَفتْ ... عليَّ الضُّحى حتى يُؤَسّيني أهلي (٢)

أقولُ إذا أَسّيتُ نفسي بإِخْوةٍ ... مَضَوا لاضِعافٍ في الحياةِ ولا عزْلِ (٣)

أبى الموتُ إلّا أنَّ كلَّ بني أَبٍ ... سَيُمسُونَ شتّى غيرَ مُجتمِعي الشَّمْلِ (٤)

سأبكي أَخِلّائي الذينَ تَبرَّضوا ... دُموعيَ حتى أَسْرَعَ الحُزنُ في عقْلي (٥)

---

(١) الأبيات مع خبرها في «الأغاني» ١٣/٣٥٢. وفيه: حزن في فراق.

(٢) في «الأغـاني»: حتى تنسّيني أهلي. الحيازيم: جمع الحيزوم، وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. أسدفت: أظلمت في لغة تميم، والشمردل تميمي.

(٣) في «الأغاني»: إذا عزيت نفسي.

(٤) في «الأغاني»: أبى الموت إلا فجع كل بني أب.

(٥) في «الأغاني»: سبيل حبيبيَّ اللذين تبرّضا. تبرضوا الدموع: استنزفوها قليلا قليلا.

كأنْ لم نَعِشْ يوماً ونحنُ بغِبطةٍ   جَميعاً ويَنْزِلْ عندَ رَحْلِهِمُ رَحْلي[1]

كان مُتمّمُ بن نُوَيْرَة[2] لا ينفَكُّ يبكي أخاهُ مالكاً ، فخاف قومُهُ عليه أن يذهبَ بصرُه من البكاء فزوَّجوه أمّ خالد لعلَّهُ يَسلو ويَكُفُّ عن البكاء ، فبينا هو واضِعٌ رأْسَهُ على فخذها إذْ بكا فقالت : لا إله إلّا الله ، ألا تنسى أخاكَ في حال ، فقال :

أقولُ لها لمـا نهتْني عن البُكا   أفي مالكٍ تَلْحَيْنَني أمَّ خالدِ[3]
فإنْ كانَ إخواني أُصيبوا وأخطأتْ   بني اُمّكِ أسبابُ الحتوفِ الرّواصِدِ[4]
فكُلُّ بني أمٍّ سيُمْسُونَ ليلةً   ولَمْ يَبقَ من أعيانِهِمْ غيرُ واحدِ
ذريني فإلّا أبْكِ لم أنسَ ذِكْرَهُ   وإنْ أمَرتْني بالعزاء عَوائدي

(١) في « الأغاني » : كأن لم نسر ... عند رحليها .

(٢) هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي ، أبو نهشل (٠٠ نحو ٣٠ هـ) : شاعر فحل ، صحابي من أشراف قومه ، اشتهر في الجاهلية والاسلام ، وكان قصيراً أعور ، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك . ترجمته في « الأغاني » ٢٣٩/١٥ ط بيروت . و « الشعر والشعراء » ٢٩٦ و « الاصابة » ت ٧٧١٩ ، و « السمط » ٨٧ ، و « الخزانة » ٢٣٦/١ .

(٣) الأبيات الثلاثة الأولى في « الأغاني » ٢٤٩/١٥ .

(٤) في « الأغاني » : بني أمك اليوم الحتوفُ الرواصد ، وفيه إقواء .

ذَريني فكمْ مِنْ صالحٍ قدرُزِئْتُهُ ... أخٍ لي كصدرِ الهُنْدُوانِيِّ ماجِدِ
بوُدِّيَ لو أنّي تَمَلَّيتُ عُمْـرَهُ ... بمالِيَ مِنْ مالٍ طريفٍ وتالِدِ
وبالـكَفِّ مِنْ يُمنى يديَّ حياتَه ... ففارَقني منها بناني وسَاعِدي
فعِشْنا لنا أيدٍ ثَلاثٌ وإنَّمـا ... تَصافي الحياةِ بذْلُهـا بالتَّحامُدِ

وقال مُتمّم أيضاً :

لعَمْري ومـا دهري بتأبينِ هالِكٍ ... ولا جَزَعـاً والدَّهرُ يَعـثُرُ بالفَتى
لئِنْ مالِكٌ خَلّى عَليَّ مكانَهُ ... لفي أُسوةٍ إنْ كانَ ينْفَعُني الأُسى
كُهُولٌ ومُرْدٌ من بني عَمِّ مالكٍ ... وأيْسارُ صِدْقٍ لو تَمَلَّيْتُهُمْ رِضىٰ
سُقُوا بالعقارِ الصِّرْفِ حتى تتابَعوا ... كدأْبِ ثمودٍ إذ رَغا بِكْرُهمْ ضُحى
وَهوَّنَ وجْدي بعدَما كِدْتُ أَنْتحي ... على السَّيفِ حتى يبلُغَ الجوْفَ والحَشى
رِجالٌ أراهُمْ من مُلوكٍ وَسُوقَةٍ ... خَبَوْا بعدَما نالوا السَّلامَةَ والغِنىٰ
على مِثلِ أصحابِ البعوضَةِ فاخْمِشي ... لكِ الوَيْلُ حُرَّ الوَجْهِ ولْيَبْكِ مَنْ بكَى
على يَسَرٍ منهمْ يَسـيرٌ وفارسٌ ... إذا ارْتَدَفَ السَّبيَ الحَوارِكُ والذُّرى
إذا القومُ قالوا مَنْ فتى يومَ نَجْدَةٍ ... فـا كُلُّهمْ يُعنىٰ ولـكنَّهُ الفَتى

رُوي أنَّ عبد الله بن عمروٍ العَبْلي [1] قـال له عبد الله بن حسن بن

---

(١) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » ٤/٣٣٩ - ٣٤٠ . وفيه عبد الله بن عمر ، وفي حاشيته أن « عمرو » تحريف .

حسن رضي الله عنهم : أنشدني شيئاً ممّا رَثَيْتَ بِهِ قومكَ ، فأنشدَهُ :

تقولُ أُمامَـةُ لمـا رأَتْ ... نُشُوزي عن المضجَعِ الأَنْفَسِ
وَقِلَّـةَ نَوْمي على مَضْجَعي ... لَدى هَجْعَةِ الأَعْيُنُ النُّعَّسِ
أَبي ما عَراكَ فقلتُ الهُمومُ ... عَرَيْنَ أباكِ فـلا تَبأَسي [1]
لِفَقْـدِ الأَحِبَّةِ إِذْ نالَهـا ... سِهامٌ مِنَ الحَدَثِ المُونِسِ [2]
رَمَتْهـا المَنونُ بِلا نُصَّلٍ ... وَلا طائِشاتٍ وَلا نُكَّسِ [3]
بأَسْهُمِهـا المُتلِفاتِ النفوسَ ... متى ما تُصِبْ مُهْجَةً تَخْلَسِ
فصَرَّعْنَهُمْ بنواحي البِـلادِ ... مُلَقًّى بأَرْضٍ وَلَمْ يُرْمَسِ [4]
فذاكَ الذي غالَني فاعلَمي ... وَلا تَسأَلي بامْرِئٍ مؤْتَسِ [5]
أولئـكَ قومي أناخَتْ بِهِمْ ... نَوائِبُ مِنْ زَمَنٍ مُتْعِسِ

قال : فرأَيتُ دُموعَ عبدِ الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم ،

---

(١) في « الأغاني » عرون .. فلاتبلسي . وعراه يعروه ويعريه ، من بابي ضرب ونصر : غشيه . ولا تبلسي : لا تحزني .

(٢) في « الأغاني » : الحدث المبئس .

(٣) في « الأغاني » : بلا نكل .

(٤) في « الأغاني » : فصرعنهم في نواحي .. ولم يرمس . والرمس والرس : الدفن . وبعد هذا البيت ثلاثة أخرى .

(٥) في « الأغاني » : بامرىء متعس .

تنحدرُ على خَدِّه . ويُروى أنَّ هذا الشعر لأبي سعيد مولى فائد ، مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضوان الله عليه يَرْثي قتلى بني أُمَيَّة الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس ، رضي الله عنهم . وكان الرشيدُ لما حَجَّ أحْضَرَ أبا سعيد وقال له : أنشدْني قصيدتَكَ : تقولُ أُمامةُ لما رأت ... فأنشدَهُ وقال : يا أميرَ المؤمنين ، كان القومُ مواليَّ ، وأنعموا عليَّ فرثيتُهُم ، ولم أهجُ أحداً ، فتركه .

وقال الأشهب بن رُمَيْلَة [1] :

إنَّ الأُلى حانتْ بفَلْجٍ دماؤُهمْ   هُمُ القَومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ [2]

هُمُ ساعِدُ الدَّهر الذي يُتَّقى به   وَما خيرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعِدِ [3]

---

(١) هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان النهشلي الدارمي التميمي (٠٠ - بعد ٨٦ هـ) : شاعر نجدي ، ولد في الجاهلية وأسلم ، ولم يجتمع بالنبي ﷺ وعاش إلى العصر الاموي . وهجا غالباً (أبا الفرزدق) فهجاه الفرزدق ، وضعف الأشهب عن مجاراته . ترجمته في « الأغاني » ٢٦٩/٩ ، و « السمط » ٣٥ ، و « الموشح » ١٦٥ ، و « طبقات فحول الشعراء » ٤٩٧ .

(٢) البيتان مع ثالث في « البيان والتبيين » ٥٥/٤ ، و « الخزانة » ٥٠٨/٢ ، و « العيني » ٤٨٢/١ ثم « السمط » ٣٥ وفيه : وإن الذي حانت ..

(٣) وبعد هذا البيت :

أسود شرىً لاقت أسود خفيَّةٍ   تساقوا على حَرْدٍ دماء الأساود

أنشد النُّجَيرمي لمنظور بن مَرْثَـد [١] الراجز يَرْثي مقاتلاً وجيشاً ابني جزء :

إمّـا تَرَيني اليومَ يا أمَّ صالحٍ طويلاً قيامي للأسى وقعودي
فانَّ مُصيباتٍ أَصَبْنَ مُقاتلاً وأصحابَهُ استجهَلْنَ كلَّ جليدِ
وكانوا جمالي في الحياةِ وعُدَّتي وحِرزي إذا ما قُلتُ أينَ أسودي

وقال دعْبل بن علي الخُزاعي [٢] :

كانتْ خُزاعَةُ مِلءَ الأَرضِ ما اتَّسعَتْ فقَصَّ مَرُّ اللَّيالي مِنْ حواشيها
هـذا أبو القاسِم الثَّاوي ببَلْقَعَةٍ تَسْفي الرياحُ عليه مِنْ سوافيها
هَبَّتْ وقد عَلِمَتْ أنْ لا هُبوبَ بهِ وقد تكونُ حَسيراً إذْ يُباريها [٣]

(١) هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسي ، قال المرزباني : وقيل : هو منظور ابن فروة بن مرثد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف ، إسلامي ، ثم أورد له أبياتاً مختارة من شعره . انظر « معجم الشعراء » ٢٨١ .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، أبو علي (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) : شاعر هجاء ، أصله من الكوفـة ، أقام ببغداد ، له أخبار ، وشعره جيد ، وكان صديق البحتري . انظر في ترجمته : « وفيات الأعيان » ، و « الشعر والشعراء » ٨٢٥ ، و « الأغاني » ٦٨/٢٠ ، و « تاريخ بغداد » ٣٨٢/٨ . والأبيات قالهـا في رثاء المطلب بن عبد الله ، ونعي إليه وكان دعبل في الجبل ، وهي في «ديوانه» ١٦٥ وفي « الأغاني » ٨١/٢٠ .

(٣) في « الأغاني » : لا هبوب له . وحسيراً : كليلة .

أَضْحى قِرىً للمنايا إذْ نَزَلْنَ بهِ   وكانَ في سالفِ الأَيَّامِ يَقريها

قال إسحاق بن إبراهيم : كان الرَّشيد بعد قتل البَرامِكة شديدَ الأَسف عليهم والنَّدَم على فِعْلِهِ ، ففطِنَ لذلك الزُّبيرُ بن دحمان ، فكان يغنيه في هذا المعنى فيُحرِّكه ، فغناه يوماً :

مَنْ للخُصُوم إذا جَدَّ الخِصام بهم   بعدَ ابن سَعدٍ ومَنْ للضُّمَّرِ القُودِ (١)

وَموْقِفٍ قد كَفَيْتَ الناطقينَ بهِ   في مَجْمَعٍ منْ نواصي النّاس مشهودِ

فرَّجْتَهُ بلسانٍ غيرِ مُلْتَبِسٍ   عندَ الحِفاظِ وقلبٍ غير مَزْؤُودِ

فقال الرَّشيد : أعِدْ ، فأعادَ ، فقال له : وَيْحَكَ ! كأَنَّ قائلَ هذا الشعر يصف يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرَتْ دُموعُه ، ووصل الزبير بصلة سَنيَّة .

وقال أبو خراش الهُذلي (٢) يرثي إخوتَهُ :

فَقَدْتُ بني لُبْنى فلما فَقَدْتُهُمْ   صَبَرْتُ ولمْ أقْطعْ عليهم أناملي (٣)

---

(١) الأبيات مع الخبر في « الأغاني » ط الثقافة ١٨/٢٢٤ ، منسوبة لامرأة من بني أسد ، ورواية الشطر الثاني فيه : يوم النزال ومن ..، والقود : جمع أقود، وهو من الخيل : الذلول المنقاد .

(٢) اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة أحد بني قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، صحابي ، مات في زمن عمر بن الخطاب ، نهشته حيَّة .

(٣) الأبيات في « ديوان الهذليين » ٢/١٢٣ ، وفيه : ولم أقطع عليهم أباجلي . قال أبو سعيد : بنو لبنى : إخوته ، وضربهم مثلاً . قال : يقول : لم أجزع كجزع غيري . والأبجل : عرق في الرجل . يقول : صبرت فلم أقطع نفسي في آثارهم، وأقطع عروقي عليهم .

رِماحٌ مِنَ الخَطِّي زُرْقٌ نِصالُها حِـدادٌ أعاليها شِدادُ الأَسافِلِ (١)
فَلَهْفي على مَيْتٍ بنعمانَ للْفَتى وَلهفي على مَيْتٍ بقوس المعاقلِ (٢)
حِسانُ الوجوهِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهمْ كريمٌ نَثاهُمْ غيرُ لُفٍّ مَعازِلِ (٣)

وقال آخر :

أَجِدَّكَ ما تَعفُو كلُومُ مُصيبةٍ على صاحِبٍ إلّا فُجِعْتُ بصاحِبِ (٤)
تَقَطَّعُ أَحشائي إذا ما ذكرْتَهُمْ وَتَنْهَلُّ عيني بالدُّموعِ السَّواكِبِ
وكنتُ امرأً جَلْداً على ما ينوبُني وَمُعتَرِفاً بالصَّبْر عندَ النَّوائِبِ (٥)

---

(١) زرق : بيض ، وتقول : نطفة زرقاء ، إذا كانت بيضاء ، تريد الماء ، وعنى بالنصال : الأسنّة .

(٢) في « ديوان الهذليين » :

فلهفي على عمرو بن مُرّة لهفةً ولهفي على ميت بقَوْسَى المعاقِل

قال أبو سعيد : قوسى المعاقل : موضع من بلاد هذيل أو بناحيتهم . وذكر ياقوت أن قوسى : بلد بالسراة ، كما ذكر أيضاً أن فيه قتل عروة أخو أبي خراش الهذلي ، ونجا ولده .

(٣) قوله : طيب حجزاتهم ، أي : هم أعفاء ، والحجزة في الأصل : معقد السراويل والازار .

(٤) الأبيات لسلمة بن عياش ، شاعر بصري من مخضرمي الدولتين ، وهي في « الاغاني » ٢٠/٢٥٨ يرثي بها صديقه سفيان بن العلاء .

(٥) في « الأغاني » : بالصبر عند المصائب .

فهدَّ أبو سُفيانَ رُكني ولمْ أكنْ جَزوعاً ولا مُستنكِراً للنوائِبِ

غَنينا معاً بِضْعاً وخمسين حِجَّةً خليلي صَفاءٍ وُدُّنا غيرُ كاذبِ (١)

فأصبحْتُ لما حالتِ الأرضُ دونَهُ على قُرْبِهِ مني كمنْ لم أصاحِبِ

وقال أعشى بني أَسَدٍ وهو خَيْثَمَةُ بن معروفٍ أخو الكميت بن معروف (٢) :

نامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً كما تَزاوَرَ يَخْشى دَفَّهُ النَّكِبُ (٣)

إذا رجعْتُ إلى نفسي أُحدِّثُها عَمَّنْ تضَمَّنَ مِنْ أصحابيَ القُلُبُ

ازددْتُ وَجْداً على وَجْدٍ أُكابدُهُ حتى تكادَ بناتُ الصَّدْرِ تلتَهِبُ (٤)

وقد عَلِمْتُ وإنْ مُلِّيتُ بعدَهُمُ أنّي سأنْهَلُ بالشِّرْبِ الذي شربوا (٥)

---

(١) في « الاغاني » : بضعاً وستين حجة ...

(٢) شاعر إسلامي ، ترجمته في « المؤتلف والمختلف » ١٧ . وأخوه الكميت ابن معروف شاعر أيضاً ، ترجم له أبو الفرج في « الاغاني » ١٣٧/٢٢ ، وهذه الأبيات في ترجمته ١٣٩/٢٢ .

(٣) تزاور : عدل وانحرف . الدف : الجنب من كل شيء . النكب : الذي أصابت الحجارة رجله وخدشتها .

(٤) في « الاغاني » : عاودت وجداً على وجد .

(٥) في « الاغاني » : لقد علمت ولو مليت ..

وقال أبو العباس الأعمى ، وهو السائب بن فروخ [١] :

آمتْ نساءُ بني أُميَّةَ بعدَهُمْ وَبناتُهم بمَضيعةٍ أيتامُ
نامتْ جُدُودُهمُ وأُسقِطَ نَجْمُهُمْ والنَّجْمُ يسقُطُ والجُدودُ تَنامُ [٢]
خَلَتِ المنابرُ والأَسِرَّةُ مِنهُمُ فعليهِمُ حتى المماتِ سلامُ

وقال أيضاً [٣] :

ليتَ شِعْري مِنْ أينَ رائحةُ المِسْـ ـكِ وما إنْ أخالُ بالخَيْفِ إنْسي
حينَ غابَتْ بنو أُميَّةَ عنها والبَهاليلُ مِنْ بني عبدِ شَمْسِ [٤]
خُطباءُ على المَنابرِ فُرْسا نٌ عليها وقالَةٌ غيرُ خُرْسِ
لا يُعابُونَ صامِتين وإنْ قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ
بحُلومٍ إذا الحُلومُ استُخِفَّتْ وَوُجوهٍ مثلِ الدَّنانيرِ مُلْسِ [٥]

---

(١) قال أبو الفرج في ترجمته « الأغاني » ١٦/٢٢٨ : كان من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيّع لهم . وقد روى عن صدر من الصحابة الحديث . والأبيات في « الأغاني » ١٦/٢٣٠ مع قصتها .

(٢) في « الأغاني » والجدود نيام .

(٣) « الأغاني » ١٦/٢٢٩ .

(٤) في « الأغاني » بنو أمية عنه .

(٥) في « الأغـــاني » : إذا الحلوم تقضّت ، ويروى مكان « تقضت » : « اضمحلت » .

عن خِداش بن فراس النُّميري قال : أغارَتْ علينا بَنو جُشَم بن بكر بظهرِ البشر ، فأصابوا منَّا أَخوين فارِسَين سَيِّدَيْن ، يقال لأحدهما : مسعود ، وللآخر : حاتم ، ابنا شيظَم ، وكانتْ لهما أختٌ سيِّدةٌ بَرْزَةٌ يُقالُ لها : رائطة بنت شيظم ، فبكَتْهما ورَثتهُما طويلاً ، وكانتْ أحرَّ ما تكونُ أسىً وأَسفاً ، وأَطْولَ ما تكونُ حُزناً ولَهفاً ، إذا صاحَ صائحنا ، وذُعِرَ سارِحُنا ، ورَكبَ فارِسُنا ، ولقد رأَيتُها على مثل تلكَ الحال في بعض الأَيام والناسُ ثائرون ، والأَصواتُ متواترةٌ ، والخيلُ متبادِرَةٌ والصَّارخُ هاتفٌ ، وهي تندبُهُما وتقول :

لهفي على الأَخوَيْنِ كالـ ... أَسَدَيْن مَسعودٍ وحاتِمْ
السَّيّدَيْن المانِعَيْـ ... ـنِ الذَّائدين عن المحارِمْ
الفاتقين الرَّاتِقيْـ ... ـنِ السَّابقين إلى المكارِمْ
الضَّاربين جَماجِمَ الـ ... أبطال بالبيض الصَّوارِمْ
والطَّاعِنَين بكلِّ ما ... رِنةٍ وقاصِمةٍ وَقاصِمْ
حِدَقَ الفوارِس بالأَسِنْـ ... ـنَةِ والقُلوبُ لَدَى الغَلاصِمْ
كانا يَدَيَّ فشُلَّتا ... بالسَّاعِدَيْن وبالمَعاصِمْ
فبقيتُ كالطَّيرِ المُقَصْـ ... ـصَصِ ريشُهُ واهي القوادِمْ
لا أستطيعُ ولا أُطِيْـ ... ـقُ أَرُدُّ عني كَفَّ ظالِمْ

مَعَ كلِّ رَنَّةِ مأتَمٍ ... لِي مأتمٌ وعليّ مأتمْ
فاليومَ أخضَعُ للذَّلِيـ ... ـلِ وللمُحارِبِ والمُسالِمْ

وقالت فاطِمَةُ بنت الأَجْحَم بن دِنْدِنَةَ الخُزاعِيَّة ترْثي أباها [1] - والجحم : حُمْرَةُ العين :

قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتَ لي ... أمشي البَراحَ وكنتَ أنتَ جناحي [2]
قد كنتَ لي جَبَلاً أَلُوذُ بظِلِّهِ ... فتركتني أمشي بأجْرَدَ ضاحِ [3]

---

(١) هي فاطمة بنت الأجحم - بتقديم الجيم المعجمة - وفي « الحماسة » ٩٠٩/٢ ، و « الأمالي » ١/٢ بتقديم الحاء على الجيم : شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ، رثت زوجها وإخوتها ، كان والدها أحد سادات العرب ، وزوجته هي خالدة بنت هاشم بن عبد مناف . والأبيات في « الحماسة » للمرزوقي ٩٠٩/٢ و « الحماسة البصرية » ١٣٠ عدا الأول ، وبزيادة بيتين غيره ، و « الأمالي » ١/٢ و « الخزانة » ٥١٣/٢ . قال البغدادي : وتمثلت بها سيدتنا فاطمة ، رضي الله عنها ، حين قبض رسول الله ﷺ .

(٢) رواية مصادر التخريج الآنفة الذكر : أمشي البراز وكنت ... ، قال المرزوقي : قولها : قد كنت ذات حمية ، المعنى : كنت في حياتك آنف مما أسام من الضيم فأتسخّطه ، وتتسع المقدرة لدفعه والاباء منه ، والآن صار بدل ذلك السخط الرضا . قولها : أمشي البراز : البراز : المكان الفضاء الرحب .

(٣) في « الأمالي » و « الحماسة » : فتركتني أضحى .. ، والضاحي : البارز للشمس ، والفعل منه ضَحِيَ يضحى . والأجرد : الأملس ، أي : لا ظل فيه .

فالآنَ أخْشعُ للذليل وأتَّقي ... منهُ وأَدْفعُ ظالِمي بالرّاحِ [1]

وإذا دَعَتْ قُمريَّةٌ شَجَناً لها ... يَوماً على فَنَنٍ دَعَوْتُ صباحي [2]

وقع الطاعونُ بالكوفة ، فأفنى بني غاضِرَةَ ، وماتَ فيه بنو زِرّ بن حُبَيْش ، صاحب أمير المؤمنينَ عليّ ، رضوانُ الله عليه ، فقال ابن ميَّادة يَرْثيهم [3] :

أَبَعْدَ بني زِرٍّ وبعدَ ابنِ جَنْدلٍ ... وعَمْرو أُرَجّي لذَّةَ العيشِ في خَفْضِ

مَضَوا وبقيناً نأمُلُ العيشَ بعدَهُمْ ... أَلا إنَّ مَنْ يبقى على إِثْرِ مَنْ يمضي

وقالت الخنساءُ بنت عَمْرو بن الشَّريد :

تَعَرَّقني الدَّهرُ نَهْساً وَحَزّا ... وأَوْجَعَني الدَّهرُ قَرْعاً وَغَمْزا

وأفنى رجالي فبادوا معاً ... فأَصبحَ قلبي لهم مُسْتَفَزّا

---

(١) في « الأمالي » و « الحماسة » و « الخزانة » : فاليوم أخضع .. ، ومعنى أدفع ظالمي بالراح ، أي : بالدعاء .

(٢) قال المرزوقي : تقول : إذا ناحت حمامة على غصن ، وهي تدعو حزنها ليهتاج بكاؤها ، ويمتد صوتها ، فاني أشجى لصوتها وأجاوبها داعياً : صباحي ، أي : قائلاً : واصباحاه . وفي « السمط » ٦٢٦/٢ أن أبا العلاء المعري رد رواية الشطر الأول ، وقال : إنها تصحيف ، وأنشده : « واذا دعت قمرية شجباً لها » يعني فرخها الهالك ، وهو الهذيل ، والشجَب : الهلاك . والشجِب : الهالك .

(٣) البيتان مع الخبر في « الأغاني » ٣٦٦/٢ وبزيادة بيتين آخرين بعدهما ، وقد نسبت فيه للحكم بن عبدل .

وكانوا سَراةَ بني مـالكٍ   وزَيْنَ المقامةِ فخراً وَعِزّا
كأنْ لم يكونوا حِمىً يُتّقى   إذِ النّاسُ في ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزّا [(١)]

وقال البحتري يرثي المتوكل والفتح بن خاقان من قصيدة :

مضى جعفرٌ والفتحُ بينَ مُزَمَّلٍ   وبينَ صَبيغٍ بالدِّماءِ مُضَرَّجِ [(٢)]
أَأَطْلُبُ أنصاراً على الدَّهرِ بعدَما   ثَوى منهما في التُّرْبِ أوْسِي وَخَزْرَجي
أولئكَ ساداتي الذينَ بفضْلِهم   حَلَبْتُ أفاويقَ الرَّبيعِ المُثَجَّجِ [(٣)]

وقال تَوْبَةُ بن مُضَرِّس :

وسـائلةٍ عنْ تَوْبَةَ بن مُضَرِّسٍ   وهانَ عليها ما أصابَ به الدَّهرُ
وسائِلةٍ أخرى حفيٌّ سؤالهـا   إذا ذكرَتْهُ فاضَ مِنْ دَمْعِها غزرُ
رأتْ إخْوتي بعدائتلافٍ تفرَّقوا   فلمْ يبقَ إلّا واحـداً منهم شَفْر [(٤)]

---

(١) في « الديوان » : إذ الناس إذ ذاك ..، ومن عز بز : من غلب سلب .

(٢) « ديوان البحتري » تحقيق الصيرفي ٤١٨/١ وفيه : بين مُزَمَّل صبيغ في الدماء . وجعفر هو الخليفة المتوكل ، والفتح : هو الفتح بن خاقان .

(٣) الأفاويق : ما يجتمع من الماء في السحاب ، فهو يمطر ساعة بعد ساعة ، وما يتجمع من اللبن في الضرع بعد حلبتين . المثجج : الذي يسيل .

(٤) البيت في «اللسان » مادة شفر : قال ابن سيدة : مابالدار شُفر وشَفْر ، أي: أحد.

فلا وأبيك الخير ما كانَ إخوَتي   معازيلَ أبْراماً إذا حارِدَ القَطْرُ
أَرَبَّ بهمْ ريبُ المَنونِ كأنَّما   على الدَّهر فيهم أنْ يُفرِّقَهم نَذْرُ (١)

وقال أيضاً :

وقائلةٍ لمـا رأتْ شَيْبَ لِمَّتي   لها وَيْلُها ما بالُ رأسِ أبي الجَعْدِ
برأسي خُطُوبٌ لوْ عَلِمتِ كثيرةٌ   أُصبتُ بها ظُلْماً وأطلُبها وحدي
تُعَزّي المُصيباتُ الفتى وهو عاجزٌ   ويَلعَبُ رَيبُ الدّهرِ بالحازِمِ الجَلْدِ
وإني امرؤٌ لا يَنقُضُ العَجْزُ مِرَّتي   إذا ما انطَوى مِنّي الفؤادُ على الحِقْدِ
ولستُ بمُخْتار الحيـاةِ بسُـبَّةٍ   تُثنّي بهـا حياً عليَّ بنو سَـعْدِ

وقال دريد بن الصِّمَّة يرثي إخوتهُ :

تقول ألا تَبكِي أخاكَ وقد أرى   مكانَ البُكا لكنْ بُنِيتُ على الصَّبْرِ (٢)
فَقُلْتُ أعبدَ اللهِ أبكي أم الذي   على الشَّرَفِ الأعلى قَتيلَ أبي بكرِ (٣)
وعَبْدَ يَغُوثٍ أمْ نَديمِيَ مالِكاً   وعزَّ المصابُ حثو قَبْرٍ على قبرِ (٤)

---

(١) أرب بالشيء : لزمه ، وأربت السحابة : دام مطرها .

(٢) الأبيات في « الأغاني » ١٠/٥ .

(٣) رواية البيت في « الأغاني » :

لمقتل عبد الله والهـالك الذي   على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

(٤) في « الأغاني » ... أو خليلي خالدٍ   وعزّ مصاباً ...

أبى القتلُ إلا آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ أَبَوْا غيرَهُ والقَدْرُ يجري على القدر

قال أبو الفرج الأصبهاني (١) : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم قُسٌّ بن ساعدة الأيادي ، فقال رجلٌ : يا رسول الله لقد رأيتُ من قُسٍّ عجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له سمعان ، في يوم شديد الحر ، إذا بقُس بن ساعدةَ تحتَ ظلِّ شجرةٍ عندَ عينِ ماءٍ وعندَهُ سباعٌ كلّما زأرَ منهم سبعٌ على صاحبه ضربهُ بيده وقال : كُفَّ حتى يشربَ الذي وَرَدَ قبْلَكَ ، قال : فَفَرِقْتُ ، فقال : لا تَخَفْ ، وإذا بقَبْرَيْنِ بينهما مسجدٌ ، فقلت : ما هذانِ القبرانِ اللذانِ أراهما ؟ قال : هما قبرا أخوينِ كانا لي فماتا ، فاتخذت بينهما مسجداً أعبدُ الله فيه حتى ألحقَ بهما ، ثم ذكر أيامَهُما فبكى ، وأنشأ يقول :

خليليَّ هُبّا طالَ ما قدْ رقدتُما أجِدَّكُما ما تقضيانِ كراكُما

ألمْ تعلَما أني بسَمْعانَ مُفردٌ ومالِيَ فيهِ من حبيبٍ سواكُما

أُقيمُ على قبرَيْكُما لستُ بارحاً طوالَ الليالي أو يُجيبَ صداكُما

---

(١) الخبر في « الأغاني » ١٩٣/١٥ .

كأنكما والموتُ أقربُ غايةٍ   بجسمي في قبريكما قد أتاكما

فقال رسول الله ﷺ : « يرحمُ الله قُساً » .

وروي أنَّ هذا الشعرَ لعبسي بنِ قدامة ، وكان له نديمانِ فماتا براوَنْد فكان يجيءُ فيجلسُ بين القبرين بموضعٍ يقالُ لهُ حُزاقُ ، فيشربُ ويصُبُّ على القبرين حتى يقضيَ وطَرَهُ وينصرفُ ويُنشِدُ وهو منصرِف :

خليليَّ هُبّا طالَ ما قدْ رَقدْتُما   أجِدَّكما ما تقضِيانِ كراكُما (١)

ألَمْ تعلَما مالي براوَنْدَ مِنْ أخٍ   ولا بحُزاقٍ مِنْ نديمٍ سِواكُما (٢)

مُقيماً على قبريكُما لستُ بارحاً   طوالَ الليالي أو يُجيبَ صداكما

جرى النومُ مُجرى اللَّحمِ والدَّمِ منكُما   كأنَّ الذي يَسقِي العُقارَ سقاكما

تحمَّلَ مَنْ يهوَى القُفولَ وغادَرُوا   أخاً لكُما أشجاهُ ما قدْ شجاكما

فأيُّ أخٍ يجفُو أخاً بعدَ موتِهِ   فلستُ الذي مِنْ بعدِ موتٍ جفاكما

أُصبُّ على قبريكُما مِنْ مُدامةٍ   فإلاّ تذوقاها تروِّ ثراكما (٣)

أناديكُما كيما تُجيبا وتَنطِقا   وليسَ مُجاباً صوتُهُ مَنْ دعاكما

---

(١) في « الأغاني » : أجدّكما لاتقضيان . .

(٢) في « الأغاني » : براوند هذه .

(٣) في « الأغاني » : فإلا تذوقا أرْوِ منها . .

أَمِنْ طُولِ نَوْمٍ لَمْ تُجِيبَا وتَنْطِقا خَلِيلَيَّ ماهذا الذي قَدْ دَهاكما [١]
قَضَيْتُ بأَنِّي لامحَالَةَ هالِكٌ وأَنِّي سَيَعْرُونِي الذي قد عَراكما
سأبكِيكُما طُولَ الحياةِ وما الذي يَرُدُّ على ذِي لَوْعَةٍ أَنْ بُكاكما

وذكر العُتْبي أنَّ الشعرَ للحارث بن الحارث [٢] أحد بني عامر بن صَعصَعَة ،وكان له نَديمان أَحَدُهما مِنْ بني أسد، والآخرمن بني حَنيفةَ ، فمات أحدُهما ، فكانا يَشربانِ ويَصُبّانِ على قبرِه ويقولُ أحدهما :

لاتُصَرِّدْ هامَةً عَنْ شُرْبِها واسقِهِ الرّاحَ وإنْ كان قُبِرْ [٣]
كانَ حُرّاً فهوَى فِيمَنْ هوَى كُلُّ عُودٍ ذي شَعُوبٍ يَنْكَسِرْ

ثم مات الآخرُ فكان الثالثُ يشربُ عندَ قبرَيهما ويُنشد :

خَليلَيَّ هُبا طالَ ماقَدْ رَقَدْتُما أجِدَّكُما ماتَقْضِيانِ كَراكُما... الأبيات.

وقال أعرابيّ :

ألا يادَهرُ أَفرِشْ عَنْ شَريدي فقَدْ أَدْرَكْتَ منيّ ما تُريدُ [٤]

---

(١) في « الأغاني » : أمن طول نوم لا تجيبان داعياً . .

(٢) في « الأغاني » : أن الشعر للحزين بن الحارث .

(٣) لا تصرّد : لا تسق دون الري وإطفاء الغليل .

(٤) أفرش : كف وابتعد .

ذَهبْتَ بسالِمٍ وَأبي سِنانٍ   فما للرُّزْءِ بَعدَهُما مَزيدُ
تُصيبُ أقارِبي وتَحِيدُ عنّي   وَمِنْ حَوْلي التَّخوُّفُ والوَعيدُ
وَمَنْ تَكُنِ المَنِيَّةُ غَيَّبَتْهُ   فَسَوْفَ على تفيئتِهِ تَعُودُ

هكذا رأيتها بخط الوزير أبي القاسم بن المغربي، وكنت أظنها بقيته.

كان مُحمدُ بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، رضوانُ الله عليهم، لمّا مَنَّ عليه المتوكلُ وأخرجهُ منَ الحبسِ، سلّمه إلى الفتح بن خاقان، وضَمَّنَهُ إيّاهُ أن لا يُفارِقَ «سُرَّ مَنْ رأى» فكانَ مُقيماً بِها يَلْتَمِسُ الرُّجوعَ إلى الحجازِ فلا يقدِرُ، وكان مَألفاً لسَراةِ الناسِ ووُجوهِ أهْلِ البلدِ، وكان كثيرَ الأُنسِ بسعيد ابنِ حُمَيد لا يكادُ يفارِقُهُ. وفي سعيدٍ يقول محمد بن صالح [1] :

أصاحِبُ مَنْ صاحَبْتُ ثُمّتَ أَنْثَني   إليكَ أبا عُثمانَ عَطْشانَ صادِيا
أبى القَلبُ لَمْ ينقعْ بِهِم وَهوَ حائمٌ   إليكَ وَإنْ كانُوا الفُروعَ العَواليا [2]
وإنّا إذا جئْناكَ لَمْ نَبْغِ مَشْرباً   سِواكَ وَرَوَّينا العِظامَ البَواليا

---

(١) الخبر بمعناه مع الأبيات في «الأغاني» ٢٨٩/١٦ .

(٢) في «الأغاني» أبى القلب أن يروى . .

فتوفي محمد بنُ صالحٍ ، رحمه الله ، بـ« سُرَّ مَنْ رأى » ، فجزع عليه سعيد ، وقال يرثيه :

بأيِّ يدٍ أَسْطُو على الدَّهرِ بَعْدَما ... أبانَ يَدِي عَضْبُ الذَّبَابينِ قَاضِبُ
وهاضَ جَناحي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ ... فَسُدَّتْ عَنِ الصَّبرِ الجميلِ المذاهِبُ
وَمِنْ عادَةِ الأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَها ... إذا سَرَّ منْها جانبٌ ساءَ جانِبُ
لَعَمْرِي لقد غالَ التَّجَلُّدَ أَنَّنا ... فَقَدْناكَ فَقْدَ الغَيْثِ والعامُ جادِبُ
وَما أَعْرِفُ الأَيَّامَ إلّا ذَميمَةً ... ولا الدَّهرَ إلّا وهو بالثأْرِ طالِبُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كانَ الرَّدَى بكَ فاتني ... فَكُلُّ امرِىءٍ يوماً إلى اللهِ ذاهِبُ
لَقَدْ أَخذتْ مِنِّي النَّوائبُ حَقَّها ... فَما تَرَكَتْ حَقاً عَلَيَّ النوائبُ
وَلا تَرَكَتْني أَرْهَبُ الدَّهرَ بَعْدَهُ ... لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نابُهُ وَالمخالبُ
سَقَى جَدَثاً أَمْسى الكريمُ بْنُ صالحٍ ... يَحُلُّ به دانٍ منَ المُزْنِ ساكِبُ

لما ظهر عَبدُ الله بن يحيى الكندي الأباضِيّ المُلَقَّبُ بطالبِ الحقّ ، واستولى على صنعاءَ ، وكثيرٍ مِنْ بلاد اليمن ، جَهَّزَ أبا حَمْزَةَ في جيشٍ منَ الأَباضيَّةِ ، فيهم أبْرَهةُ بنُ الصَّبّاح ، وبُلْجُ بن عُقْبَة ، فاستولى على المدينة ومكة ، فَجَّهز إليهِ مروانُ بن مُحَمَّدٍ عبدَ اللهِ بنَ عطية ، فلقيَه أبو حمزة بوادي العفرة ، فقَتل أبا حمزة ومن معه ، واستولى عبدُ اللهِ بنُ

عَطِيَّةَ على عسكرِهمْ ، وحَازَ غنائِمهمْ ، وبلغ ذلك عبدَ اللهِ بن يحيى ، الملقب بطالِبِ الحقِّ ، وهو بصنعاءَ ، فسارَ يُريدُ عبد الله بن عطيَّة ، وَبَلغَ مَسيرُهُ ابنَ عطيَّة فسار إليهِ ، فالتقى العَسكرانِ فظَفِر به عبد الله ابن عطية ، وقتل عبدَ الله بن يحيى الكندي ، ومعظمَ جَمْعِه ، وتفَرَّقَ مَن سَلِمَ منهم منَ القتل في البلاد ، وبعثَ برأْسِهِ إلى مروان بن مُحَمَّدٍ ، فقال عمرو بنُ الحُصَيْنِ العنبري يرثي عبد الله بن يحيى ، وأبا حمزة ، وأبرهة وبلْجاً وغيرَهُم مِمنْ قُتِلَ من الأَباضيَّة [1] :

هَبَّتْ قُبَيْلَ تبلُّجِ الفَجْـرِ   هِندٌ تقُولُ ودَمعُها يجْري

إذْ أبصَرَتْ عيني وأدْمُعَها   يَنْهَلُّ واكِفُهـا على نَحْري [2]

أنّى اعتراكَ وكنتَ عهدِيَ لا   سَرِبَ الدُّموعِ وكُنْتَ ذا صبْرِ

أَقذىً بعينكَ ما يُفـارِقُها   أَمْ عائرٌ أَمْ مالَها تُذْري

أَمْ ذِكْرُ إخوانٍ فُجِعْتَ بهمْ   سَلَكُوا سبيلَهُمُ على خُبرِ

فأَجبْتُها مِنْ ذِكْرِ مَصْرَعِهمْ   لا غيْرِهِ عَبَراتُها تجْري

(١) الخبر موسعاً مع القصيدة بتمامها في « الأغاني» ٢٣/١٤١ - ١٥٤ و « شرح نهج البلاغة » ٥/١٢٠ - ١٢٨ .

(٢) في « الأغاني » : أن أبصرت . . على النحر .

فِي فِتيَةٍ صَبَرُوا نُفُوسَهُمُ   لِلْمَشْرَفِيَّةِ والقَنَا السُّمْرِ
تاللهِ أَلقَى الدَّهرَ مِثلَهُمُ   حتى أكونَ رَهِينَةَ القَبْرِ
أَوْفى بِذِمَّتِهِمْ إذا عَقَدُوا   وأعفُّ عِنْدَ العُسْرِ واليُسْرِ
مُتأَهِّلُونَ لِكُلِّ صالِحَةٍ   نَاهُونَ مَنْ لاقَوْا عَنِ النُّكْرِ
صُمْتٌ إذا احْتَضَرُوا مجالِسَهُمْ   أُذُنٍ لقولِ جَلِيسِهِمْ وَقْرِ (١)
متأَوِّهُونَ كأنَّ جَمْرَ غَضاً   لِلْخَوْفِ بينَ ضُلوعِهِمْ يسرِي
لم تَلْقَهُمْ إلّا كأَنَّهُمُ   صَدَرُوا لخَوْفِهِمُ عَنِ الحَشْرِ
كَمْ مِنْ أخٍ لكَ قد فُجِعْتَ بهِ   قوّام ليلَتِهِ إلى الفجرِ
صوّام وَقْدَةِ كلِّ هاجِرَةٍ   تَرّاكِ لَذَّتِهِ على قَدْرِ
تَرّاكِ ما تَهْوَى النُّفُوسُ إذا   رُغُبُ النفوسِ دَعَتْ إلى النَّزْرِ
خَوّاضِ غَمْرَةِ كلِّ مُتْلِفَةٍ   في اللهِ تحتَ العِثْيَرِ الكُدْرِ
في فِتيةٍ صُبُرٍ رُزِئْتُهُمُ   كانُوا يَدِي وَهُمُ أُولُو نَصْرِي

القصيدةُ طويلةٌ ، اقتصرت منها على ما أُثْبِتُّهُ .

---

(١) كذا بالجر دون سابق جار ، ورواية الشطر في « شرح نهج البلاغة »
١٢٥/٥ : من غير ماعيٍّ بهم يَزْرِي .

رُوِيَ أنَّ رَجُلينِ قَدِما المَوْسِم أيَّامَ الحجِّ ، فسألا رجُلاً يُعرَف بابنِ أبي دباكل [١] أن يقفهُما على قبر ابنِ سُريج ، فلما وقفا حسَر أحدهُما عمامَتهُ ، فإذا هو عبدُ اللهِ بنُ سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فنزل فعقَر ناقته ، وأنشد عند قبرِ ابن سُرَيج [٢] :

وقفْنا على قبرٍ بدَسْمٍ فهاجنا   وذَكَّرَنا بالعَيْشِ إذْ هو مُصْحِبُ [٣]
فجالَتْ بأَرجاء الجُفونِ سَوافِحٌ   مِنَ الدَّمعِ تَسْتَتْلي الذي يَتعقَّبُ
إذا أَبْطأَتْ عنْ ساحَةِ الخدِ ساقَها   دَمٌ بعدَ دَمعٍ إِثْرَهُ يَتصَبَّبُ
فإنْ تُسعِدا نَنْدُبْ عُبَيْداً بعَبْرَةٍ   وَقَلَّ لهُ منّا البُكا والتَّحَوُّبُ [٤]

ثم نزل صاحبهُ فعقَر ناقتَهُ ، فقال له القُرشي : خُذْ في صوتِ أبي يحيى فاندَفع يُغنِّي :

أَسْعِداني بعَبرَةٍ أَسْرابِ   مِنْ دُموعٍ كَثيرَةِ التَّسْكابِ
إنَّ أَهْلَ الحصابِ قد تركوني   مُوزعاً مُولَعاً بأَهْلِ الحِصابِ [٥]

---

(١) شاعر خزاعي من شعراء «الحماسة» ومعناه : الغليظ الجلد السمج .
(٢) الخبر بمعناه مع الأبيات في « الأغاني » ١/٢٩٨ - ٣٠٢ .
(٣) المصحب : الذليل المنقاد بعد صعوبة .
(٤) في « الأغاني » : عبيداً بعولة . . البكا والتحوب . والتحوب : التوجع .
(٥) في « الأغاني » : مولعاً مولهاً . . والموزع والمولع بمعنى .

أهـلُ بيتٍ تتـايَعُوا للمنـايا ماعلى الدَّهرِ بعدَهُمْ منْ عتابِ
فارَقُوني وقدْ علِمْتُ يقينـاً مالمنْ ذاقَ ميتَةً منْ إيابِ
كم بذاكَ الحُجونِ منْ حيِّ صدْقٍ وكُهولٍ أعِفَّةٍ وشَبابِ
فلِيَ الوَيْلُ بعْدَهُمْ وعلَيْهِمْ صِرْتُ فرْداً وملَّني أصْحابي

قال : ثم وهبا لي عشرين ديناراً وسارا ، فعُدْتُ إلى الناقتين فبعتُهُما ورَحْلَيْهِما بثلاثين ديناراً .

وقال الفرزْدَقُ يرثي بَنيه [1] :

إذا ذَكَرَتْ عيني الذين هُمُ لَها قَذًى هيَّجَ منها للبُكاءِ انْسِكابُها
بَني الأرْضِ قد كانوا بَنِيَّ فعزَّني عَلَيْهِمْ لآجالِ المنـايا كِتـابُها
ولولا الذي للأرْضِ ماذَهَبَتْ بهم ولَمّا يفَلِّلْ بالسُيوفِ جِذابُها
إذا ذُكِرَتْ أسماؤُهمْ أوْ دُعوا بِها تكادُ حيازيمي تفرَّى صِلابُها

وقال شُتَيم بنُ خُوَيْلد يرثي بني خالِدَةَ :

لا يُبْعِـدِ اللهُ رَبُّ العبـا دِ والمِلْحُ ماوَلَدَتْ خالِدَهْ [2]

---

(١) لم ترد في ديوانه .

(٢) الشاعر جاهلي ، والأبيات عدا الأخير منها وردت في « الخزانة » ١٦٥/٤ و « رغبة الآمل » ٥/٥ قال البغدادي : الأبيات أوردها ابن الأعرابي في « نوادره » لنهيكة بن الحارث المازني من مازن فزارة . ونسبها المفضل بن سلمة في كتـــاب « الفاخر » لشتيم بن خويلد الفزاري . والملح هنا : البركة ، يقال : اللهم لا تبارك فيه ولا تملّحه . وخالدة : هي بنت أرقم أم كرْدم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

هُمُ المُطْعِمُونَ سَدِيفَ العِشا ... رِ واللَّحْمَ في اللَّيلةِ البارِدَهْ (١)
وَهُمْ يَكسِرونَ صُدورَ الرِّما ... حِ في الخيلِ تَطْرُدُ أو طارِدَهْ (٢)
يذكرني حُسْنُ آلائِهِمْ ... تَأَوُّهَ مُعْوِلَةٍ فاقِدَه (٣)
فإِنْ يَكُنِ الموتُ أَفناهُمُ ... فَلِلْموتِ ماتَلِدُ الوالِدَهْ (٤)
وإنَّ التي بَقِيَتْ بَعْدَهُمْ ... عَلى إِثْرِ مَوْرِدِهِمْ وارِدَهْ

بنو خالِدَةَ الذين رثاهم شُتَيم بن خُوَيْلِد خمسةٌ ، منهم كُرْدَم ، وهو الذي طَعنَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّة يومَ قُتِلَ أَخوهُ عبدُ الله الذي يقولُ فيهِ دُرَيد:

تَنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارِساً ... فَقُلتُ أَعبدُ اللهِ ذَلِكُمُ الرَّدِي (٥)

فوقعَ دُرَيد بينَ القتلى فأقبلَ رَجُلٌ من بني عَبْسٍ فرآهُ فقال : إني لأَظُنُّهُ حيّاً فأهوى له ليطعنهُ ، فقام كُرْدَم بالسيف دونهُ وقال : لا يَذْنُ

---

(١) في « الخزانة » :

هم المطعمو الضيف شحم السنا ... م والقاتلو الليلة البارده

وفي « الرغبة » . . . في المحل والليلة الباردة .

(٢) في « الرغبة » هم الكاسرون . .

(٣) الشطر الثاني في « الخزانة » : تفجّع ثكلانة فاقدة .

(٤) في « الخزانة » : فإن يكن القتل . .

(٥) البيت من قصيدة في « الأغاني » ١٠/٧ - ٨

منْ قتيلِي أحدٌ ، ثم إن دُرَيْداً تحامَلَ في اللّيلِ ، ومضى إلى قومه وبرأ . وحجَّ كَرْدَمٌ بَعدَ زمانٍ في أصحابٍ له فلم يشعروا حتى هجموا على بيتِ دُرَيد بن الصِّمَّة ، فأقبل دريد حتى انتهى إليهم ، فسلَّم عليهم ، ورحَّب بهم ، وقال : مَنِ القَوْمُ ؟ وهو لا يعرِفُهُم . فغالطوه عن نَسَبِهم ، وكان دريد عالماً بالنَّسَبِ ، فلم يزل حتى عرَفَهُمْ ، فلما رأى ذلك كَرْدَم ، كشفَ عن وجههِ فعرَفَهُ دُريد ، فسلم عليه وحيَّاه ، وقال : مرحباً بكم وبمن معكُمْ ، وأمر بقُبَّةٍ فضُرِبَتْ على كَرْدَم ، وبعثَ إليه بحُلَّةٍ وجَزُور ، فقال كردم : أما الجزورُ فقد قَبِلْتُها . وأما الحلة ، فتكونُ عندَكَ حتى أرْجِعَ إليكَ ، فأقامَ ما أقامَ ، ثُمَّ ارتحل فكان آخرَ العهْدِ بهِ .

ورأيتُ هذه الأبياتَ بخط الوَزير الكامِل أبي القاسِم الُحسَيْن بن علي ابن الحسين المَغرِبي منسوبةً إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرثي بني خالدة كردم وإخوته ، وهم بنو سعد بن حَرام ، والبيتُ السادس من الأبيات ما أورده الوزير .

وقال آخر :

أَأُمَيمُ هَيهاتَ الصِّبا ذَهبَ الصِّبا　　وأطارَ عَنّي الحِلْمُ جَهْلَ غُرابي
أَبْكِي الألى بالأَمْسِ كانُوا جِيرَةً　　أَمْسَوا دَفِينَ جَنادِلٍ وتُرابِ

ماتُوا وَلَوْ أنّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ   لأَحَدْتُ صَرْفَ الموتِ عن أحبابي
ما حِيلَتي إلا البُكاءُ عَلَيهِمُ   إنَّ البُكاءَ سِلاحُ كُلِّ مُصابِ

وقال النابغةُ الجَعْدِيّ يرثي أهلَهُ من قصيدة أولها [1] :

أَلَمْ تَسْأَلِ الدارَ الغَداةَ متى هِيا [2]

عَهِدْتُ بها حَيّاً كِراماً كأنَّهُمْ   عِظامُ الملوكِ عِزَّةً وتباهِيا [3]
لهُمْ مجلِسٌ غُلْبُ الرِّقابِ مَرازِبٌ   بِدارِ الحِفاظِ أو يَعُدْنَ الأعادِيا [4]
وَفِتيانِ صِدْقٍ غيرِ وَخْشٍ أشابَةٍ   مَكاسِبُ للمالِ الطَّرِيفِ مَعاطِيا [5]
غَدَا فَتَيَا دَهْرٍ وَرَاحا عَلَيْهِمُ   نَهارٌ وَلَيلٌ يَلحقانِ التَّوالِيا [6]

---

(١) هي في « شعر النابغة الجعدي » طبع المكتب الاسلامي ص١٦٦ ، وفيه تخريجها.

(٢) وتتمة البيت : عددت لها من السنين ثمانيا .

(٣) رواية البيت في « شعره » عهدت بها الحي الجميع . . ، والحي الجميع : الحي المجتمع .

(٤) في « شعره » . . مراجح قدار الحفاظ يدفعون الأعاديا

(٥) الوَخْش كما كتب تحتها في الأصل : الرديء . وفي « اللسان » : الوَخْش : رذالة الناس وصغارهم وغيرهم ، يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . والأشابة من الناس : الأخلاط . الطريف : المستحدث ، وهو خلاف التليد .

(٦) في « شعره » : فمرّا عليهم نهار .

فلم يبقَ منْ تلكَ الدِّيارِ وأهلِها ... سُرَى الليلِ والأيامِ إلا مَغانيا
مَغانِيَ مَنْ غالتْ شَعُوبٌ فأصبحتْ ... حُلولُهُمُ تَبكي وتُبكي البَواكِيا (١)
إذا أَتيـا حَيّاً كِراماً بِغبطَةٍ ... أناخا بِهِمْ حتى يُلاقُوا الدَّواهِيا

وقال النابغةُ أيضاً :

لِمَنِ الدَّارُ كأنضاء الخِلَلْ ... عَهْدُها مِنْ حِقَبِ الدَّهْرِ الأُوَلْ (٢)
دارُ قَوْمِي قبلَ أنْ يُدرِكَهُمْ ... عَنَتُ الدَّهرِ وعَيشٌ ذو خَبَلْ
إذْ هُمُ مِنْ خَيْرِ حَيٍّ سُوقَةً ... وَطِئَ الأَرضَ بسهلٍ أو جَبَلْ (٣)
لِغَريبٍ قامَ فِيهِم سـائلاً ... وَلِجارٍ جُنُبٍ جاءَ فَحَلّ (٤)
يَسْتَخِفّونَ إلى الداعي بهـم ... وإلى الضَّيفِ إذا الضيفُ نَزَلْ
هِزَّةُ النـائلِ فيهـم والنَّدى ... وَثِقَالٌ عندَ أطرافِ الأسلْ
وَلَهـم سِـيما إذا مارُئيتْ ... بَيَّنَتْ رِيبةَ من كانَ سـأَلْ

---

(١) في « شعره » توالي من غالت . . كلولهم تبكي . . ، والشعوب : المنية ، سميت بذلك لانها تشعب ، أي : تفرق .

(٢) وردت هذه الأبيات في « شعره » ٩٤ نقلاً عن هـذا المصدر ، وقـد سبقتها القصيدة نفسها برواية أخرى .

(٣) السوقة : الرعية .

(٤) في « القاموس » الجار الجنب ، بضمتين : جارك من غير قومك .

حُسنُ أَجسامٍ وسروٌ ظاهِرٌ وَرِماحٌ وقِبابٌ وحُلَلْ
وَسَوامٌ لُجُبٌ سامِرَةٌ طُلُحٌ ذادَتُهُ يومَ النَّهَلْ (١)
جَعلوهُ دونَ أحسابِهِمُ فَوَقاهُمْ كلَّ ذمٍّ وبَخَلْ
سألتني جارَتي عن أمّتي وإذا ماعَيَّ ذُو اللّبِّ سأَلْ
سَألتني عن أناسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدّهرُ عليهم وأكَلْ
طلَبُوا المجدَ فلما أدركوا لِكتابٍ وانتهى ذاكَ الأَجَلْ
وضَعَ الدّهرُ عليهم بَرْكَهُ فأراهُ لم يُغادِرْ غيرَ فَلْ (٢)
وأراني طَرِباً في إثْرِهِمْ طَرَبَ الوالِهِ أوْ كالمُخْتَبَلْ (٣)

---

(١) السوام : كل مارعى من المال في الفلوات إذا خلي وسومه يرعى حيث شاء . شاة لجبة : مولية اللبن . الأصمعي : إذا أتى على الشاة بعد نتاجها أربعة أشهر فجف لبنها وقل ، فهي لجاب . سمرت الماشية النبات تسمُرهُ : رعته . الطلح : الرعاة . النهل : أول الشرب .

(٢) البَرْك في « اللسان » : الصدر ، وقيل : هو ماولي الأرض من جلد صدر البعير إذا برك .

(٣) الطرب : خفة تعتري الانسان من فرح أو حزن ، والمناسب هنا الثاني . والمختبل : الفاسد العقل ، وللبيت شرح ضاف في « الاقتضاب » للبطَلْيوسي ٢٩١

أَنْشُدُ الناسَ ولا أَنشُدُهمْ إنَّما يَنْشُدُ مَنْ كانَ أَضَلّْ [١]

وقال النابغةُ أيضاً [٢] :

وقالتْ سُلَيْمى أرى رأْسَهُ كَناصِيَةِ الفَرَسِ الأَشْهَبِ [٣]

وَذلِكَ مِنْ وقَعَاتِ الزَّمانِ فَفيئي إليكِ ولا تعجَبي [٤]

أَتَيْن على إخوتي سبعة وَعُدْنَ على رَبْعِيَ الأقربِ

الربع : الدار ، أراد أهلها ، وقال أبو عمرو : ربعه : فخذه من عشيرته .

وَسادَةِ رَهْطِي حتى بَقِيـ ـتُ فرداً كَصِيصِيَةِ الأَعْضَبِ [٥]

---

(١) قال ابن قتيبة في « المعاني الكبير » ٢/٢٥٥ . أي : أبغي الناس ولا أبغيهم ، أقول : أين فلان وفلان ، فأما هؤلاء فقد حضرت هلكهم .

(٢) « شعره » ١٣ .

(٣) الناصية : منبت الشعر في مقدّم الرأس ، والأشهب : من الشهبة ، وهي في الألوان : البياض الذي غلب على السواد .

(٤) رواية البيت في « شعره » : من وقعات المنون . الوقعات : جمع وقعة ، وهي صدمة الحرب . المنون : الموت ، والمنون : الدهر . فيئي اليك ، أي : ارجعي إلى نفسك .

(٥) الرهط : القوم والقبيلة . يقول : أصاب الموت سادة رهطي ، والصيصية : القرن ، وجمعه صياصي . والأعضب : المكسور القرن ، ومن ليس له أخ .

أَصابَهُمُ القَتلُ ثُمَّ الوفاةُ هـذّ الإشـاءَةِ بالمِخْلَبِ [١]
مَضَوْا سَـلَفاً ثم لم يَرْجِعُوا إلينا فَيالَكَ مِنْ موكِبِ
غُيُـوثاً تَنُوءُ على المُقْتِرِيـ نَ إنْ يَكْذِبِ الغَيْثُ لَمْ تَكْذِبِ
كِراماً لدى الضَّيفِ عِندَ الشِّتا ءِ والجَدْبِ في الزَّمنِ الأَجْدَبِ
إذا عَزَبَ الناسُ أحلامُهُمْ أَراحُوا الحُلومَ فَلَمْ تَعْزُبِ

وقال أيضاً يرثي قومَهُ [٢] :

دارُ حَيٍّ كانَتْ لَهُمْ زَمَنَ التَّوْ بَـةِ لاعُزَّلٍ وَلاَ أَكْفال [٣]
لاأَرَى مِثْلَهُمْ وَلَوْ قَذَفَ الأَعْـ داءُ فيهِـمْ هواجِرَ الأَقْوالِ [٤]

---

(١) الهذّ : سرعة القطع . الاشاء : الفسيلة . والمخلب : المنجل الساذج الذي لا أسنان له .

(٢) « شعره » ٢٢٩ .

(٣) في « الأساس » مادة توب : زمن التوبة : الاسلام ، لأنه يتاب فيه من الشرك . عزل : لاسلاح معهم . أكفال : جمع كفل ، وهو الذي لا يثبت على ظهور الخيل .

(٤) الهواجر في « التاج » و « اللسان » : جمع هاجرة بمعنى الهجر ، وهو الفحش .

مِنْ كُهُولٍ غُلْبٍ مَلاوِيثَ قَطّا عِيْنَ قَدَّ الأَسِيرِ ذي الأَغلالِ [(١)]

وَهُمُ مَهْرَبُ الذَّليلِ كما يهـ رُبُ مَنْ خافَ في رؤوسِ الجِبالِ

هَاجَرُوا يَطْلُبُونَ ماوَعَدَ اللّـ ـهُ فَبَانُوا وَجَارُهُمْ غَيْرُ قالِ [(٢)]

فَسَلامُ الإِلٰهِ يَغْدُو علَيهِم وَفُيوءُ الفِرْدَوْسِ ذاتُ الظِّلالِ

وقال أبو بلال مِرْداسٌ الخارجي [(٣)] يرثي قَتلى مِنَ الخوارج :

---

(١) غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة . قال في « اللسان » : وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها . الملاويث ، في « الصحاح » : يقال للقوم الأشراف : إنهم لملاوث ، أي : يطاف بهم ويلاث ، الواحد ملاث ، والجمع ملاوث وملاويث. القد : الجلد .

(٢) بانوا : فارقوا . والبين من الأضداد . قالٍ : بغيض .

(٣) هو مرادس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي، أبو بلال ، ويقال له : مرادس بن أديّة ، وهي أمه (٠٠ - ٦١ هـ) : من عظماء الشراة ، وأحد الخطباء الأبطال العبّاد . شهد صفين مع علي ، رضي الله عنه ، وأنكر التحكيم ، وشهد النهروان ، وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة ، ونجا من السجن ، فجمع نحو ثلاثين رجلاً ونزل بهم في آسك بالأهواز ، وانتهى الأمر بقتله . ترجمته في « رغبة الآمل » ٧/١٨٧ - ١٩٦ ، و « ابن الأثير » ٣/٢٠٣ و ٤/٣٨٠ .

أَبَعْدَ ابن وَهْبٍ ذي النَّباهَةِ والتُّقَى ... وَمَنْ خاضَ في تلكَ الحُروبِ المَهالِكا (١)

أُحِبُّ بَقاءً أَوْ أرَجِّي سَلامَةً ... وقد قَتلوا زَيْدَ بنَ حِصْنٍ وَمالِكا (٢)

فيارَبِّ سَلِّمْ نِيَّتِي وَبَصِيرَتي ... وَهَبْ لي التُّقى حتى أُلاقي أُولائِكا

وقال أبو الشغب العَبْسِي (٣) :

أَبَعْدَ بَني الزُّهْرِ الغَطارِفَةِ الأُلى ... أُرَجِّي رَخاءً أو نوالاً مِنَ الدَّهْرِ

غَطارِفة زُهْر مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ... أَلَهْفي عَلى تلكَ الغَطارِفَةِ الزُّهْرِ

لَهُمْ ذِكَرٌ يَعْتَدْنَ قَلْبِي كَأَنَّما ... يُلَذِّعْنَهُ بينَ الجَوانِحِ بِالجَمْرِ

يُذَكِّرُنِيهِمْ كل خَيْرٍ رَأَيْتُهُ ... وَشَرٍّ فَما أَنْفَكُّ مِنْهُمْ على ذِكْرِ

سَقَى اللهُ أجساداً ورائي تركتها ... بِحافَةِ قِنَّسْرِينَ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ

ثَوَوْا لا يُرِيدُونَ الرَّواحَ وَغالَهُمْ ... مِنَ الموتِ أَسبابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ

---

(١) البيت وما يليه في « رغبة الآمل » ٧/١٩٠ . وابن وهب أراد به عبد الله ابن وهب الراسبي .

(٢) زيد بن حصن بن وبرة الطائي .

(٣) أبو الشغب العبسي : شاعر من شعراء الدولة الأموية . واسمه عكرشة ، وهو من شعراء « الحماسة » وأبياته في « المقطعات » ٩٩ ، غير بيت ، وخمسة منها في « الحماسة » للتبريزي ٣/٥٠ وثلاثة في « البيان » ٣٢٩ ، و بيتان في « السمط » ٤٢٨ .

ولو يستطيعونَ الرَّواحَ تَرَوَّحوا معي ومضَوْا في المُصْحِبينَ على ظَهرِ
لَعَمْري لقد وارَتْ قُبورٌ ضَمِنَّهُمْ أَكُفّاً شِدادَ القَبْضِ للأَسَلِ السُّمْرِ
وآخِرُ عَهدٍ منكَ ياشَغْبُ شَمَّةٌ بشَرجٍ وَدَاعاً والمطايابنا تَسري
فكانَ وَداعاً لاتَلاقِيَ بَعْدَهُ وَبَيْناً إلى يوم القيامَةِ والحَشْرِ

وقال أيمنُ بنُ خُرَيم الأسدي [1] :

رَمَى الحِدْثانُ نِسوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمقدارٍ سَمَدْنَ لهُ سُمُودا [2]
فَرَدَّ شُعورَهُنَّ السودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجوهَهُنَّ البيضَ سُودا

---

(١) أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن العليب ابن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة الأسدي. قال المبرد في « الكامل » : له صحبة ، وأنشد له شعراً قاله في قتل عثمان ، وقال ابن عبد البر : أسلم يوم الفتح ، وهو غلام يفعة . قال الصولي : كان أيمن يسمى خليل الخلفاء لاعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه . انظر « الاصابة » ت ٣٩٣ . وقد وقع خلاف في نسبة الأبيات ، فهي في « الأمالي » ٣/١١٥ منسوبة للكميت ، وعزاها ابن قتيبة في « عيون الأخبار » ٣/٦٧ لفضالة بن شريك . وفي « شرح القاموس » مادة « سمد » لعبد الله بن الزبير الأسدي .

(٢) في « ذيل الأمالي » : رمى المقدار . . وفي « العيون » : بفادحة سمدن . . والسمود : الغفلة وذهاب القلب ، ومنه قوله تعالى : « وأنتم سامدون » أو هو تغيّر الوجه من الحزن كأنه أصابها السهاد .

فإنَّكَ لو رأيتَ بكاءَ هِنْـدٍ ... ورَمْلَةَ إذْ تَصُكَّانِ الخُدُودا
بَكَيْتَ بُكاءَ مُعْوِلَةٍ فَقِيـدٍ ... أصابَ الدَّهْرُ واحِدَها الفَقِيدا

وقال أعرابي :

ألا أيُّها الموتُ الذي ليس جائياً ... أرِحْني فقد أفْنَيْتَ كُلَّ خليلِ
أراكَ بَصيراً بالذينَ أُحِبُّهـم ... كأنَّكَ تُهْدَى نَحْوَهُمْ بدَليلِ

وقالت أمُّ الصريح الكنديَّة [1] :

هَوَتْ أُمُّهُمْ ماذا بِهِمْ يومَ صُرِّعوا ... بجيشانَ مِنْ أَسبابِ مَجدٍ تَهَدَّما [2]
أَبَوا أَنْ يَفِرُّوا والقَنا في نُحورِهِمْ ... ولم يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الموتِ سُلَّما [3]
ولو أنَّهـمْ فَرُّوا لكانوا أعِزَّةً ... ولكنْ رأَواصبراً على الموتِ أكْرَما

---

(١) شاعرة من شواعر حضرموت ، ولدت في حضرموت حوالي سـنة ٣٠ قبل الميلاد النبوي . وقتل أبناؤها في إحدى الوقعات الحربية فرثتهم بهذه الأبيات . « أعلام النساء » : ٢/٣٢٥ .

(٢) البيت وما يليه في « الحماسة » للمرزوقي ٩٣٣ و « ياقوت » في رسـم جيشان . قال المرزوقي : قوله : هوت أمهم ، أي : هلكت .. وهذه اللفظة تستعمل عند الداهية يشرف عليها الانسان أو يقع فيها . وجيشـان : مخلاف باليمن ، سمي باسم جيشان بن غيدان . وكانت في الأصل : بحسان .

(٣) في « ياقوت » : في صدورهم .

عن شبل بن بشير أنهُ خرج في سفرٍ وخلّف الطّاعون في أهله ، فلم يَدَع منهم أحداً إلا أَمَةً سوداء ، فتحوّلت إلى بعض الجيران ، فقدم شبلٌ ، فجعل يَدُقُّ البابَ ، فسمِعَتْ الأَمَةُ ، فقالت : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا ربُّ الدارِ ، فقالت : مابقيَ في الدارِ أحدٌ ، فجاء الناس يُعَزُّونَهُ على ما افترط من أهله فقال :

أتى دونَ حُلوِ العَيْشِ حتى أَمَرَّهُ نكوبٌ على آثارِهِنَّ نكوبُ
تتابَعْنَ في الأحبابِ حتى أبَدْنَهُمْ فلم يَبقَ منهم في الديّار عَريبُ
إذا ذرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ عُلِّلْتُ بالمُنى ويَأوِي إليَّ الحُزنُ حينَ تَغيبُ
ونامَ خليُّ البالِ عني ولمْ أَنَمْ كما لم يَنَمْ عاري الفِناء عَزيبُ
أَضَرَّتْ بهِ الأيامُ حتى تَرَكْنَهُ بطُولِ الذي عَقَّبْنَ وهو رَقوبُ
وكيفَ بقاءُ المرءِ مِنْ بعدِ أهلِهِ وليس له في الغابرينَ حَبيبُ
وما تركَ الطّاعونُ مِنْ ذي هَوادَةٍ إلينا إذا حانَ الإيابُ يؤوبُ
وكُنْتُ أُرَجّي أن أَؤوبَ إليهمُ فَغالَهُمُ مِنْ دونِ ذاكَ شَعُوبُ
مقاديرُ لا يُغْفِلْنَ مَنْ حانَ يومُهُ لَهُنَّ على كلِّ النُّفوسِ رَقيبُ
سقَيْنَ بكأسِ الموتِ من قَدْ أَمَتْنَهُ وفي الحيِّ من أنفاسِهِنَّ ذَنُوبُ
أُريدُ لأَنسى ذِكْرَهُمْ فَيَهيجُني فؤادٌ إلى أهلِ القُبُورِ طَرُوبُ
ولَسنا بأحيا مِنهمُ غيرَ أنَّنا إلى أَجَلٍ نُدعى لهُ فنُجيبُ

وقال الرُّقَيعُ بنُ عُبيد الأسدي :

لَحى اللهُ دهراً شرُّهُ دونَ خيرِهِ ... وَجداً بصَيْفِيٍّ نأى بَعْدَ مَعبَدِ [(١)]

بقيَّةُ خُلاّنِي أتى الدَّهرُ دُونَهُمْ ... فَما جزَعي أم كيفَ عنهمْ تجلُّدي

فلو أنَّها إحدى يديَّ رُزِيتُها ... ولكنْ يدي بانَتْ على إثرِها يدي

كأنّي وَصيْفيّاً أخا الصِّدقِ لم نقلْ ... لِموقِدِ ليلٍ آخِرَ اللَّيلِ أَوْقِدِ

فلَستُ بباكٍ بعدَهُ إثرَ هالِكٍ ... قدِي الآنَ مِنْ وَجْدٍ على هالكٍ قَدي [(٢)]

وقال الشريفُ الرَّضي ، رضي اللهُ عنهُ :

ما لِلهُمومِ كأنَّها ... نارٌ على كَبِدي تَشَبُّ [(٣)]

لِفراقِ إخوانِ الشَّبا ... بِ غدَتْ مطاياهُمْ تَخِبُّ [(٤)]

---

(١) الأبيات في « الحماسة » : للمرزوقي ، منسوبة لرجل من كلب ، الأول والثاني والثالث والخامس ص ١٠٧٤ - ١٠٧٥ . والرابع والثالث والخامس ص ٨٩٥ - ٨٩٦ ، وفي « الحماسة » : .. شره قبل .. وَوَجْداً .. أتى .. ، ولحى الله : دعاء على الدهر الذي وصفه .

(٢) في « الحماسة » ص ٨٩٦ : فأقسمت لا آسى على إثر .. وفي ص ١٠٧٥ : فآليت آسى بعدهم إثر .. وقوله : قدي الآن ، أي : حسبي .

(٣) « ديوانه » ١/١٧٠ وفيه : « على قلبي تشب »

(٤) في « الديوان » : لوداع .. مضت ..

فارَقْتُهُـمْ فالعَـيْنُ عـيْـ ـنٌ بعْدَهُمْ والقَلْبُ قَلْبُ
ما كُنْتُ أحسِـبُ أنَّني جلْدٌ على الأَرْزاء صعْبُ
أوْ أنَّني أبقَـى وظهـ ـري بعدَ إخواني أَجبٌّ [1]
ما أَخْطَـأتْكَ الحـادِثا تُ إذا أصابتْ من تُحِبُّ [2]

وقال أبو رِفاعة :

أصْبَحَتْ من حُلولِ قَومي وَحْشاً رُحَبُ الجذْرِ جلْسُها فالبِطاحُ
ولَقَدْ أُلفِيَتْ وفِيهـا كُهُولٌ وشبابٌ بِيضُ الوُجوهِ صِباحُ
وَمهـادِيرُ في البُدِيِّ ولا ينـ ـفكُّ فيه منهم ندًى وسماحُ

وقال البُرَيق بنُ عياضٍ الهُذَلي [3] :

أَلَمْ تَسَلْ عنْ ليلى وقد ذهبَ العُمْرُ وقدْ أَوْحشَتْ منها الموازِجُ والحَضْرُ [4]

---

(١) وبعد هذا البيت في « الديوان » :

لا الوجـــد منقطع الوقو دِ ولا مزار الدمـــع غب

(٢) في « الديوان » : ما أخطأتك النائبات .

(٣) الأبيات في « شرح أشعار الهذليين » ٧٤٨ و « ديوان الهذليين » ٥٨/٣ ، وقد سبقت ترجمة الشاعر . ورواها الأصمعي لعامر بن مسدوس .

(٤) في « الشرح » وقد ذهب الدهر .. وفي « ديوان الهذليين » وقـد نفذ العمر . ونفذ العمر : ذهب . والموازج والحضر : مواضع .

وَقَدْ هاجني منها بِوَعْسَاء فرْوَعٍ ... فأَجْزاعِ ذي اللَّهْباء منزِلَةٌ قَفْرُ [1]

يظَلُّ بِهـا داعي الهديلِ كأَنَّهُ ... على السَّاقِ نَشْوانٌ تميلُ به الخمْرُ [2]

فإِنْ تبكِ في رسمِ الدِّيارِ فإِنَّهـا ... ديارُ بني زيدٍ وهل عنهُمُ صبرُ [3]

وقال آخر :

أَلا ليْتَ شِعْرِي هل يَعُودَنَّ مامضى ... ليالِيَ عَيْشُ الأَصفِياء رَطِيبُ

وهل عائِدٌ قبلَ المماتِ فراجِعٌ ... إلى عهـدِهِ دَهْرٌ إِليَّ حبيبُ

وهل يَجْمَعَنْ شمْلِي مِنَ الدَّهرِ جامِعٌ ... بلى ذاكَ إِنْ شاء الإِلَهُ قريبُ

وَلِي كَبِدٌ حرّى بما قد تَضَمَّنَتْ ... عليكُمْ وَعَيْنٌ بالدُّموعِ سَكُوبُ

أُصَعِّدُ أنفاسي حنينـاً إِليكُـمُ ... كما حَنَّ مَقصُورُ اليدينِ نجيبُ

---

(١) ذكر ياقوت أن الوعساء رملة . وقرمد : موضع الوادي . والجزع : منعطف الوادي . وفَرْوع : موضع في بلاد هـذيل . وذكر ياقوت في « اللهباء » أنـه بفتح فسكون وباء موحدة . وقال : إنه موضع لعله في ديار هذيل ، ثم أنشد هذا البيت ونسبه لعامر بن سدوس الخناعي الهذلي .

(٢) في « الديوان » : يظل بها الداعي الهديل .. وفي « الشرح » : داعي هديل . الهديل : الصوت ، وهو أيضاً ذَكَر الحمام ، ويعني بالساق : ساق الشجرة .

(٣) أي : لا صبر عنهم ، لأنهم قرابة .

وقال حيانُ بنُ قيس [1] :

تَطاوَلَ ليلي بالقَطـاطِ إلى الغَمْرِ ... وَباتَ فِراشي مُشْعَراً جاحِمَ الجَمْرِ
تذكَّرْتُ مَنْ أضحَتْ بحَورانُ دارُهُ ... وكيفَ مع الأحداثِ تَصبُو إلى الذِّكْرِ
فإنْ أرَهُمْ لا أَصدِفُ الدَّهرَ عنهُمُ ... سِوى سَفَرٍ حتى أُغَيَّبَ في القَبْرِ
لَعَمْري لقد أمسَتْ إليَّ بَغيضَةً ... نَوىً فرَّقَتْ بيني وبينَ بني عَمْرو
إذا هبَطُوا الأذْوات والبحرُ دُوننا ... فقُـلْ في تَناءٍ بيننا آخِرَ الدَّهرِ

وقال كُشاجِم :

تَحَرَّمَ الدَّهرُ أَشكالِي فَأَفْرَدَني ... مِنْهُمْ وَكُنْتُ أراهم خَيْرَ جُلّاسي
وَصِرْتُ آلَفُ قوماً لا خَلاقَ لهُمْ ... والوَحْشُ يأنسُ عِنْدَ المحلِ بالناسِ

وقالت ليلى أخت الوليد بن طريف الشاري تبكيه :

ذَكَرْتُ الوَليـدَ وأيّامَهُ ... إذ الأرْضُ مِنْ شخصِهِ بَلْقَعُ [2]
فأقْبَلْتُ أطلُبُهُ في السماء ... كما يَبتغي أنفَهُ الأجْدَعُ
أضاعكَ قومُكَ فلْيَطلُبُوا ... إفادَةَ مِثلِ الذي ضَيَّعُوا

---

(١) كذا ورد اسمه ، ولعله حبان بن قيس ، وهو النابغة الجعدي .

(٢) الأبيات في « الأغاني » ١٢/٩٢ .

لوَ أنَّ السُّيوفَ الذي حدُّها يُصِيبُكَ تعْلَمُ ما تصنَعُ [1]
نَبَتْ عنكَ أو جَعَلَتْ هيبةً وخوفاً لصولكَ لا تَقْطَعُ

وقالت فارعة المُرِّيَّة أختُ مسعود بن شدّاد تبكيه [2] :

يامنْ رأى بارقاً قدْ بِتُّ أرْمُقُه جَوْداً على الحرّةِ السَّوْداء والوادي [3]
أَسْقي بهِ قَبْرَ مَنْ أَعْني وَحُبَّ بهِ قَبراً إليَّ وإنْ لَمْ يَفْدِهِ فادِ
شَـهّادُ أنْدِيَةٍ رَفّـاعُ ألوِيَةٍ سَدّادُ أوْهِيَةٍ فتّاحُ أسـدادِ
نحّـارُ راغِيَةٍ قتّـالُ طاغِيَةٍ حَلّالُ رابِيَةٍ فكّاكُ أقْيـادِ [4]

---

(١) في « الأغاني » : السيوف التي .

(٢) وهي شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ، قالت ترثي أخاها مسعود ، وكان أغار على جرم ، فأسروه ثم لم يسقوه حتى مات عطشـاً . والأبيـات في « الأغاني » ١٠١/١٢ . و « الأمالي » ٣٢٦/٢ . وفي « زهر الآداب » ٩٤١ مع بعض الزيادة والنقص ، ومنهـا أبيات في « حماسة ابن الشجري » ٨١ وثمة خلاف في الرواية بين تلك المصادر أغفلنا إثباته ، وهي من قصيدة جيدة أولها :

ياعين بكيّ لمسعود بن شدّاد بـكاء ذي عبرات شجوه باد

(٣) بارقاً ، أي : سحاباً ذا برق . وجوداً : كثير المطر .

(٤) الراغية : النـاقة .

قَوّالُ مُحْكَمَةٍ نَقّاضُ مُبْرَمَةٍ فَرّاجُ مُبْهَمَةٍ حَبّاسُ أَوْرادِ [١]
حَلّالُ مُمْرِعَةٍ حَمّالُ مُضْلِعَةٍ فَرّاجُ مُفْظِعَةٍ طَلّاعُ أَنْجادِ [٢]
أَبا زُرارَةَ لا تَبْعَدْ وكُلُّ فَتىً يوماً رَهِينُ صَفِيحاتٍ وأَعْوادِ [٣]

وقال الشريف المُرتضى، رحمه الله [٤] :

أَوْرَدْتني وَمضَيْتَ مُبْتَدِراً حَزَّ المُدَى وَلَواذِعَ الجَمْرِ [٥]
وتركْتَني والدَّهْرُ ذُو دُوَلٍ أَعْشَى اللِّحاظِ مُقَلَّمَ الظُّفْرِ
أَرْمِي فلا أُصمِي وإنْ رُمِيتْ جِهَتي رُمِيتُ مُعَرَّضَ النَّحْرِ [٦]

---

(١) أوراد : جمع ورد ـ بالكسر ـ وهو الجماعة الواردون الى الماء ، والقطيع من الطير والابل ، والجيش ، على التشبيه بقطيع الطير والابل .

(٢) المضلعة : المثقلة للأضلاع .

(٣) الصفيحة هنا : الحجر العريض .

(٤) « ديوان الشريف المرتضى » ٨٥/٢ . من قصيدة طويلة يرثي بها فخر الملك سنة ٤٠٧ هـ أولها :

شَطّت عليك لُبانةُ الصدر وحُرِمتَها من حيث لا تدري

(٥) رواية « الديوان » : زودتني ومضيت .. ومبتدراً ، أي : مسرعاً ، وأصله للاشتراك ، ولكن المولّدين استعملوه للواحد أحياناً . المدى : جمع المدية ، وهي السكين .

(٦) في « الديوان » : فان رميت .. معرّضاً نحري .

وأُصدُّ عنْ لُقْيا العَدُوّ وهلْ ... أَلْقَى العَدُوَّ ولَسْتَ فيظَهرِي
وإذا مضى من كانَ يعضُدُنِي ... وَيشُدُّ يومَ كَريهَةٍ أزرِي
وَيرُدُّ عنّي كُلَّ طـارِقةٍ ... ويَخُوضُ كُلَّ رَدًى إلى نصْرِي
فالحظُّ لي أَنْ لا أهيجَ وَغًى ... حتى أكونَ مُسالِماً دَهْري
لا مُتْعَةٌ لي في الحياةِ فما ... أحياهُ بعدَكَ ليسَ من عُمْري

وقال آخر :

يادَهْرُ قد أكثرْتَ فجْعَتَنا ... بِسَراتِنا وَوَقرْتَ في العَظْمِ (١)
وَسلَبْتَنا ما لسْتَ مُخلِفَهُ ... يا دَهْرُ ما أنْصفْتَ في الحُكْمِ
لو كانَ لي قِرْنٌ أناضِلُهُ ... ما طاشَ عِندَ حفيظَةٍ سَهْمِي
أوْ كانَ يُعطِي النَّصْفَ قُلتُ لهُ ... أحرَزْتَ سهْمَكَ فالهُ عنْ سهْمِي (٢)

وقالت أُميمَةُ بنتُ عبدِ شمسٍ ترثي قومها :

أبى ليْلُك أنْ يذهبْ ... ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ (٣)

---

(١) الأبيات صوت في « الأغاني » ٣/٣١٩ . ولم تنسب .

(٢) النصف ، مثلثة : اسم بمعنى الانتصاف . السهم : النصيب والحظ ، والسهم في البيت الذي قبله : مايرمى به ، وهو واحد النبل .

(٣) الأبيات في « الأغاني » ٢٢/٨٠ وذكر أبو الفرج أن أميمة بنت عبد شمس قالتها ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ، ومن قتل من قومها ، ثم أورد لها ثمانية عشر بيتاً .

وهذا الصُّبحُ لايأتي ولا يدْنُو ولا يقْرُبْ
لِفقْدِ عشيرةٍ مِنّا كِرامِ الخِيمِ والمَنْصِب (١)
أَمالَ عَلَيْهِمُ دَهْرٌ حَديدُ النّابِ والمِخْلَب (٢)
فَحَلَّ بِهِمْ وقدْ أمِنُوا فلَمْ يُقْصِرْ ولم يَشْطُبْ (٣)
ومَاعَنْهُ إذا ماحَلْ لَ لامَنجىً ولا مَهْرَبْ (٤)
ألا ياعينُ فابكيهمْ بِدَمعٍ مِنكِ مُسْتَغْرِبْ (٥)
فإنْ أبْكِ فهُمْ عِزّي وهُمْ رُكْني وهُمْ مَنْكِبْ

وقال هِلالُ بن الأسْعَر (٦) يَرْثي رجلاً من قومه يقالُ له : المُغيرةُ بنُ قَنبر كان يعوله ويفضِّل عليه :

---

(١) في « الأغاني » : بعقر عشيرة . .

(٢) في « الأغاني » : أحال عليهم . .

(٣) أقصر عن الأمر : انتهى وأمسك مع القدرة عليه . وشطب : بعد ، وشطب عنه : مال وعدل .

(٤) في « الاغاني » : . . إذا ماحل من منجى .

(٥) استغرب الدمع : سال .

(٦) سبقت ترجمته في هذا الجزء من الكتاب ص ٤٣ تعليق رقم ٢ ، وقد ورد سمه ثمّ في الأصل مصحفاً بالشين المعجمة . وأبياته في « الأغاني » ٣/٥١ ،

أَلا لَيْتَ المُغيرةَ كانَ حيّاً ... وأفنى قبلَهُ الناسَ الفناءُ

لِيَبْكِ على المُغيرةِ كُلُّ خَيْلٍ ... إذا أفنى عرائكَها اللّقاءُ [(١)]

ويَبْكِ على المُغيرةِ كُلُّ كَلٍّ ... فقيرٍ كانَ يُنعِشُهُ العَطاءُ

ويَبْكِ على المُغيرةِ كُلُّ جيشٍ ... تَمورُ لدى معاركِهِ الدِّماءُ

فتى الفتيانِ فارسُ كُلِّ حربٍ ... إذا شالتْ وقدْ رُفِعَ اللِّواءُ [(٢)]

لقدْ وارَى جديدُ الأرضِ منهُ ... خِصالاً عقْدُ عِصْمتِها الوَفاءُ [(٣)]

وصبراً للنوائبِ إنْ أَلَمَّتْ ... إذا ما ضاقَ بالحدَثِ الفَضاءُ

هِزَبْرٌ تَنْجَلي الغَمَراتُ عنهُ ... نَقِيُّ العِرْضِ هِمَّتُهُ العَلاءُ

إذا شهِدَ الكَريهَةَ خاضَ فيها ... بُحوراً لا تُكَدِّرُها الدِّلاءُ

وذكر أبو الفرج في مناسبتها أنه كان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له: المغيرة بن قنبر يموله ويفضل عليه، ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك فقال القصيدة في رثائه .

(١) العرائك : جمع عريكة ، وأصل العريكة: سنام البعير ، وتقال على النفس وعلى القوة والشدة .

(٢) شالت، في الأصل سالت ، وما أثبتناه عن « الاغاني » ، وشالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الأبطال غمارها ، وهو من شالت الناقة : إذا رفعت ذنبها للقاح

(٣) يريد بجديد الأرض : قبره الذي جدّ منها وحفر ليدفن فيه .

جَسُورٌ لايُوَرَّعُ منه رَوْعٍ ولا يثني عزيمَتَهُ اتِّقـاءُ [1]
حَلِيمٌ في عشيرَته إذا مـا حُبَا الْحُلماء أطلَقَها المِراءُ [2]
حمِيْدٌ في عشيرتهِ فَقِيـدٌ يطيبُ عليهِ في الملأِ الثَّنـاءُ

وقال امرُؤُ القيس بنُ حِجْر الكندي :

تذَكَّرْتَ أهلي الصالحينَ وقد أتى على حَمَلٍ مِنَّا الرِّكابُ فأَعْفَرا [3]
ولما بدَتْ حَوْرانُ والآلُ دُونَها نظَرْتَ فلَمْ تَنْظُر بعَيْنَيْكَ منْظَرا [4]
تقَطَّع أسْبابُ اللُّبانةِ والهوَى عشِيَّةَ جاوَزْنا حمَاةَ وَشيْزَرا [5]

---

(١) في « الأغاني » :جسور لا يروّع عند ..

(٢) في « الأغاني » : حميد في مشاهده .. وحبا : جمع حبوة ، وهي الثوب الذي يحتبى به ، واطلاق الحبـا يكنى به عن السفه والطيش . والمراء : المجـادلة والملاّحة والمخاصمة .

(٣) « ديوان امرئ القيس» ٦١ ، وروايتـه فيه : على خملى خوص الركاب وأوجرا . وخملى وأوجر : موضعان قبل الشام .

(٤) يقول : لما جاوزت حوران ، فبدت لي في الآل دون أسماء لم أر شيئاً أسرّ به ، فكأنّ كل ماأراه غير مرئيٍّ لحقارته وقبحه في عيني .

(٥) يقول : لمـا جاوزت حماة وشيزر ، تقطعت أسباب الحاجة إلى من أحببت يأساً من اللقاء ، وشغلاً بما نحن فيه من الشدة .

عشِيَّةَ جاوَزْنا حمَاةَ وَسَيرُنا أُخو الجَهْدِ لا نلْوي على من تعَذَّرا [١]

بكى صاحِبي لما رأى الدَّرْبَ دُونهُ وأيْقَنَ أنّا لاحِقانِ بقَيْصَرا [٢]

فقُلْتُ لهُ لا تبْكِ عينُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعْذَرا

* * *

(١) في « الديوان » : بسير يضج العوْد منه يمنّه .. لا يلْوي .. ، ويمنّه ، أي : يذهب بمنته ويضْعِفه . وقوله : أخو الجهد ، أي : الذي يجهد في مسيره ، ويحمّل عليه فوق طاقته . وقوله : لا يلوي على من تعذّرا ، أي : لا يحتبس ولا يتربص على من نابه عذر ، يصف أنهم يسيرون متعجلين ، فمن تخلف منهم لشيء أصابه لم يتربص عليه حتى يدرك .

(٢) صاحبه هذا عمرو بن قميئة اليشكري ، وكان قد مرّ ببني يشكر في مسيره الى قيصر ، فسألهم : هل فيهم شاعر ؟ فذكروا له عمرو بن قميئة ، فـدعاه ، ثم استنشده فأنشده وأعجبه ، فاستصحبه امرؤ القيس ، فأجابه الى صحبته ، فيقول : لما صحبني وجاوزنا بلاد العرب ، واتصلنا ببلاد الروم ، وأيقن عمرو بن قميئة أنا لاحقان بقيصر ، حنّ الى بلاده فبكى .

الفهارس

فهرس الجزء الاول

فهرس الجزء الثاني

★ ★ ★

فهرس القوافي

(الهمزة)

(الباء)

★ ★ ★

★ ★ ★

(الذال)

★ ★ ★

معاشرْ	مجزوء الكامل	عمران بن حطان	٢ : ١٥٣
المنابرْ	»	ابن المعتز	٢ : ٢٩٠
الغيرْ	متقارب	أبو العتاهية	٢ : ١٠٩

(الزاي)

وغمزا	متقارب	الخنساء	٢ : ٣٠٤

(السين)

ورسيسا	كامل	أبو تمام	١ : ٢٥٣
دارسُ	طويل	أرطاة بن سهية	١ : ٦٣
الرواجسُ	»	أبو نباتة الكلابي	١ : ١٦٣
البسابسُ	»	ذو الرمة	١ : ١٧٣
وروامسُ	كامل	—	٢ : ١٠٨

★ ★ ★

أدراسِ	بسيط	البحتري	١ : ١٧٧
الخرسِ	»	المعري	٢ : ١٠٠
جلاسِ	»	كشاجم	٢ : ٣٣١
إنسي	خفيف	أبو العباس الأعمى	٢ : ٣٠١
رمسِهِ	سريع	—	٢ : ١٠٤
الرواكسِ	طويل	حفص الأموي	١ : ٢١٣
مرداسِ	كامل	ابن أبي حصينة	٢ : ١٧٥
كناسِها	»	»	٢ : ١٧٢

★ ★ ★

(الفـاء)

* * *

أكاتمُ	طويل	علي بن مرشـــد	١ : ١٤٨
مـــلامُ	»	—	١ : ١٨٤
ســـلامُ	»	ذو الرمـــة	١ : ٢٤١
وأرسمُ	»	البحـــتري	١ : ٢٧٤
قـــديمُ	»	مزاحم بن الحارث	١ : ٣١٢
وقـديمُ	»	ربيعة بن مقروم	١ : ٣٢٥
رســومُ	»	كثـير	١ : ٣٢٨
نيـامُ	»	أبو العلاء المعري	١ : ٣٤٢
كاتمُ	»	أبو علي أبزون	١ : ٣٤٦
نجـومُ	»	—	٢ : ٥٦
وسيمُ	»	—	٢ : ٦٤
كلـومُ	»	التهـامي	٢ : ٦٧
ألومُ	»	قيس بن ذريح	٢ : ١٢٨
يتصرَّمُ	»	الفرزدق	٢ : ١٤٣
أظـــلمُ	»	(جرير بن خرقاء العجلي)	٢ : ١٤٥
المُوَشَّمُ	»	ذو الرمـــة	٢ : ١٦٥
فصريمُهـا	»	كثـــير	١ : ٧٢
قديمُهـا	»	عمر بن أبي ربيعة	١ : ٢٣٢
خيامُهـا	»	ذو الرمـــة	١ : ٢٩٦
كريمُهـا	»	المجنـــون	٢ : ٤٦

* * *

★ ★ ★

(الهاء)

★ ★ ★

(اليـاء)

* * *

فهرس الشعراء

مع قوافيهم

(١) جاء اسم الشاعر في هذه القافية : أرطاة بن كعب بن قمين .

(البـاء)

(التاء)

(الثـاء)

(الجـيم)

(الحاء)

(الخاء)

(الدال)

(الذال)

(الراء)

(الزاي)

(السين)

(الشين)

(الصاد)

(الطاء)

(العين)

(الفـاء)

(القاف)

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

(النون)

(الهاء)

(الواو)

(اليـاء)

★ ★ ★

فهرس الأعلام

(الراء)

(الزاي)

(السين)

(الشين)

(الصاد)

(الضاد)

(الطاء)

(العين)

* * *

ثبت المصادر

الأغاني
الأمالي
أساس البلاغة
الاصابة
اعلام النبلاء
أعجب العجب في شالامية
العرب للزمخشري
أمالي المرتضى
الاختيارين
أضداد ابن الأنباري
الأربعين الودعانية (مخطوط)
أمالي الزجاجي
أسباب النزول
الأذكار للنووي
أمالي اليزيدي
الأصمعيات
الاشتقاق
البيان والتبين
البداية والنهاية

ابن الأثير
تزيين الأسواق
تهذيب التهذيب
ابن خلدون
تاريخ بغداد
تفسير الطبري
تفسير ابن كثير
تقريب التهذيب
التكملة لكتاب الصلة
تفسير الكشاف للزمخشري
تذكرة الحفاظ
تفسير ابن كثير
الجامع الصغير للسيوطي
جمع الجواهر
حلية الأولياء
الحيوان
حماسة ابن الشجري
الخزانة للبغدادي
خريدة القصر
الدر المنثور
ديوان الأخطل

ديوان أسامة بن مرشد
ديوان بشر بن أبي خازم
ديوان البحتري
ديوان بشار بن برد
شرح ديوان أبي تمام للتبريزي
ديوان جميل بن معمر
ديوان جرير
ديوان ابن حيوس
شعر أبي دواد الايادي
ديوان ذي الرمة
ديوان زهير بن أبي سلمى
ديوان الشريف المرتضى
ديوان الشريف الرضي
ديوان ابن صدقة الخياط
الدمشقي
ديوان طرفة بن العبد
ديوان علي بن الجهم
ديوان العباس بن الأحنف
عبث الوليد للمعري
ديوان أبي العتاهية

ديوان العرجي
ديوان عمر بن أبي ربيعة
ديوان الفرزدق
ديوان أبي الفرج الوأواء
ديوان أبي فراس الحمداني
ديوان كثير
ديوان المعاني
ديوان مهيار
ديوان المتنبي
شعر النابغة الجعدي
ديوان النابغة الذبياني
ديوان أبي نواس
ديوان ابن هانىء الأندلسي
الذخيرة لابن بسام
رغبة الآمل في شرح الكامل
الروضتين
زهر الآداب
الزهرة
زبدة الحلب لابن العديم
زاد المسير لابن الجوزي
سمط اللآلي
سيرة ابن هشام
سنن الترمذي
شرح الحماسة للتبريزي
شرح الحماسة للمرزوقي
شروح سقط الزند

الشعر والشعراء
شرح شواهد المغني
للسيوطي
شرح الشواهد للعيني
شرح القصائد العشر
للتبريزي
شرح القصائد السبع
لابن الأنباري
صحيح مسلم
طبقات فحول الشعراء
الطرائف
طبقات ابن سعد
العمدة لابن رشيق
العقد الفريد
عيون الأخبار
فوات الوفيات
فتح القدير
قلائد العقيان
الكامل للمبرد
لسان العرب
لزوم مالا يلزم (اللزوميات)
مختار الشعر الجاهلي
المؤتلف والمختلف
معاهد التنصيص
معجم ما استعجم
معجم الشعراء

معجم البلدان
المستدرك للحاكم
المُغرِب
من نسب الى أمه لابن حبيب
مجالس ثعلب
المعتمد بن عباد لصلاح خالص
مجمع الأمثال
مجمع الزوائد للهيثمي
مروج الذهب
منتهى الطلب (مخطوط)
المقاصد الحسنة للسخاوي
الموطأ
المفضليات
المواهب اللدنّية
الموازنة
المعرّب للجواليقي
مجاز القرآن
المعجب في تلخيص أخبار المغرب
النوادر
النجوم الزاهرة
نفح الطيب في غصن
الأندلس الرطيب
الوافي للصفدي
الوحشيات
يتيمة الدهر